الآثار المصرية في وادي النيل

الجزء الخامس

تأليف : جيمس بيكي

ترجمة
لبيب حبشي - شفيق فريد

مقدمة

يسعدنا أن نقدم للقراء العرب الكرام ترجمة كاملة للجزء الخامس والأخير من كتاب جيمس بيكى (الآثار المصرية فى وادى النيل) فقد سبقه الجزء الأول والثانى والثالث والرابع واليوم نقدم الجزء الخامس من هذا الكتاب العظيم الذى يعتبر دائرة معارف كبرى لما اشتملت عليها أجزاءه الخمسة على أهم الآثار وتاريخها ووصفها ومواقعها المختلفة .

والجزء الخامس هذا يحتوى على أهم المعابد الأثرية الكبرى والمناطق التى توجد بها ووصفها وأهميتها الأثرية والتاريخية وهى : « معبد فيلة ــ معبد كلابشة ــ بيت الوالى ــ معبد دندور ــ كوروسكو ــ جرف حسين ــ معبد الدكة ــ معبد المحرقة ــ معبد السبوع ــ معبد الدر ــ قلعة قصر أبريم ــ معبد أبو سمبل ــ قلعة بوهن ــ قلعة سمنه شرق ــ قلعة سمنة غرب ــ نباتا ــ جبل برقل ــ مروى ــ كشك تراجان ــ معبد دابود ــ معبد تافا ــ معبد قرطاسى ــ قلعة كوبان ــ معبد عمدا ــ معبد أبو عودة » .

وهذه المعابد والآثار الضاربة فى القدم والتى لازالت قائمة تكاد تكون فى الحالة التى أقامها عليها من أنشأها منذ آلاف السنين وفيها من روعة الفن وجماله ما يدل على سلامة الذوق وعراقة الحضارة التى وصلوا اليها .

ان الشرق القديم عامة ولمصر القديمة خاصة سحر عجيب فى أذهان الناس وكلما بعدت الشقة وطال الزمن ، أحيط القديم بهالة من التقديس ، وفى مصر استطاع الانسان أن يقدم للبشرية حضارة زاهية أرسى قواعدها على أسس قوية .

فقد عرف المصرى القديم كيف يشاهد ويدرس ويحقق واستغل مشاهداته ودراساته وتحقيقاته فى القفز بحضارته الى الأمام ، وليس من

شك فى أن ما حققته المواهب المصرية والعقل المصرى فى كل مظهر من مظاهر الحضارة البشرية ليعتبر المثل الأعلى لكل نشاط بشرى فى أى بقعة من بقاع العالم القديم .

على أن ما كتب عن مصر يزيد بكثير عما كتب عن غيرها من البلاد ، فمما لا شك فيه انه لا يوجد فى بلد آخر من البلاد من الآثار ما يضارع آثارها فى قدمها وروعتها وكثرتها ، ولعلها البلد الوحيد فى العالم الذى يستطيع المرء فيه أن يتتبع خطوة خطوة تاريخ شعب خلال خمسين قرنا من الزمان على ضوء آثار اغلبها لا يزال قائما شامخا حتى اليوم وعن طريق كتابات ونقوش على الأحجار والمعابد والمسلات وأوراق البردى ونحوهما مما أبقت عليه أرض مصر الأمينة .

والجزء الخامس الذى بين أيدينا الآن هو أحد الكتب الهامة التى ترجمت واستكمل بها هذا السفر العظيم فى خمسة أجزاء كاملة وشاملة ليطلع عليها السائحون ومحبوا ودارسوا الآثار وليعلموا كل التفاصيل الكاملة عن أهم الآثار الموجودة فى مصر والنوبة وأسوان حتى الخرطوم .

وقد قدم المؤلف جيمس بيكى الذى درس اللاهوت فى جامعة أدنبرة ثم هوى علم الآثار ودرسه دراسة عميقة عن حب وشغف والتحق بجامعة أكسفورد كمحاضر لعلم الآثار ، وكتب العديد من الكتب عن الآثار والفلك ، ثم أصبح عضواً فى جمعية الآثار الملكية ، ولعل أهم ما كتبه بيكى هو كتاب الآثار المصرية فى وادى النيل بأجزاءه الخمسة الذى سرد فيه أهم وكل ما حدث فى مصر من كشوف أثرية خلال قرنين من الزمان ، وهو الكتاب الذى أعتمد عليه الكثير الذين عالجوا مثل هذا الموضوع .

وقد أمضى مؤلفه السنوات الطوال فى كتابته وجمع الصور والرسوم الخاصة به حتى توفى قبل أن ينشره .

وقد قامت زوجته السيدة « كونستانس . ن بيكى » بعد وفاته بمساعدة المستر (انجلباك) الأمين السابق للمتحف المصرى بالقاهرة باعداده للطبع بعد اضافة الفهارس والملاحق اليه .

ان علم الآثار فى أوائل القرن التاسع عشر اخذ يرتمى فى أحضـــان الدخلاء بعد ان اجتذب « نفرا » من المغامرين الذين اتخذوا من البحث عن الآثار والكنوز مهنة للكسب والاثراء ، ولكن ما لبث أن قام نفر من العلماء والباحثين الممتازين ينادون باتباع طرق علمية سليمة فى البحث والتنقيب .

وانه لم يعد من سبيل للتردد فى تحديد المكان الذى يكشف فيه عـن الأثر وان يعمل الباحث على المحافظة على كل ما يعثر عليه من اشـياء فى مكان تنقيبه دون تفرقة بين ما هو نفيس براق وبين ما هو عادى ، واستقامت بعد ذلك الأبحاث العلمية الدقيقة وتهافتت البعثات من كل امة على مصر ونقبت وعملت وانتشرت فى كل مكان .

وكانت النتيجة أن صار الآن فى استطاعتنا ان نتتبع الأحداث التاريخية منذ أن استقر المصرى الأول على شاطىء النيل ونسير معه خطوة خطوة فى مدارج التاريخ حتى آخر العصـور ، بل ونستطيع أيضا ان نتعرف على كل مظهر من مظاهر حضارته اليانعة المزدهرة .

حدث هذا فى مصر ، ولكن بلاد النوبة بقيت مجهولة يخيم الظلام على حضارتها حتى أوائل القرن العشرين ، وليس من شك ان علم الاثار سيظل مدينا لمشروع خزان أسوان وتعليته مرتين ، ومشروع السد العالى ، بجميل لا ينسى ، اذ لولا هذه المشروعات الكبيرة لـما كانت هناك فرصة للكشف عن الآثار الهامة والمعابد الضخمة الرائعة التى احتوتها ارض هذه المنطقة .

ومنذ أن فكرت الحكومة فى انشاء السـد العالى وبعد أن تم تنفيذ ذلك المشروع الضخم الذى استكمل على أحسن وجه اشتد اهتمام مصـلحة الآثار بالتماس الوسائل الكثيرة والكفيلة بانقاذ آثار النوبـة والمحـافظة على تلك المعابد الضـخمة قبل أن تغمرها المياه ، وقد اشتركت جميع دول العالم بعد النداء العظيم الذى وجهته هيئة اليونسكو فى انقاذ هذه الحضارات الخالدة والعمل على نقلها الى أماكن آمنة .

وقد تم فك ونقل تلك المعابد الى أماكن عالية مجاورة واعادتها الى هيئتها الأولى ، ذلك المشروع الذى اشتركت فيه جهود العالم اجمع الذى هدف الى انقاذ هذه الآثار الرائعة على اساس أنها انتاج وتراث بشرى لا يعنى أهل المنطقة فحسب بل يجب على جميع الشعوب المتحضرة أن ترى فيه ارثا بشريا عليها ان تتكاتف للابقاء والمحافظة عليه .

لذلك يسعدنا أن يكون هذا الكتاب باجزاءه الخمسة المتكاملة بعد ان تم على أحسن وجه أن يعتبر من المراجع الهامة لعلم الآثار ، ومتمشيا مع الآراء الحديثة التى وصل اليها علم الآثار ، خصوصا بعد ظهور الكشوف الكثيرة التى وجدت آراء كثيرة متعددة .

غير اننا سوف نشير الى هذه الكشوف وتلك الآراء فى هوامش ونهاية هذا الجزء حتى لا يفوت القارىء شىء مما جد أو استحدث منذ تأليف هذا الكتاب ، وخصوصا أن كتاب « بيكى » أنسب لقراء العربية بمعلوماته المركزة الواضحة ، ومادته الغزيرة وأسلوبه المبسط الواضح .

وهو يجارى فى هذا مؤلفات الأثرى الانجليزى « ارثر . ب ويجل » الذى قضى السنوات الطوال يعمل فى مصلحة الآثار كبيرا للمفتشين ، ثم عكف على كتابة الكتب الأثرية التى أهمها كتابه المعروف « دليل آثار مصر العليا » الذى اعتمد عليه مؤلف كتابنا هذا اعتمادا كبيرا فى وصفه للآثار المصرية نظرا لكثرتها وأهميتها .

كما عنى المؤلف بان يورد نبذة تاريخية واضحة المعالم عن كل منطقة قبل ان يسترسل فى كتابة وصف لآثارها حتى يكون لدى القارىء صورة واضحة عن كل منطقة وتاريخها وآثارها ، لكى يستطيع أن يدرك هذا التاريخ ويشاهد تلك الآثار .

المترجم والمراجع



تمهيد

من المستحيل أن يكتب مثل هذا الكتاب دون الاشارة الى المؤلفات التى لا حصر لها ، الخاصة بعلم الآثار المصرية ودون الرجوع والانتفاع بهـذه المؤلفات .

وسيجد القارىء فى الصفحات التالية اشارات الى الكثير من المراجـع وبخاصة « لكتاب دليل آثار مصر العليا » للمؤرخ المعروف « أ . ب ويجل » .

وقد جرت العادة أن يعد المؤلف بعد الانتهاء من وضع كتابه قـائمة باسماء من سبقوه من المؤلفين الذين يدين لهم بالفضل ، ولكن مما يدعو الى الأسف انه لم يمض شهر على كتابة هذا المؤلف حتى توفى زوجى بعد أن أمضى سنوات طوال وافنى عمره فى عمل متواصل لاخراجه واتمامه على أحسن وجه .

لذلك أرى من واجبى أن اتقدم بالشكر باسمه للمعاونة القيمة التى ساهم بها فى اعداد هذا الكتاب كل من الأساتذة « مرجريت أ . مرى » ومستر « الفريد لوكاس » « والدكتور جأ . ريزنر » و « الدكتور روبرت ل . موند » والسيد المبجل « ج.ى. ماك جريجور » .

وعلى الرغم من أن المؤلف كان قد اتم متن الكتاب ، غير انه بقى الشىء الكثير ليصبح معدا للنشر ، وقد قام المستر « ريجنالد انجلباك » أمين المتحف المصرى فى ذلك الوقت بمباشرة طبعه واعداد فهارسه وكتابة الملحق رقم ١ ، لذلك فانى انتهز هذه الفرصة لاشكره كثيرا على معاونته الصادقة القيمة .

كونستانس . ن . بيكى

الفصل السادس والثلاثون

(نبذة تاريخية عن بلاد النوبـة)

نغادر مصر الآن الى منطقة النوبة السـفلى التى ظلت اثناء الجـزء المتاخر لتاريخ مصر كما متغيرا نوعا ما ، على انه يمكن القول بصفة عامة بأنها كانت تمتد من ايليفنتين جنوبا حتى وادى حلفا أو ابعد قليلا جنوبها ٠

كانت هذه المنطقة فى الأيام الأولى تمتد شمالا حتى الكاب وكان من المفروض أن يمتد حكم نائب الملك كوش من الكاب جنوبا حتى حـدود الامبراطورية الجديدة ٠

ولكن التقسيم الحقيقى بين مصر والنوبة يبدأ حيث يحدد الشـلال الأول التقسيم الطبيعى لهذه المناطق ٠

ان علاقة هذا البحث بتاريخ مصر يمثل الهدف الوحيد الذى لا يحظى باهتمام سوى الباحث والاخصائى فى علم الآثار ٠ وانما سنرى تلك العلاقة تنعكس بصورة كافية على الآثار الهامة التى ينبغى لنا ان نتناولها لكى نتجنب الحاجة الى كتابة موضوعات كثيرة لابد وان نكون من ناحية تكرارا للحوادث التى وقفنا عليها بالفعل فى سجلات وآثار ايليفنتين ٠

ومن ناحية أخرى لابد أن تكون قد جرت حوادث كثيرة متوقعة مـن الجائز أن تكون لها صلة فى تركيبها الطبيعى أو فى كمية الآثار التى عثر عليها فيها ومدى قيمتها وأهميتها خصوصا عندما نصل الى الأطلال والبقايا الأثرية المتعلقة بها ٠

أن هذه الحوادث تجرى بايجاز كبير على النحو التالى :

فى عصور ما قبل التاريخ كان الجنس الذى يسكن فى النوبة (١) السفلى جنوبا حتى الشلال الثانى ، يشبه تماما ذلك الجنس الذى يسكن اقليم مصر ، ولم يكن من الممكن تمييز اى اختلافات كثيرة بينهما فى مستوى الثقافة العام أو اللهجات والعادات والشعارات المشتركة بينهما . على أن توحيد القطر الجنوبى والقطر الشمالى فى مصر تحت حكم فراعنة الأسرتين الأولى والثانية قد أعطى دفعة قوية الى ثقافة القطر الشمالى التى كانت تفتقر النوبة اليها .

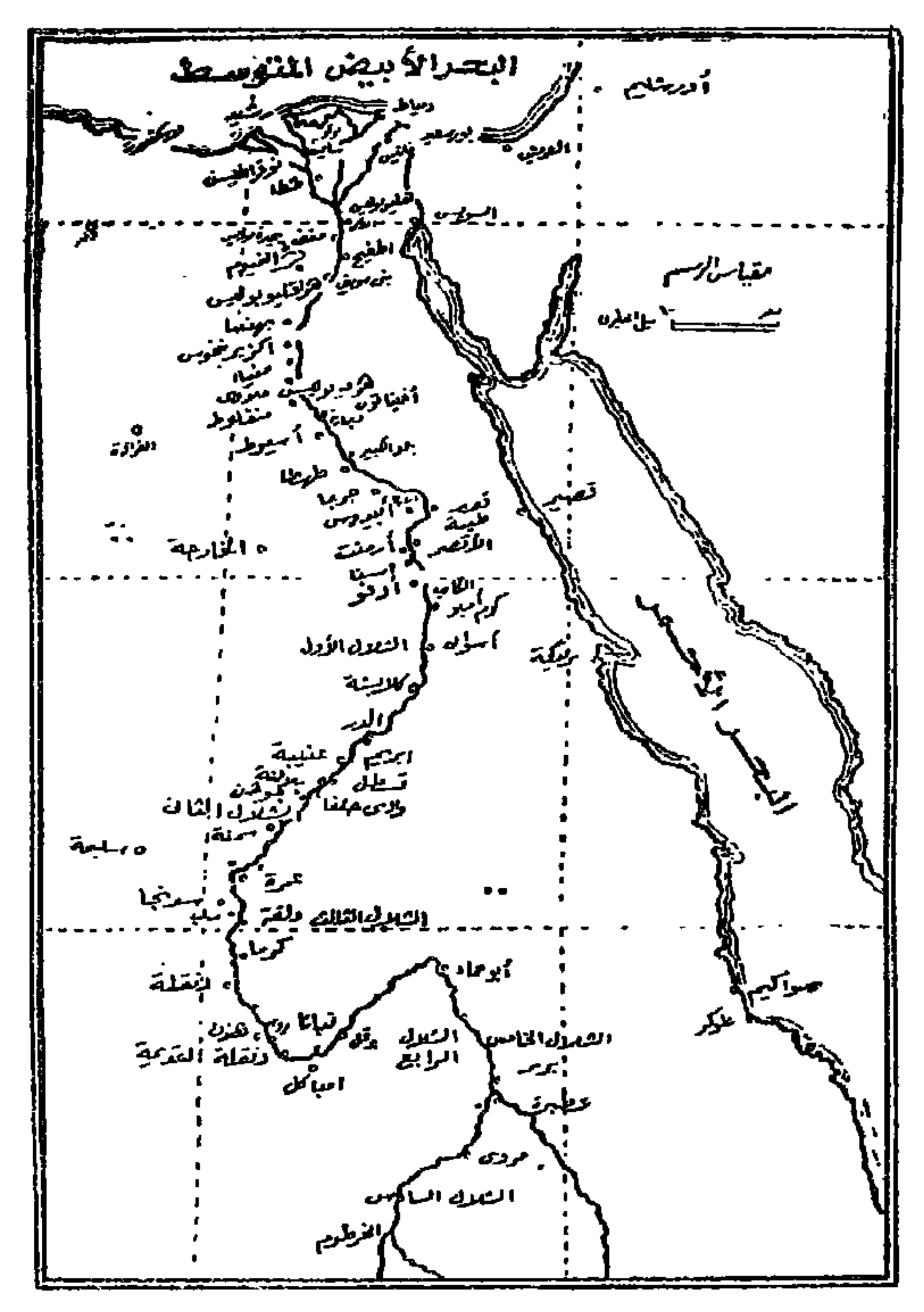
ومنذ ذلك الوقت ، اصبح فى الامكان معرفة الفــرق بين الثقافـــات المختلفــة بين ذلك القطرين ، واضحى ذلك واضــحا جليا عندما ارتقت الحضارة المصرية ودخلت عصر بناء الأهرامات .

أما النوبة فقد ظلت من الناحية العملية خامدة مجهولة فيما أخذت مصر تتقدم بسرعة . وبذلك أصبح التقسيم بينهما ظاهرا . ونتيجة لذلك أصبح المصرى فى الأيام الأخيرة من عصر المملكة القديمة ، كما رأينا مرارا وتكرارا يعتبر النوبى بربريا وغير متحضر بالنسبة اليه .

وحيث كان يرى بلاد النوبة بلاداً مجهولة لابد من الولوج فيها والسيطرة عليها واخضاعها بغية الاتصال بالسودان والانتفاع بمنتجاتها وخيراتها . بيد أن رحلات أمراء وبارونات ايليفنتين المستمرة الى بلاد النوبة قــــد جعلت الشعب المصرى يتعرف تدريجيا على خصائص تلك البلاد الواقعة وراء الشلال الأول .

---

(١) ظلت بلاد النوبة مجهولة يخيم الظلام على حضارتها مدة طويلة حتى أوائل القرن العشرين . وليس من شك ان علم الآثار سيظل مدينا لمشروع خزان أسوان وتعليته مرتين ، اذ لولا تنفيذ هذا المشروع الكبير لما كانت هناك فرصة للكشف عن الآثار والمعابد الهامة الضخمة التى احتوتها أرض هذه المنطقة . (المترجم) .



(شكل رقم ١)

(خريطة يظهر عليها مواقع الشلالات قديما ومواقع المعابد الكثيرة المنتشرة حتى الشلال السادس وحدود السودان)

لقد تغيرت كل هذه الأحوال أثناء الحقبة المأساوية التى أعقبت سقوط المملكة القديمة • ولم تعد مصر فى مركز يمكنها من تاكيد حتى سيطرتها المعتدلة على المنطقة الواقعة جنوبى الشلال ، والتى كان يسيطر عليها حراس باب الجنوب التابعين للمملكة القديمة •

وبالاضافة الى ذلك ، أخذ تغيير كبير يطرأ على سكان النوبة السفلى (١) نتيجة لاندماج قبائل من أقصى جنوب افريقيا الوسطى فى الشعب النوبى • ووفقا لذلك نجد أنه فى ابان عصر المملكة الوسطى حينما أصبحت مصر من جديد قادرة على تاكيد سلطتها وسيادتها ، لم يعد للنوبة السفلى خيار سوى الاعتراف والرضوخ للمطالب المصرية فى هذه السيادة •

وكان ملوك الأسرة الثانية عشرة لديهم ما يكفى من أسباب القوة ما مكنهم من دحر القبائل الجنوبية (٢) وابقائها بعيداً عن حدود مصر الطبيعية ، ولم يستتب الأمر الا فى عهد الملك سنوسرت الثالث حيث امتدت الحدود بصفة دائمة حتى منطقة سمنة شرق وسمنة غرب فوق الشلال الثانى •

وحدث أثناء الحقبة المتوسطة الثانية التى شهدت غزو الهكسوس لمصر

---

(١) تمتد مناطق النوبيين من أسوان فى الشمال حتى مدينة (الدنة) فى الجنوب وهى تقع الى الغرب من مروى ، والى الجنوب من (دنقلة) ويقع أقليم النوبة فى الجزء الشمالى من أفريقيا • ويخترقه النيل العظيم ، الا أن الأرض الصالحة للزراعة لا تتعدى شريطا ضيقا على شاطىء النهر ، ومن اجل ذلك كان النيل ولا يزال هو كل شىء بالنسبة لسكان هذه المنطقة ، وتنقسم بلاد النوبة الى قسمين ، القسم الشمالى : وهو جزء من الوطن المصرى ويمتد من شمال وادى حلفا الى أسوان ويعرف بالنوبة السفلى ، والقسم الجنوبى : ويمتد من وادى حلفا الى بلدة (الدنة) ويعرف بالنوبة العليا • (المترجم) •

(٢) يقول المؤرخ (سترابون) : أن المناطق التى تقع على الجانب الغربى للنيل فى ليبيا ماهولة بالنوبيين ، وهم قبيلة كبيرة تمتد أراضيها من مروى وتصل شمالا حتى انحناءات النهر • وهم ينقسمون الى عدة ممالك ، كل مملكة مستقلة عن الأخرى • (المترجم) •

أن انتهزت النوبة السفلى (١) بطبيعة الحال ضعف مصر لاستعادة حريتها ، وحينما بدأت حرب الاستقلال التى انتهت بطرد الهكسوس . نجد ان مصر قد اضطرت الى القتال فى جبهتين مختلفتين وخضعت لغزو النوبيين من جديد .

ويصف (كاموس) خليفة سقن – رع الموقف بصورة قوية جذابة فيقول : والآن قد تحدث جلالته هكذا فى قصره الى مجالس الاعيان الذين كانوا من اتباعه : « أود أن أعرف ما هى فائدة قوتى لى ، حينما يكون الأمير هنا جالسا فى أفاريس (ملك الهكسوس) وأميرا آخر جالسا فى كوش ، فيما أنا أجلس بين آسيوى وزنجى ؟

بيد أن هذا الموقف التعس قد صحح تدريجيا على يد الملوك الفراعنة الحربيين بعد ذلك من الأسرة الثامنة عشرة ، حيث نجد بحلول عصر أمنوفيس الثالث ان الحدود المصرية قد امتدت ووصلت جنوبا حتى (نباتا) عند الشلال الرابع .

وانتشرت الثقافة والفنون المصرية حتى شملت كل المنطقة ، ولكن الولاية النوبية (٢) ما لبثت أن انفصلت عن مصر من جديد أثناء الحكم الضعيف للفراعنة الكهنة من الأسرة الواحدة والعشرين .

---

(١) أطلق المصريون القدماء اسماء كثيرة على بلاد النوبة ، ولعل أقدم هذه الأسماء هو (كنيست) او (تاستى) أى بلاد حاملى الأقواس وكذلك على المنطقة المحيطة بالجندل الأول من أقاليم الصعيد الذى امتدت حدوده حتى جبال السلسلة الى الشمال من كوم أمبو . (المترجم) .

(٢) عاشت فى منطقة بلاد النوبة السفلى قبائل عدة ذكرها المصريون القدماء وهى :

١ – قبيلة الواوات وسكنت حول كورسكو (٢) قبيلة الايرثت وسكنت حول توماس (٣) قبيلة ستاو وسكنت حول توشكى (٤) قبيلة أيام وسكنت بين أرمنة ويوهن (٥) قبيلة مدجاو وهى من القبائل الرحل التى لم تستقر فى منطقة معينة وتجوب مناطق السودان والنوبة السفلى وتشن غاراتها على حدود مصر ، وجميع هذه القبائل كلها تنتمى الى الجنس الحامى مثل سكان شمال أفريقيا فى العصور الأولى ، حيث تمتاز هذه السلالة بالقامة الطويلة النحيلة والرأس المستطيل البارز الى الخلف والشعر المموج ولون بشرتهم أسمر يميل الى الأحمر . (المترجم) .

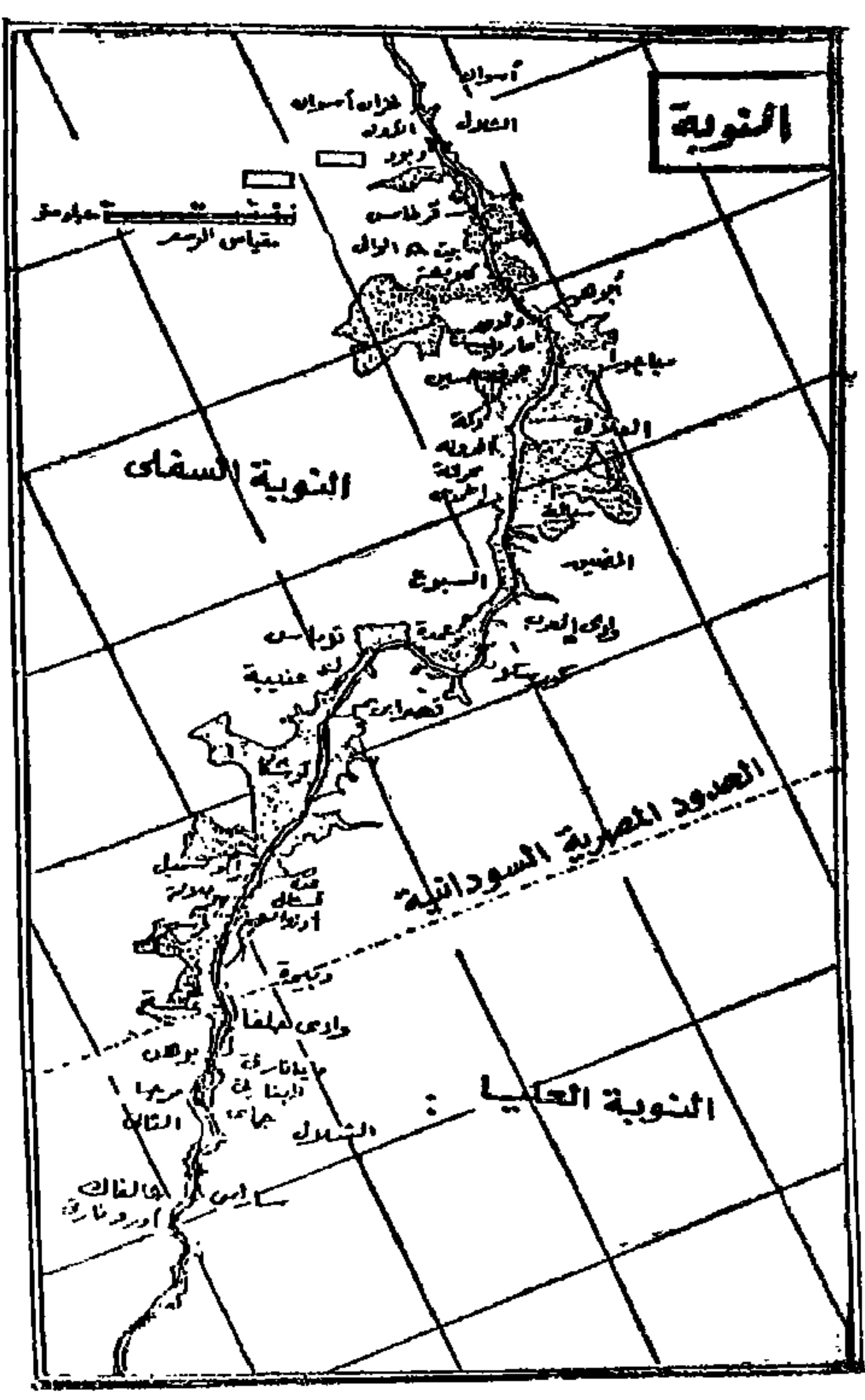
وتأسست فى هذه الفترة مملكة اثيوبية اتخذت نباتا عاصمة لهـا ، واصبحت هذه المملكة تدريجيا تعتبر نفسها الوريثة الوحيدة لجميع التقاليد والأعراف والطقوس الدينية والعلمانية فى مصر ٠ ولما ازدادت مصر انقساما واصبحت نهبة لصراع قاتل ، قام بعنخى Piankhy احد الملوك الاثيوبيين بغزو البلاد كلها والتغلب عليها معلنا نفسه انه يضطلع بمهمة اعادة النظام والدين الى ما كان عليه ٠

وبعد ذلك بقليل تسلمت الأسرة الأثيوبية حكم البلاد وورثت مهمة محاربة السلطة الآشورية – ولكن هذه المهمة باءت بفشل مأساوى ٠ فقد تقهقر الأثيوبيين مرة أخرى الى النوبة مع قيام الأسرة السادسة والعشرين ٠ وقام الملك بسامتيخوس الثانى ، من سلالة سيتى Saite بمحاولة فاشلة لاخضاع النوبة السفلى ، فيما انتهت الغزوة التى قام بها الكامبيون Cambyses فى أعقاب الغزوة الفارسية لمصر بالفشل أيضا ٠

وقد تم نقل عاصمة المملكة الأثيوبية من نباتا الى مروى فى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد تقريبا ، ولكن الحضارة المحلية اخذت تتدهور بسرعة مرة اخرى ، وان كانت مازالت تحتفظ بتقليد فج للثقافة المصرية التى اشتقته منهـا ٠

وعلى ذلك فقد استمرت الحروب على أشدها بين الرومانيين تحت حكم كانديس ، والمملكة الأثيوبية ، وما أعقب ذلك من نضال طويل مستمر خاضته الامبراطورية الرومانية ضد القبائل المعروفة بالمليمينين ٠

وتحدثنا النقوش الكثيرة عن الكفاح المرير الذى قام بين المصرين وقبائل (الكوش) حيث رأى فيهم ملوك الأسرة الثانية عشر عدوا خطيرا ، مما اضطرهم الى اقامة الحصون القوية على طول الطريق بين اسوان والجندل الثانى وزودوها بالحاميات ، وحرموا على الزنوج أن يعبروا هذا الجندل الى الشمال سواء عن طريق البر أو النيل الا فى حالات التجارة فقط ، كمـا



(شكل رقم ٢)
(النوبة العليا والنوبة السفلى)

استولوا على العاصمة (كرما) وجعلوا منهـا مركزا تتجمع فيه تجـارة الجنوب ويقيم فيها حاكم مصرى ٠

ومنذ عصر الدولة الحديثة انضمت بلاد النوبة السفلى والعليا حتى الجندل الرابع جنوبا الى حدود مصر وأصبحت جزءا منها ، كما تأثرت هذه البلاد تماما بالثقافة المصرية وتعبدت بآلهتها وانتشرت فيها المعابد التى كانت بمثابة مراكز دينية وثقافية ٠

وقد استمرت الحال كذلك حتى مطلع القرن الثامن قبل الميـلاد حين ظهرت أسر قوية من الأمراء النوبيين انتهزت فرصة القلاقل والنزاع الذى انتشر فى مصر والدلتا العليا والتدهور السياسى الذى حاق بهما ، وقبضت بيد من حديد على جميع مناطق بلاد النوبة ٠

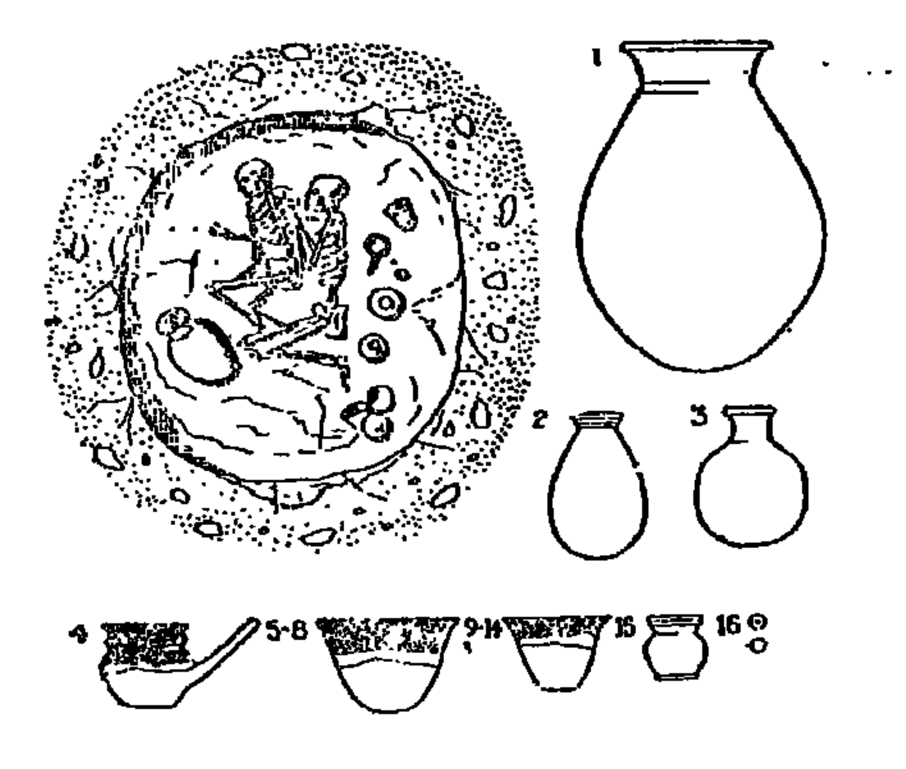
وأخذت ترنو بأبصارها نحو الشمال ، ثم عملوا جاهدين على تحقيق حلمهم والاستيلاء عـلى عرش الفراعنة واسـتطاع بعنخى تكرين الأسرة الخامسة والعشرين ، الا أن دولة آشور الفتية كانت قد امتدت أطماعها الى مصر واستطاع الملك آشور اخى الدين أن يهزم الملك النوبى طهارقا ويدخل الدلتا عام ٦٧٠ ق٠م٠ حيث استقر الأشوريين فى الدلتا وتركوا مصر العليا للفرعون النوبى الذى استطاع بعد فترة من الزمن أن يقضى على الحـامية الأشورية فيها ٠

وما كاد الملك الأشورى « آشور بنى بعل » يجلس على عرش بلاده حتى سـارع بارسال جيش قوى واسترد الدلتا الى الحكم الأشورى ، ثم سـار الى مصر العليا ووصل الى طيبة وطرد منها « طهارقا » الذى ولى هاربا الى عاصمته الجنوبية « نباتا » ٠

مات طهارقا وخلفه ابنه « تانوت آمون » الذى استطاع أن يجمع حوله المصريين فى مصر العليا ، وزحف شمالا الى منف واشتبك فى معركة دامية

ضد الأشوريين انتصر فيها عليهم ، وفى معركة ثانية هزم مرة أخرى وتعقبه الأشوريين حتى نباتا ، وبخروجه من مصر انتهى حكم النوبيين لها .

استقر النوبيين فى « نباتا » ولم يحاولوا الرجـوع مرة أخرى الى مصر . واكتفوا ببسط سلطانهم على مناطق النوبة السفلى ، وأخذ التاريخ يتحدث عن دولة نباتا التى استمرت تحكم السودان القديم فترة تزيد على ثلاثة قرون (من ٦٦٣ الى ٣٠٠ ق.م) ، ولم يلبث أن انتقل الحكم الى مروى حوالى عام ٣٠٠ ق.م ، وكان هذا الانتقال أمرا ضروريا تحتمـه الظروف السياسية التى هيمنت على مصر فترة طويلة .



(شكل رقم ٣)

مقبرة فرعونية نوبية من بلاد النوبة من الطراز المعروف على)
(هيئة الناقوس من عصر الدولة الوسـطى وفى هـذه المقبرة)
(نشاهد رجلا وامرأة بالغان يرقدان فى هيئة نصف القرفصاء)
(وبجوارهما أوانى مملوءة بالقرابين)

وتغلغل البطالمة فى بلاد النوبة السفلى ، اذ كانوا قد رسموا لأنفسهم سياسة خاصة نحو هذه المنطقة ، تتلخص فى الاحتفاظ بالمناطق التى تمتد الى الجنوب من أسوان على مسافة ١١٠ كيلو مترات ، وهى المنطقة التى اطلقوا عليها اسم « الدوديكاشينوس » حيث كانت تشمل المدن الهامة التالية :

١ — دابود .

٢ — تافا .

٣ — كلابشة .

٤ — جرف حسين .

٥ — الدكة .

٦ — كوبان .

٧ — قورته .

٨ — المحرقة .

ويذكر التاريخ فى هذا العصر ملكا نوبيا هو « اركامون » كان قد تشبع بالثقافة اليونانية وتوطدت صلته بالملك « بطليموس الثانى » . واورد « ديودور الصقلى » قصة طريفة عن ذلك الملك ملخصها انه كانت هناك عادة اتبعها كهنة آمون فى نباتا وذلك عندما يضيقون ذرعا باحد الملوك ويستشعرون منه عدم خضوعه لمشيئتهم أو خروجا على ارادتهم ، اعتاد الهة فى مثل هذه الحالات أن يرسلوا اليه رسولا بخبره ان ارادة الآلهة تحتم عليه قتل نفسه ، وقد لقى كثير من الملوك حتفهم بهذه الطريقة معتقدين انهم يؤدون بذلك عملا دينيا عظيما يتقربون به الى الآلهة ، ويبدو ان الكهنة حاولوا تنفيذ هذه السياسة مع الملك « اركامون » ولكنه استعمل طريقة أخرى للرد عليهم ، فوجه اليهم حملة انتقامية قتل فيها عدد كبير .

وهكذا حتمت الظروف السياسية على النوبيين نقل عاصمتهم من « نباتا » الى « مروى » وكان هذا الانتقال بداية لفترة جديدة أخذت الحضارة المصرية فيها تضمحل وتحل محلها حضارة افريقية تحمل طابعا جديدا ، يجدر بنا أن نصفه بانه طابع افريقى زنجى ، وساعدت الظروف دولة مروى أن تتطور فى طريقها الخاص الذى رسمته لها حضارتها الجديدة ذات الطابع الأفريقى البحت دون أن تعترضها احداث ذات بال .

وعندما دالت دولة البطالمة فى مصر وانتقل الحكم الى الرومان ، بدأت سلسلة جديدة من الثورات الجامحة يقوم بها اهل الصعيد مطالبين بها اجلاء المستعمر الغاشم ، ولقد اضطر الحاكم الرومانى « كورنيلوس جالاوس » بعد بضعة شهور من الفتح الرومانى وفى عصر الامبراطور (أغسطس) أن يواجه ثورة شديدة نشبت فى طيبة .

وساعد النوبيون الثوار وأمدوهم بمعونات مختلفة . وبعد نجاح الحاكم الرومانى فى اخماد ثورة الطيبيين زحف جنوبا لمحاربة النوبيين وراء الجندل الأول ولكنه لم ينجح فى مهمته وتركهم على أن يعترفوا بالسيطرة الرومانية اسما فقط .

وقام النوبيون بثورة كبيرة مرة أخرى عام ٢٤ ق.م ضد الرومان وهاجموا صعيد مصر وتغلبوا على الرومان ونهبوا جزيرة انس الوجود وجزيرة ايليفنتين ومدينة أسوان . وقد استعد الرومان للرد على هذه الثورة وخرج الحاكم « بترونيوس » على رأس جيش كبير والتقى بالجيش النوبى عند الدكة واستطاع أن يوزمه وتعقب النوبيين وحاصرهم فى قلعة « قصر ابريم » واستولى عليها وطرد فلولهم حتى وصل الى مدينة (نباتا) وهى العاصمة النوبية القديمة .

ودمر نباتا تماما ونهب ما فيها من كنوز وآثار ، وبعد عامين استعد النوبيون مرة أخرى للأخذ بثأرهم وتقدموا بقيادة ملكتهم الشهيرة « كانديس »

وتقابلوا مع بترونيوس عند قلعة ابريم ، ولكن عدم التكافؤ بين القوتين اضطر الملكة الى طلب الصلح ، حيث كان صلحا مشرفا اذ اعفاهم الامبراطور من دفع الجزية للرومان ٠

واستقر السلم فترة طويلة فى هذه المنطقة ، وقام الرومان بتشييد المعاقل والحصون التى لا تزال آثارها باقية حتى الآن فى الدكة وكلابشة وقرطاسى ودابود ٠

وفى أواخر القرن الأول بعد الميلاد ظهرت قوة فتية لشعب جديد هـو شعب « البليمى » الذى أخذ على عاتقه مناوأة النفوذ الرومانى ، ليس فى بلاد النوبة فحسب بل أخذ يهاجم بقسوة المدن الجنوبية فى مصر العليـــا ووصلوا الى قفط والمنشاه واستولوا عليها ٠

لقد ظهرت قوة شعب (البليمى) فجاة وأخذ بدوره يهاجم الرومان الذين اضطروا فى عصر الامبراطور « ديوقلديانوس » (٢٨٤ - ٣٠٥) ق٠م أن يسحبوا جميع حامياتهم من بلاد النوبة السفلى ومن أسوان اذ تبين لهم أن شعب البليمى أصبح سيدا لبلاد النوبة وأن هجماته على مدن مصر الجنوبية لا يقف أمامها الرومانيون ٠

الا أن الملك « ديوقلديانوس » لعب لعبته المشهورة وهى أن طلب من « النوباديين » الد أعداء « البليمى » أن يكونوا حماة هذه المنطقة وأن يحافظوا على سلامتها ٠ « والنوباديين » قبيلة ليبية كانت تجوب الصحراء الغربية وامتد نفوذها الى دارفور وكردفان جنوبا الى الواحات الخـارجة شمالا ، ومنهم انحدرت قبيلة البقارة حاليا ٠

واستطاع الامبراطور الرومانى أن يجذب اليه أفراد هذه القبيلة ويعطيهم اراضى واسعة فى أسوان وأغدق عليهم الاعانات والهدايا ، ولكن حدث فى أوائل القرن الخامس الميلادى أن تحالف قبائل « النوباديين » مع قبـائل « البليمى » ، وهـاجموا الأراضى المصريـة وهزموا الحاميات الرومـانية وأسروا كثيرا من جنودها ٠

ولكن مرة أخرى اضطرت الامبراطورية الرومانية أن تدافع عن نفسها بتجريد حملة قوية استطاعت أن تهزم القبيلتين وعقدت مع البليمى ، معاهدة كان من أهم شروطها المحافظة على السلام لمدة مائة عام واطلاق سراح الأسرى الرومان ودفع جزية ٠

وقد رضى البليمى بهذه الشروط ولكنهم طالبوا بالاحتفاظ بالتعبد الى آلهتهم : اوزوريس وايزيس ومين فى معبد جزيره فيله « انس الوجود » بل طلبوا السماح لهم باستعارة تمثال معبودتهم الكبرى « ايزيس » من ذلك المعبد ليطوفوا به فى مناطقهم مذكرين عشيرتهم بالمعاهدة والاتفاق المبرم بينهم وبين الرومان ٠

حافظ البليمى على عهدهم طوال الأعوام المائة ، ولكنهم قاموا بثورة جامحة بعد ذلك كانوا يستعدون لها بعد انقضاء تلك المدة ، وشعر الامبراطور « جوستنيان » الأول (٥٥٠ ميلادية) أن الخطر كله يكمن فى تجمع البليمى والنوباديين حول معبوداتهم فى معبد (فيلة) فامر باغلاق المعبد ونقل تماثيل الآلهة الى القسطنطينية وسجن الكهنة ٠ وقد نجحت سياسة الامبراطور فى ذلك وخيم السلام على المنطقة فترة طويلة ٠

ودخلت المسيحية بلاد النوبة فى منتصف القرن السادس الميلادى ، وحدث فى عام ٥٧٧ م أن افتتح رئيس مطارنة أسوان معبد ايزيس بعد تحويله الى كنيسة ، وسرعان ما انتشرت الديانة فى المناطق الجنوبية وتحولت معظم المعابد الفرعونية الى كنائس ٠

وظهرت دولة مسيحية نوبية جديدة فى مديرية دنقلة كان لملوكها سلطان قوى وسيطروا على معظم مناطق النوبة السفلى ، بل استطاع أحد ملوكها واسمه « مركوريوس » أن يشيد كنيسه كبيرة فى مدينة « تافا » على بعد ٤٢ كيلو مترا الى الجنوب من أسوان ٠

وفى القرن السابع كان على مملكة دنقلة المسيحية أن تواجه قوات العرب التى أخذت تتجه الى بلاد النوبة بعد استقرارها فى مصر ، وانتهى

الأمر بان عقدت مملكة دنقلة معاهدة مع العرب فى مصر فى عصر الوالى « عبد الله بن سعد ابن ابى السرح » فى عام ٦٥١ م ، وأطلق على ملك هذه البلاد اسم « امبراطور النوبة » ونص فى هذه المعاهدة على أن تشمل البلاد الممتدة من حدود مصر شمالا الى حدود بلدة « علوة » عند الجندل السادس جنوبـــا .

وعلى أن تدفع مملكة النوبة الجزية الى مصر وان تتعهـد بحمـاية المسلمين المقيمين فيها ، وأخذ الاسلام ينتشر رويدا رويدا من مصر نحو الجنوب وبدأ المسيحيون يلتجئون الى بلاد الحبشة ، خاصة بعد ان قام احد افراد أسرة صلاح الدين بحملة عام ١١٧٣ م توغل بها فى بلاد النوبة واستولى على كثير من الحاميات والأراضى هناك .

. . . .

وأصبحت بلاد النوبة (١) السفلى منذ القرن الخامس عشر جزءا من

---

(١) تم انقاذ آثار النوبة الأول منذ ٣٠ سنة ، عندما شاركت دول العالم فى انقاذ معابد وآثار منطقة النوبة التى كانت مهددة بالغرق بعد انتهاء السد تحت مياه بحيرة السد ، اما الانقاذ الثانى فهو ما يجرى الاعداد له الآن لترميم وتطوير هذه المعابد ووضعها على الخريطة السياحية بعد ان تركت نهبا للزمان والظروف الطبيعية والسرقة منذ انقاذها حتى الآن .

وهذا الانقاذ ليس انقاذ العدد من المعابد والقلاع والمقابر الأثرية الهامة ولكنه انقاذ لمنطقة بالكامل تمتد لمسافة ٢٩٠ ك.م بين اسوان وابو سمبل ، ولذلك جاء التخطيط متكاملا بين وزارات الثقافة والسياحة والتعمير والمجتمعات الجديدة لاستثمار جميع المناطق على جانبى بحيرة السد العـالى أثريـا وسياحيا واقتصاديا وانشاء مجتمعات عمرانية جديدة .

ان الوصول إلى مواقع هذه المعابد لابد أن يتم عن طريق البر أو البحر والزيارة بالبحر عن طريق نهر النيل عبر بحيرة السد العالى ولكن حاليا لا توجد سياحة بواخـر ولا يمكن الوصول الا بمركب تستغرق حوالى يومين ، ولذلك فاختيار الطريق البرى أفضل رغم انه يمتد لمسافة ١٨٠ ك.م من بينها ٧٥ ك.م داخل المناطق الصحراوية والجبلية وخصوصا المسافة من جرف حسين حتى منطقة معابد السبوع ، وفى هذه المسافة لا بد من

مصر واعتنق أهلها جميعا الاسلام ، وفى أوائل القرن التاسع عشر تحصن بعض المماليك فى كثير من مناطق النوبة ، الا ان ابراهيم باشا أجلاهم عنها فى ذاك العهد .

ومنطقة بلاد النوبة السفلى كانت وما تزال على مر التاريخ بمثابة همزة الوصل بين منطقتين على قدر كبير من الأهمية ، هما مصر فى الشمال والسودان فى الجنوب ، فلا نعجب اذن اذا كانت الآثار التى وصلتنا من هذه العصور الطويلة ، كثيرة العدد وعظيمة الأهمية .

وفى واقع الأمر نجد فى بلاد النوبة السفلى مجموعة فريدة من المعابد الضخمة الرائعة قل أن نجد لها مثيلا فى مصر نفسها ، اذ أن معظمها كان ، كما سبق الحديث ، قد تحولت الى كنائس مسيحية ، وكسيت جدرانها بطبقة سميكة من الجص رسم الناس فوقها صور القديسين .

ويجب الا ننسى فى النهاية التأثير الكبير الذى كان لظروف الطبيعة على الابقاء على هذه المعابد فى حالة جيدة ، خاصة وان الناس فى هذه المنطقة لم يحاولوا مرة أن يسكنوا هذه المعابد أو أن يستعملوا حجارتها فى شئونهم الخاصة ، كما حدث فى معابد مصر من نفس العصر .

=

استخدام دليل ، فداخل الصحراء لا تستطيع تحديد طريقك ولا توجد علامات تحدد اتجاهك .

تم تشكيل لجنة من صندوق آثار النوبة ممثلا لهيئة الآثار ووزارة الثقافة وهيئة تنمية بحيرة السد العالى وهيئة تنشيط السياحة وبالتنسيق مع محافظة اسوان وقد اقرت اللجنة مشروع ترميم وتطوير جميع معابد النوبة التى ساهمت اليونسكو فى انقاذها ووضعها على الخريطة السياحية وتيسير الوصول الى هذه المعابد برصف شبكة الطرق التى تربط المعابد بالمناطق السياحية وتعمير المنطقة بوجه عام بانشاء تجمعات سكانية على جانب الطرق الجديدة وعلى ضفاف بحيرة السد العالى .

ويوجد فى بلاد النوبة (١) السفلى سبعة عشر معبدا وخمسة هياكل ، بعضها مبنى والبعض الآخر منحوت فى باطن التلال الصخرية الممتدة الى الشرق والغرب فى مجرى النيل ومعظم هذه المعابد يرجع الى العصر اليونانى الرومانى • وفيما يتعلق بمصر ذاتها ، فانه يمكن القول بأن النوبة السفلى شأنها شأن سيناء ، تعتبر البارومتر الذى يمكن أن نقيس به رخاء المملكة •

لقد كانت الحدود المصرية مع النوبة تحت حكم الفراعنة الأقوياء العدوانيين تتقدم تدريجيا ، ولكنها كانت تنحسر تحت حكم الأسرات الضعيفة • حتى حدث من جديد تخطيط الحدود فى الحالات القصوى عند الشلال الأول • بل أنه كانت دائما تحدث بعض الصعوبات الكثيرة فى الاحتفاظ بتلك الحدود •

---

(١) بلاد النوبة فى التعبير الجغرافى هى المنطقة التى تمتد من الجندل الرابع حتى الجندل الأول بين خط عرض ١٨° ، ٢٤٢° شمالا وهى تحتوى منطقة صحراوية طويلة شديدة الحرارة والجفاف — وقد ارتبطت هذه المنطقة بمصر لعوامل متعددة منها العامل الطبيعى المتدرج من النوبة الى مصر العليا ويمتد داخل الحدود السودانية ، أما النوبة السفلى فتمتد عن الحدود السودانية حتى أسوان •

وبلاد النوبة بقسميها تكون وحدة جغرافية متميزة يسكنها شعب يتماثل جنسا وثقافيا واجتماعيا ، وقد اهتم المصريون فى مختلف عصورهم ببلاد النوبة لأسباب كثيرة منها أن النوبة منذ أقدم العصور تعتبر الممر الرئيسى للتيارات الثقافية بين قلب افريقيا والبحر الأبيض المتوسط ، كما كانت طريق التجارة الرئيسى بين مصر والسودان ، وفرة المعادن والذهب والصخور الجيدة ، استخدام السكان فى الجيش والتجارة ، انشاء المعابد التى كانت مراكز ثقافية وقلاع حصينة أدى إلى نشاط معمارى وحضارات عظيمة •

الفصل السابع والثلاثون

معابد فيلة (أنس الوجـود)

بعد قطع مسافة طويلة فى النهر من جريرة « سحيل » التى شاهدنا مخطوطاتها للدو ، يعترض النيل الخـزان العظيم الذى بنى واجريت له عدة اضافات بين عام ١٨٩٨ ويومنا هذا بغية تخزين الميـاه اثنـاء الشتاء حتى تكون متوفرة حينما يكون مستوى مياه النيل منخفضا فى اوائل الصيف ٠

ان هذا العمل العملاق الذى أبـدعت فيه الهندسـة الحديثـة والتى استطاعت أن تنافس بجدارة منشآت الفراعنة ، قد استغرق فى تطويره ثلاث مراحل حتى يصل قوة عمله الى طاقته الكاملة ٠ حتى استكمل العمل فيه فى المرحلة الأولى بين عام ١٨٩٨ ونهاية عام ١٩٠٢ ٠

كان ارتفاعه يبلغ ١٣ قدما وسمكه ٢٣ قدما عند القمة وعمقه ٩٨ قدما عند القاع ولم يكن قد مضى على تشغيله مدة طويلة حتى تقرر تعليته الى ١٦٫٥ قدما مرة أخرى وزيادة سمكه طبقا لذلك ، وقد انجز هـذا العمـل العظيم فى المدة بين عامى ١٩٠٧ ، ١٩١٢ ، واخير تقرر تعليته مرة أخرى الى ١٨ قدما حيث استكمل هذا العمل الرائع نهائيا فى ١٩٣٣ ٠

ان اهتمامنا بهذا العمل العظيم والمفيد الذى أدى الى زيادة انتاجية مصر الى حد كبير ، مقصور على مسألة كبيرة هامة وهى كيف أنه قد أثر ومزال يؤثر على تلك الاثار الهامة التى تقع فى نطاق المستويات التى وصل اليها أو سيصل اليها فى المستقبل القريب عند منسوب ومستوى المياه المحتجزة حينما يمتلىء الخزان بالماء ، وتتضمن قائمة المعابد والمقابـر والقلاع التى ينتظر تغطيتها بالماء أثناء فصل الشتاء المبانى الآتية :

معابد فيلة ، معبد بيجا ، معبد دابود (Daboud) ، معبد تافا ، معبد قرطاسى ، معبد كلابشة ، معبد بيت الوالى ، معبد دندور ، قلعة كشتمنة ، معبد الدكة ، قلعة كوبان ، معبد وادى السبوع ، معبد عمدا ، معبد الدر ، قلعة قصر ابريم ، قلعة كوبان ، معبد قورته ، معبد المحرقة ، معبد أبو سمبل ، معبد أبو عودة ٠

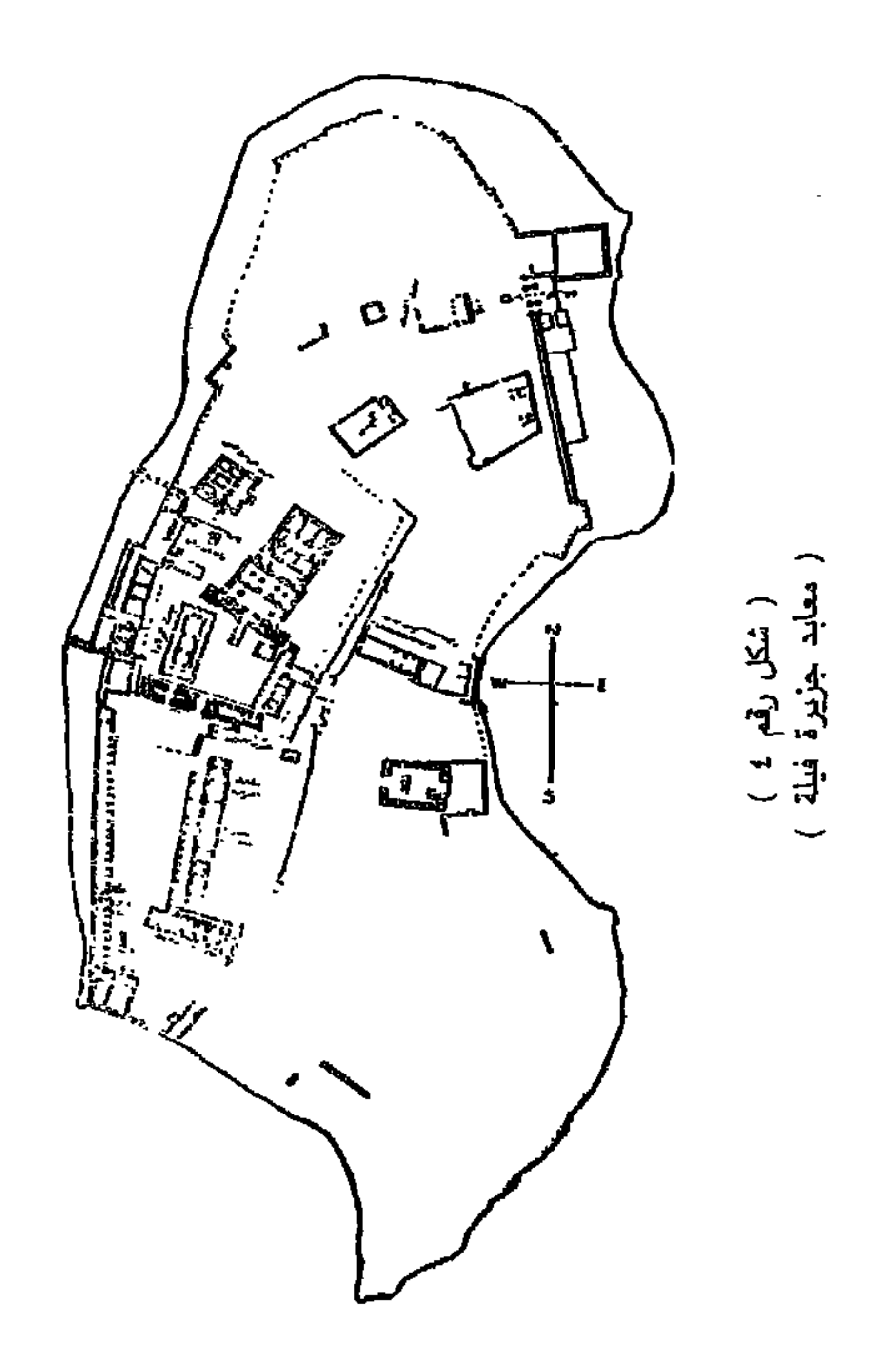
ومع التوسعات الجديدة للخزان سيزداد غمر جميع هذه المعابد بالمياه وستزداد البحيرة الكبيرة التى كونها الخزان اتساعا فى النهر إلى الجنوب ٠

(وصف معابد فيلة « أنس الوجود »)

تتكون جزيرة فيلة او انس الوجود من جزيرة صغيرة تتوسط مجرى النيل ، وتقع هذه الجزيرة على مسافة اربعة كيلو مترات الى الجنوب من سد أسوان ، وهى تتكون من جزيرة صخرية من حجر الجرانيت الوردى كست على ارتفاعات متنالية بطمى النيل ٠

وكلمة فيلة عبارة عن تحريف للاسم المصرى القديم « بيلاك » ويعنى كلمة النهاية لأنها فى واقع الامر تقع عند اقصى الجنوب من حدود مصر ، وعند حدود بلاد النوبة ٠ ويطلق ايضا على هذه الجزيرة اسم « أنس الوجود » ويتحدث اهل هذه المنطقة بقصة طريفة بطلها شاب اسمه « انس الوجود » كان قد أحب فتاة اسمها زهرة الورد ، ولما سمع والدها بقصة حبهما ماله الامر وبعث بابنته الى معبد ايزيس القائم فى هذه الجزيرة وحبسها هناك لابعدها عن حبيبها الذى هام على وجهه يبحث عنها فى كل مكان ٠

وسار الفتى على ضفاف النيل يسأل الناس عنها وفى أثناء طوافه كان يحاف على الحيوانات التى يقابلها فى الصحراء مما جعلها تأنس اليه وتسعى لمساعدته ، حتى وصل الى جزيرة « أنس الوجود » حيث استعان بتمساح كبير لكى يعبر النيل من الشاطىء الى الجزيرة والتقى بحبيبته ، واستطاع اقناع ابيها حتى رضى أن يزوجها لـه ٠



(شكل رقم ٤)
(معابد جزيرة فيلة)

كانت جزيرة فيلة قبل عام ١٩٠٣ ، اى قبل بناء خزان اسوان ، من أجمل جزر هذه المنطقة حيث تكثر فيها الأشجار الجميلة والورود وتزدان باعداد كبيرة من أشجار النخيل ، وكان الناظر اليها كأنها بقعة رائعة من الجمال فى مصر العليا يزينها مجموعة المعابد الضخمة الرائعة التى وان كانت موغلة فى القدم ، فانها تعبر الزائر العابر عن العناصر الجمالية والتصميمات الأساسية الرائعة للهندسة المعمارية المصرية الجميلة .

ان أى زائر لتلك المنطقة الساحرة لا يستطيع أن يعبر عن الاحساس والجمال والروعة والدهشة والسكون الجميل الذى يتركه فى النفس عند مشاهدته لتلك الكنوز والآثار الرائعة فى فيلة . لقد خضعت فيلة والمواقع الأخرى المحيطة بها لدراسة هندسية وفنية دقيقة واعدت مشروعات كثيرة لانقاذها ، نظراً للتجربة القادمة التى ستتعرض لها من ارتفاع منسوب المياه وبناء خزان أسوان .

وقد تأكد لها بان اعمال التقوية والصيانة والترميم التى عولجت بها تلك الآثار ، انها أصبحت أقوى منها فى أى وقت مضى ، وأنها لن تتأثر من اغراقها بالماء سواء ارتفع منسوبه أو انخفض .

على أن هذه التوقعات المتفائلة فى الواقع كانت مخيبة للآمال . ذلك أن فيلة حتى عندما تبرز مبانيها وتكون ظاهرة تختلف كل الاختلاف عن فيلة التى كانت فى الماضى لأن الأعمدة الجرانيتية المطمورة بالماء أصبحت مكسوة بطبقة رمادية شوهت لونها الوردى الجميل الاصلى .

وذلك بسبب الألياف الدقيقة الطحالب والنباتات الميتة التى تعطى مظهراً سيئا ومثيرا الأحجار التى كانت فى الماضى فى صورة جميلة رائعة . وبالاضافة الى ذلك أخذت النقوش الغائرة والزخارف والمخطوطات المنقوشة تبلى ويصيبها التلف والدمار وأصبحت مهددة بالاختفاء بالفعل .

وقد حذر مسيو بارسانتى المستكشف الكبير رؤساءه فى مصلحة الآثار

بأنه اذا لم تقم هيئة الآثار بعمل ما تجاهها واتخاذ الاجراءات السريعة لانقاذها فانها ستتلاشى فى المـاء تدريجيا ويصيبها الدمار والتلف وأن يسلموا بمصير هذه الآثار ويتوقعوا اختفائها رويدا رويدا ٠

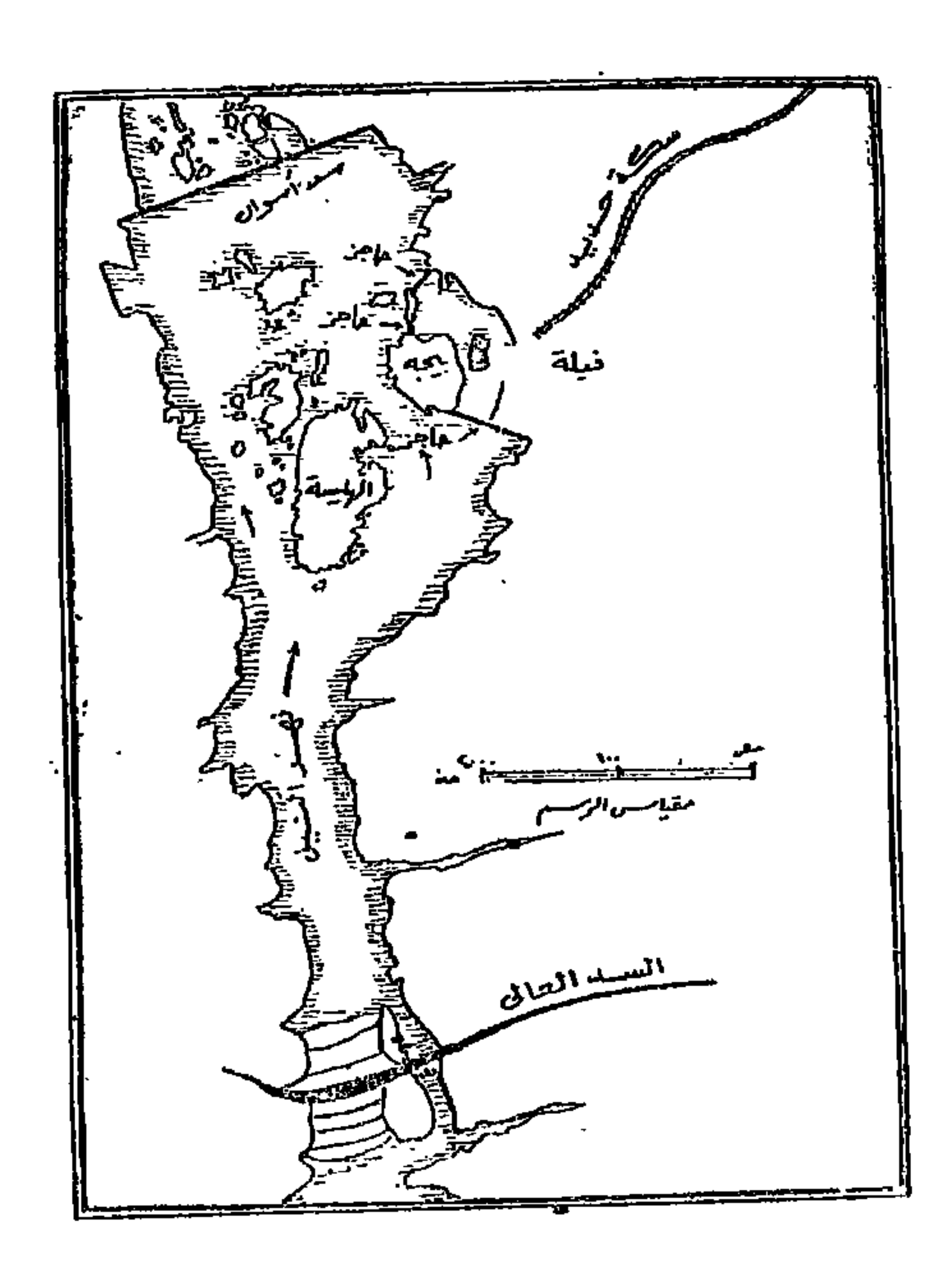
والآن وقد أصبح الغرق أكثر ارتفاعاً وامتداداً فان ما يمكن رؤيته بالفعل من فيلة سيتناقص على الدوام ، ولذلك يجب علينا انقاذها ، والا سنضطر ان نعزى أنفسنا ونتذكر دائما ان معابد الجزيرة الجميلة سيقتصر انتمائها وتاريخها على الفترة التى شهدت عصر انهيار مصر ٠

وعندما أخذ السد العالى أمل مصر فى الرخاء يفرض نفسه حلا لمشاكل الملايين بما يحمله من رى للحقول الجديدة ، وانارة للمبانى وقوى كهربية لتحريك المصانع ، فاذا بمياهه تزحف على رقعة تحمل مجموعة من اثمن واجمل الآثار التى ابدعها الانسان المصرى فى عهوده السحيقة (١) ٠

ان ما يحدث لفيلة يجرى تكراره ، ولكن بدرجة اقل فى معابد أخـرى غمرتها المياه جزئيا ويعود تاريخها إلى أقدم من فيلة لؤلؤة مصر الغرقى ٠

---

(١) كان على وزارة الثقافة ان تمد يدها لتنقذ آثار النوبة من الغرق صاعدة بها فوق قمة جديدة لتمثل العناق الخالد بين آثار الحضارتين الحديثة والقديمة على ضفاف النيل ، ووجدت وزارة الثقافة يدها قاصرة أمام آثارنا العملاقة فوضعت آمالها فى منظمة اليونسكو التى سارعت بتوجيه نداء دولى لانقاذ آثار النوبة ، وفى ايقاع مذهل أخذت تتوالى مساعدات الدول حكوماتها وشعوبها وأفرادها ، وتنوعت التبرعات من مال ومعدات وخبرات فى شتى جوانب الانقاذ ، وبين كل ذلك يلتقى الخبراء وتتناقش المشروعات وتقـام المعدات وتكدح مجموعات المهندسين والفنيين والعمال ، يدعم ذلك حملة اعلامية واسـعة النطاق شاركت فيها اجهزة الاعلام فى مصر والعـالم أجمع ٠ المترجم ٠



(شكل رقم ٥)

(خريطة تبين موقع جزيرة فيلة وبيجه من)
(السد العالى)

كانت فيلة فى الماضى البعيد بصخورها الجرانيتية الضخمة تشمخ أمام إسوان فى طريق النيل ، وكانت مياهه تتلوى حولها مكونة منها جزراً ساحرة ينبثق فيها النخيل سامقا برؤوسه الخضراء المثقلة بالثمار ، وكانت جزيرة فيلة المقدسة التى ارتفعت فوق أرضها مجموعة من المعابد ترجع الى العصر الفرعونى واليونانى والرومانى وتحمل طابع الحضارات الثلاث المصرية واليونانية والرومانية ، وتحتضن نصوصها ونقوشها اسرار فترة رائعة من فترات التاريخ المجيد .

ان معابد فيلة تعتبر اليوم من اقدم الأبنية فى هذه الجزيرة الساحرة فقد شيد الملك النوبى « طهارقا » (Taharqa) الفرعون الاثيوبى (الأسرة الخامسة والعشرين) أول مقصورة له عام ٧ ق.م ، ثم أقام الملك نقتانبو الأول بعد ذلك مقصورة أخرى صغيرة بالقرب منها وخصصها لعبادة الالهة « ايزيس » .

وقد وقف معبد ايزيس ربة الحب والجمال وسط هذه المعابد الرائعة تحفة فريدة تحتضنه الجبال العالية ويحاصره النهر والشلال ، وهى تتيه وسط ذلك كله بكنوزها الفنية من آثار العمارة والنحت والنقش .

ومن الغريب أن تظهر فجاة عبادة ايزيس فى هذه المنطقة التى كانت تقدس الالهة « خنوم » معبود جزيرة « ايلفنتين » والذى اعتبر لفترة طويلة سيدا لهذه المنطقة منذ العصور الاولى ، فقد اكتسبت هذه العبادة شهرة عريضة تمتعت بها لفترة طويلة فى هذه الجزيرة فى العصور القديمة .

وتفسيرنا لذلك أن الديانة المصرية فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى أخذت تنوه بصفات كثيرة للاله « أوزوريس » جاعلة منه الها وربا للانبات والخير العميم بل وللفيضان ايضا .

وقد قيل بان أحد أجزاء جسم « أوزوريس » قد دفن فى جزيرة صغيرة على مقربة من « فيلة » وهى جزيرة صغيرة فى « بيجة » ، ومن ثم اتخذت عبادة « ايزيس » زوجة « أوزوريس » ومنقذته من كل ما حاق به من أذى ،

ترتبط بجزيرة « فيلة » وكانت تقوم بزيارة زوجها فى جزيرته فى احتفال مهيب اكثر من مرة فى العام ٠

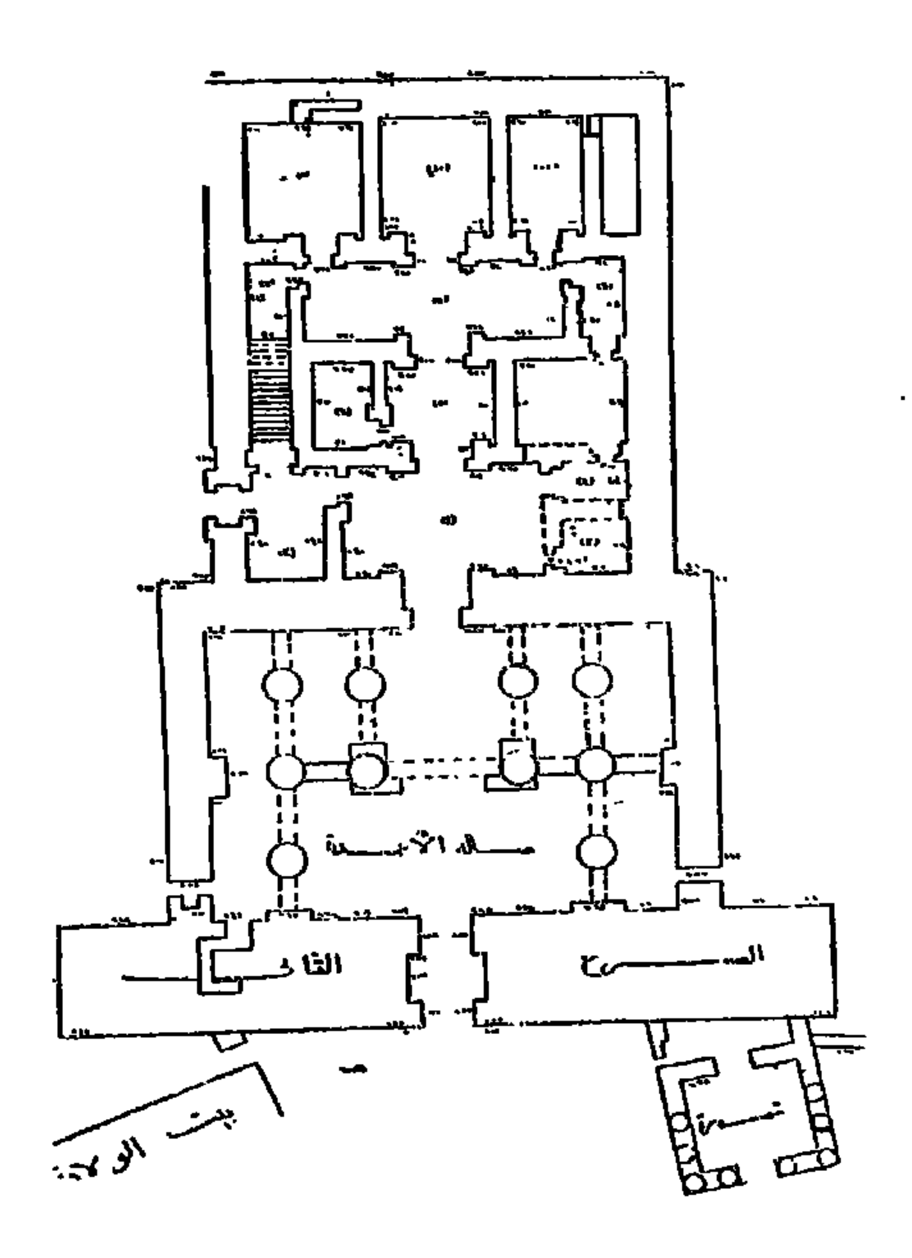
وفى الواقع اخذت ديانة « ايزيس » تلعب دورا كبيرا فى العالم القديم منذ عصر البطالمة على اساس انها الالهة الشافية والمنقذة من الامراض المختلفة ولها قدرة عجيبة فى شئون السحر حيث كانت تنتشر تلك الخرافات وتلقى رواجا شديدا فى العالم القديم ٠

ويرجع تاريخ بناء المعبد الرئيسى فى فيلة الى عصر البطالمة « فى القرن الثالث قبل الميلاد » ثم تعاقب بعد ذلك ملوك البطالمة ومن بعدهم الاباطرة الرومان وكل ملك منهم يشيد ويطور ويزيد من أجزاء واعمدة هذا المعبد ويضيف عليه صرحا او جزءا جديدا حتى اكتظت الجزيرة بمعابدها الكبيرة التى تزدان تيجانها واعمدتها بأجمل النقوش والمناظر الجميلة التى نعتبرها المعين والمصدر والالهام الذى لا ينضب للدراسات اللغوية والدينية والتاريخية للعصرين البطليمى والرومانى ٠

وفى طريقنا الى فيلة نشاهد جزر كنوصو (Konosso) الصخرية بعيداً عن الطرف الشمالى الأكبر للجزيرة ٠ حيث طغت المياه على هذه الجزر الصغيرة وسيزداد انغمارها تحت الماء مستقبلا ٠

غير أنه يوجد نقشان على الصخور جديران بالملاحظة ٠ احدهما مخطوط طويل يصف فيه تحتمس الرابع ، والد أمنوفيس الثالث ، كيف ان تلقى وحيا من امره بالقيام بحملة ضد ثوار النوبة المتمردين وكيف أنه قد نفذ هذه التعليمات حسب ارادة الآلهة ٠

وتقول الفقرة التى تشير الى الحملة : - (وبعد هذه الأشياء مضى جلالته للاطاحة بالزنوج فى النوبة ٠ قويا فى موكبه المنتصر معه مثل رع حينما يظهر فى موكبه السماوى ٠٠٠٠ وكان جيشه على كلا الشاطئين ٠٠٠٠ وكانت السفينة مزودة بالخدم عندما كان الملك يمضى فى موكبه فى النيل مثل أوريون ، (صياد أغريقى خرافى) وأنار الجنوب بجماله) ٠



(شكل رقم ٦)

(معبـد ايزيس الرئيسى بجزيرة فيلـة)

(كان الرجال يسبحون بحنوه وعطفه والنساء يرقصن ... لقد ملأ الخوف والرعب قلب كل شخص ... ان رع هو الذى القى الرعب منه فى قلوب الناس فى البلاد مثل سخمت فى سنه الطل والندى ... لقد سار جلالته خلال المرتفعات الشرقية ، وكان يعبر الطرقات مثل الثعلب .. وهذا كله شىء جميل جدا ولكن لابد ان الانسان كان يود ان يسمع بالرواية النوبية عن هذا النجاح الرائع) .

اما المخطوط الثانى فهو للملك امنوفيس الثالث ، ابن تحتمس الرابع وكان عليه ايضا ان يعيد العمل الذى انجزه أبوه بصورة تقترب من الاعجاز والتى بقيت لمدة قصيرة .. ونراه يقول « السنة الخامسة ، عاد جلالتـه بعد ان انتصر فى حملته الاولى المظفرة (١) . فى بلاد كوش التعس » .

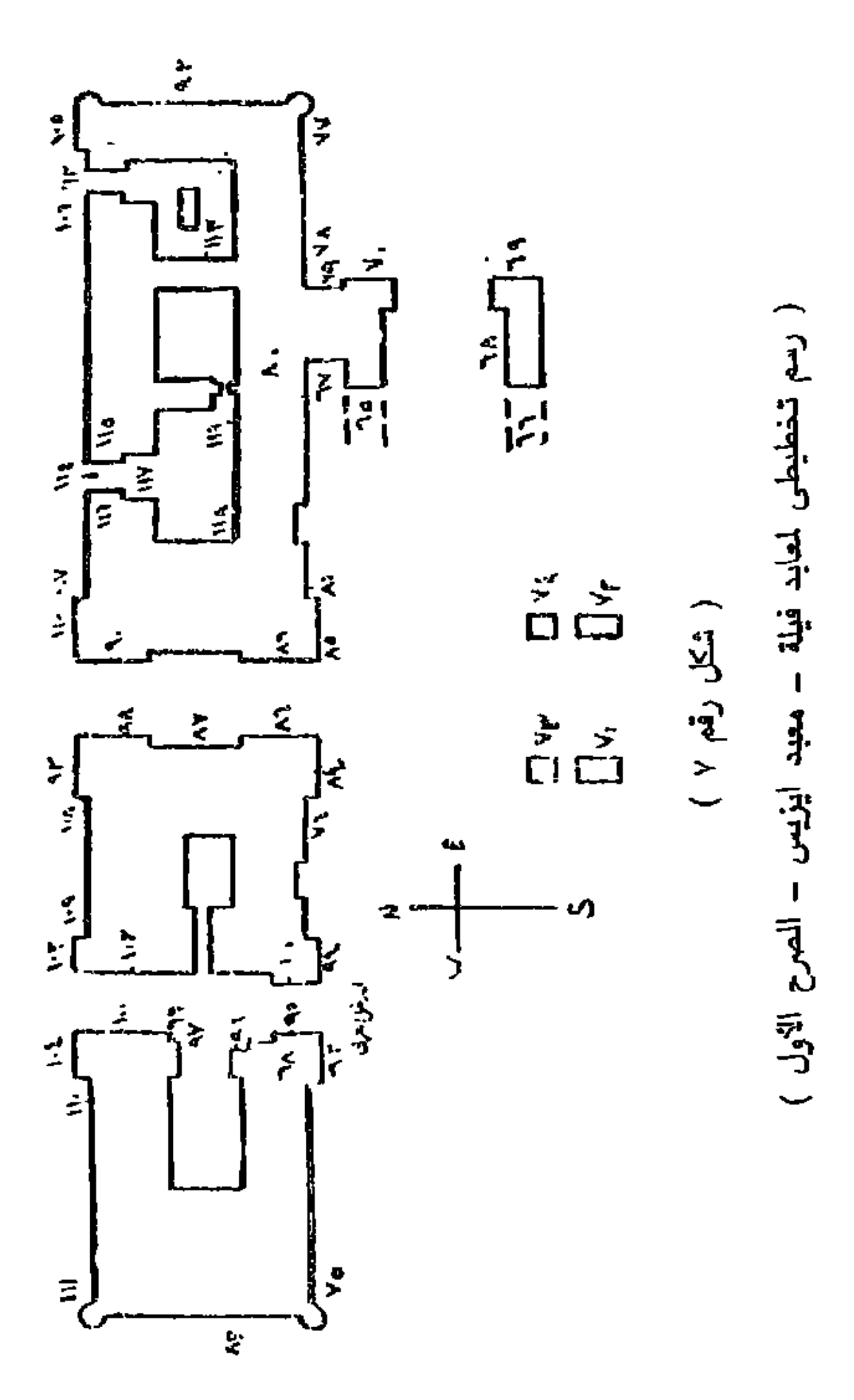
« وقد وسع الملك حدود بلاده الى المدى الذى كان يبتغيه ، والذى وصل الى الأعمدة الأربعة التى تحمل السماء . كما اقام لوحة لانتصاراته حتى « بركة حورس » .. « وليس هناك ملك من ملوك مصر استطاع ان يفعل ما فعله الى جانب جلالته القوى الشكيمة ، الراضى بانتصاراته وهو (نب . ماعت رع (امنوفيس الثالث) .

ان المرء ليرغب اشد الرغبة فى معرفة .. اين تقع (بركة حورس) ؟ . واين اقام امنوفيس الثالث لوحة انتصاراته . على أية حال نحن نعرف ان الحدود المصرية فى النوبة فى عهد أمنوفيس قد وصلت الى الشلال الرابع الذى كان اقصى مداها فى أى وقت من الأوقات .

وهنـاك مخطـوطات اخـرى لأبسماتيك الثانى (Psammetichus II) وايزيس ، ولكن المخطوطين السابقين هما اهم النقوش فى مجموعة كبيرة من المخطوطات المنقوشة ليس من المحتمل رؤيتها مرة أخرى .

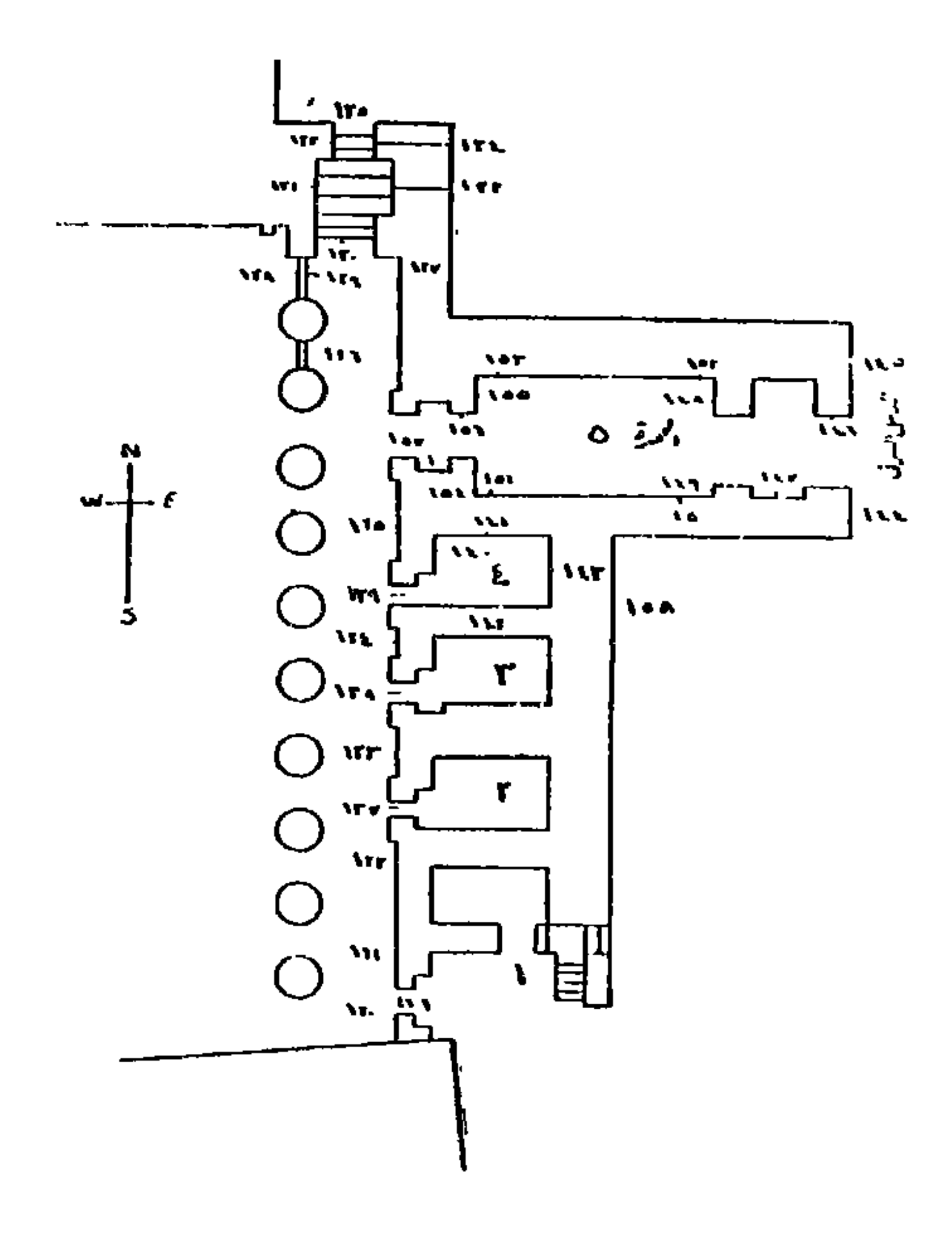
---

(١) (Breasted, Ancient Records, II 823 — 9)



(شكل رقم ٧)

(رسم تخطيطي لمعابد فيلة - معبد ايزيس - الصرح الأول)



(شكل رقم ٨)

(بهو الأعمدة الشرقى الثانى لمعبد ايزيس - بجزيرة فيلة)

نصل الآن إلى جزيرة فيلة التى تقع على مسافة ٢ ميل تقريبا جنوبى الخزان ، ويبلغ طول الجزيرة حوالى ٥٠٠ ياردة بعرض ١٦٠ ياردة وهى تتكون من كتلة من الجرانيت الوردى المختلط بالرخام الملون ، وقد تراكم طمى النيل إلى ارتفاع كبير فوق الصخر فى معظم الاماكن ولكن الجرانيت يظهر فى الركن الشمالى الشرقى وفى فناء معبد ايزيس خلف الصرح الثانى ٠

واسم فيلة يونانى يعادل الاسم المصرى القديم (ببلاك) وهو يعنى نهاية او ركن واقدم مبنى فى الجزيرة قائم الآن هو مذبح طهارقة الملك الاثيوبى من الأسرة ٢٥ وهو أقدم من المبنى التالى وهو معبد نقطانبو ٠

ومع أن فيلة لم تدخل الى الصورة المصرية القديمة الا قرب نهاية تاريخ مصر الطويل تقريبا ، الا أن كهنة أيزيس الذين استقر بهم المقام فى الجزيرة ، حاولوا بسرعة تعويض الزمن الضائع ٠ لقد سبق أن رأينا المخطوط فى سحيل الذى يزعم فيه أن الملك زوسر وهب هذه المنطقة الى الاله خنوم ٠

ولكن كهنة ايزيس فى فيلة لم يقتنعوا بأن يتركوا هذا الزعم بدون معارضة وجدل وبادروا الى المطالبة باحقيتهم بالمنطقة على أساس نفس الأسباب ـ اى أنها هبة من الملك زوسر كمكافاة لآلهتهم لأنها أبعدت المجاعة التى ظلت تفتك بالبلاد لمدة سبعة أعوام ٠

ولكن ما هو حقيقة الصراع الذى استمر فترة طويلة بين هاتين المجموعتين من الكهنة ، اننا قد نعرف القليل عنها فقط ، ولكن يحتمل أن يكون كهنة خنوم على حق لأن عبادة خنوم اقدم محليا من عبادة ايزيس والاحتمال الاكبر أن الحق لا يصمد كثيرا أمام القوة ، لأن ايزيس كانت أكثر شعبية من خنوم فى الأزمنة المتأخرة لمصر القديمة ٠

ان الشهرة العريضة التى تمتعت بها عمارة المعابد فى جزيرة فيلة فى العصور القديمة لم ترجع الى جمالها ونشاطها الملموس فحسب بل لأنهـا كانت مع جزيرة بيجة المجاورة لها من أكبر المراكز الدينية فى مصر القديمة حيث حلت محل أبيدوس مركزا لعبادة ايزيس أيام البطالمة والرومان فنجد



(شكل رقم ٩)
(معبد أيزيس بجزيرة فيلة)
(مغمور بالمياه)

على بوابة الامبراطور هادريان هذه النقوش التى نقشت هذه العبارت الجميلة :

(الربوة المقدسة هى الملكوت الذهبى لأوزوريس وشقيقته ايزيس واذا فهى من نصيبها منذ الأزل ٠٠ ربوة الغابة المقدسة هذه لن تفتقر الى اللبن ولن يفتقر اليها المعبد الذى دفن فيه أوزوريس واقيم من أجله وحوله ٣٦٥ مائدة للقربان مزينة بسعف النخيل ، حتى لا تنقطع القرابين وحتى نتوافر المياه من حوله) ٠

والكاهن الأعظم يقيم كل يوم قداسا ويقدم القرابين لايزيس سيدة فيلة كل يوم ٠٠ لتصمت الطبول والمزامير ٠٠ ولن يدخل أى انسان هنا ٠٠ لن تطأ قدم بشر كبيراً كان أو صغيرا هذه البقعة المقدسة ٠٠ ولن يصاد طير او سمك على بعد شاسع من الجنوب والشمال والشرق والغرب ٠٠ لن يرتفع أى صوت خلال الفترة المقدسة حينما تكون ايزيس سيدة فيلة الجالسة على عرشها حاضرة تسكب القرابين كل عشرة أيام) ٠

وعلى الرغم من أن بناء المعابد فى فيلة قد بدأت متأخرة الا انها قد تقدمت بنشاط كبير حينما بدأ وأصبح سطح الجزيرة كله زاخرا بالمبانى والمنشآت التى يتراوح تاريخها بين عهد « الامبراطور هادريان وعبادة ايزيس لقد ازدهرت عبادة ايزيس حتى جعلت الجزيرة مشهورة أيام البطالمة والرومان وكان انتشارها متأخرا ، ولم تكن لها جذور قديمة قبل العصر البطلمى ٠

ولكن كهنة هذه الآلهة العظيمة ايزيس سرعان ما نجحوا بسرعة فى جعل عبادتهم هى الأقوى فى مصر العليا ٠

وفى أثناء حكم بطليموس السادس فيلوميتر ، سلم ذلك الملك مقاطعة الدوديكا شينوى وهى المنطقة التى كانت مثار نزاع بينهم وبين كهنة خنوم ٠

الى كهنة ايزيس لكى يتولوا ادارتها ، وكان هذا يعنى ان منطقة يبلغ طولها زهاء ٩٠ ميلا او اكثر اصبحت خاضعة تماما لهؤلاء الكهنة .

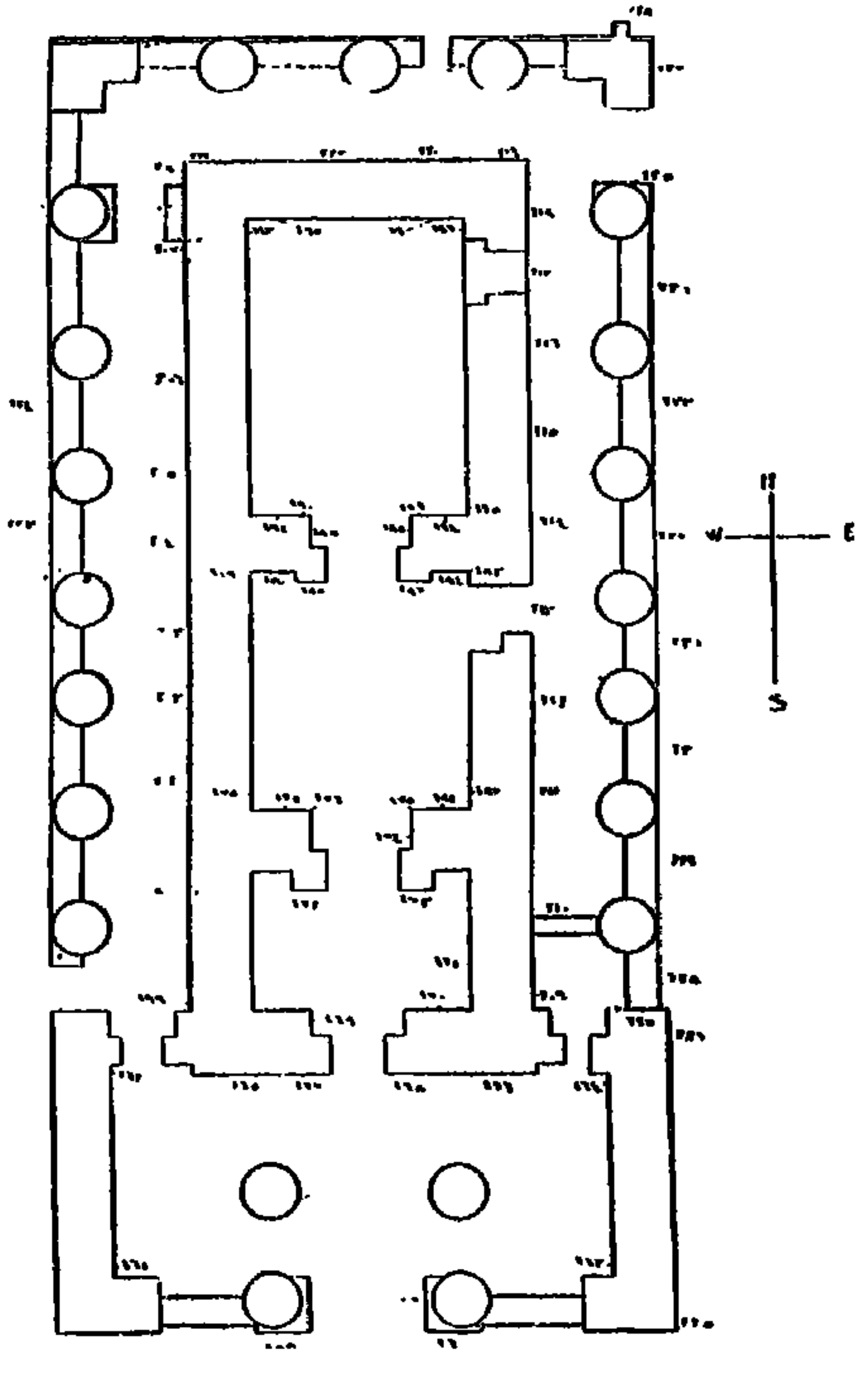
ويبدو انه حدث فى زمن متاخر ان اصبح كهنة ايزيس يمتلكون جميع منطقة النوبة السفلى حتى الشلال الثانى ، كما ان الشعبية الغريبة التى حققتها عبادة ايزيس ايام الامبراطورية الرومانية لم تغب عن بال كهنه فيــــلة .

وقد استمرت عبــادة ايزيس بعــد المراسم التى أصدرها ثيودوثيوس بوقت طويل محتفظة بشعبيتها فى فيلة لفترة طويلة ، على ان معابد فيلة لم تغلق الا فى عهد الامبراطور جوستينيان (٥٢٧ — ٥٦٥) ميلادية ، وفى عام ٥٧٧ م حول الأسقف ثيودوروس معبد ايزيس الى كنيسة مسيحية .

لقد اصبحت الأطلال المبنية باللبن للمدينة القبطية التى كانت قد نمت فى أعقاب ذلك التاريخ حول المعبد الوثنى السابق . والتى كسفت وتم تخطيطها فى عام ١٨٩٥ قد اصبحت الآن فى ذمة الماضى .

كما كرس معبد « نقطانبو » وهو اقدم معبد فى الجزيرة للإلهة حتحور وايزيس وسخمت ولم يعرف على وجه التحديد فى أى حقبة من الزمان انتشرت الأسطورة عن ان فيلة كانت واحدة من البقاع المقدسة التى كرست للعبادة بن أن دفن فيها أحد اعضاء جسد أوزوريس الممزق .

ولكن حينما ثار الجدل حول هذه الأسطورة استغلها كهنة ايزيس أحسن استغلال وأصبحت الجزيرة مسرحا للطقوس الدينية والعبادة والتمثيلات العاطفية المتعلقة بعبادة وآلام أوزوريس كالتى كانت تقام فى منطقة أبيدوس وغيرها من البلدان .



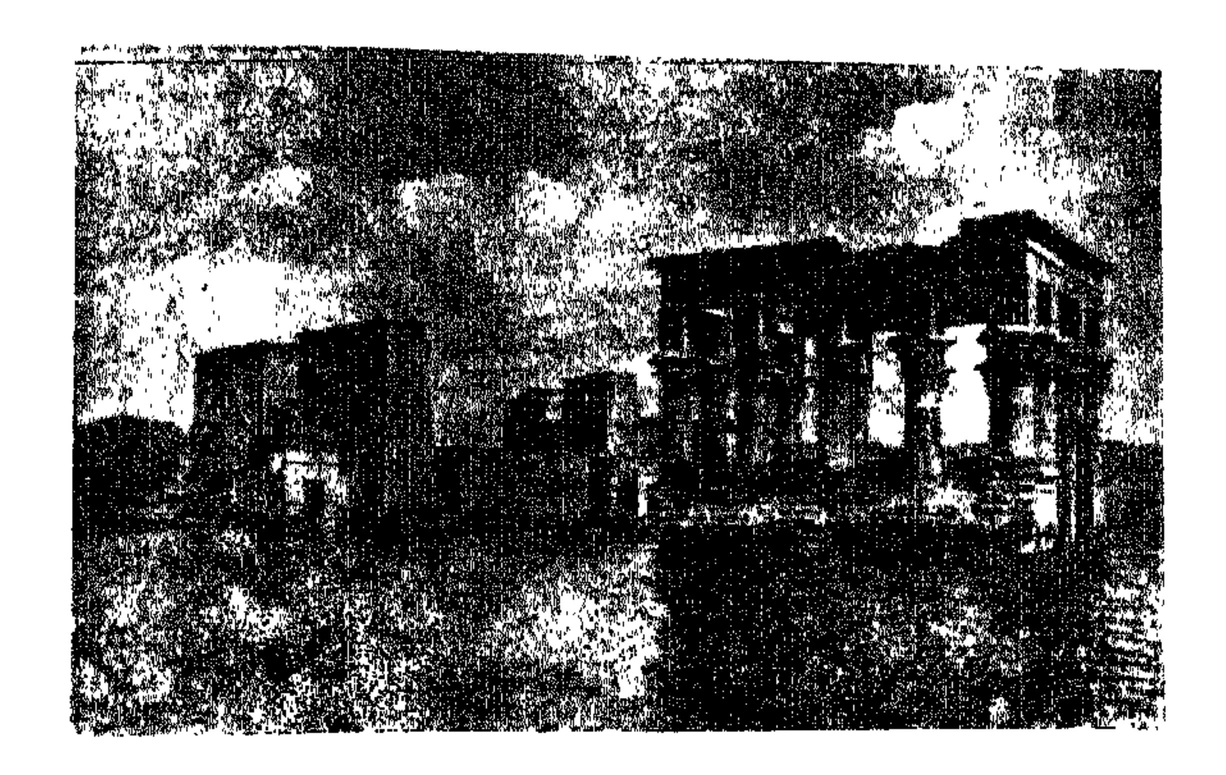
(شكل رقم ١٠)

(معبد ايزيس بجزيرة فيلة) (بيت الولادة)



(شكل رقم ١١)

(ايزيس تحمى أوزوريس بجناحيها)
(متحف برلين)



(شكل رقم ١٢)

(شكل آخر لمعبد ايزيس بجزيرة فيلة)

(فى أسوان حيث تغمره المياه)

كان مزار اوزوريس العظيم ى ابيدوس قـد اصابه التلف ق ذلك الوقت وانتقلت شهرته بكل سهولة الى فيلة ٠ واجتذب لذلك حشودا كبيرة مـن المتعبدين والزوار اليها ٠ واستطاعت ايزيس زوجة أوزوريس تدريجيا ووفقا للاتجاه الذى كان يسرى فى جميع انحاء العالم الرومانى أن تتفوق وتحل مكان زوجها اوزورويس واصبحت آلهة فيلة المقدسة بلا منازع ٠

كما اصبح حورس الذى كان له علاقة قديمة مع بيجة الها ثانويا ومشاركا لهـا ٠

نبدا وصفنا لمعابد فيلة بالركن الجنوبى ـ الغربى للجزيرة حيث يرتفع معبد « نقطانبو » فوق المياه مباشره حينما يكون الخزان منخفضا ٠ وكان هذا المعبد ى الماضى عبارة عن الفناء الأول والموقوف للالهتين حاتحور وايزيس وجميع الهة بيجة (سخمت) ٠

وقد اجرى الملك بطليموس الثانى فيلادلفوس تجديدات فى المبنى الأصلى حيث كان ى الأصل يرتكز على اربعة عشر عمودا ، ولم يتبق منها الان سوى ستة أعمدة فقط ولهذه الاعمدة تيجان عليها نقوش زهور ونباتات مختلفة وتيجان على هيئة صلاصل موسيقية تحمل رؤوس حتحورية فوق التيجان الاقل انخفاضا ٠

وذلك وفقا للطراز الفقير الذى كان معمولا به فى العصور المتاخرة ، وقد اختفى السقف كما اختفت احدى المسلتين المنحوتتين من الحجر الرملى والتى كانت مقامة امام النهر ، أما المسلة الاخرى فمازالت قائمة ولكنها فقدت تاجها عند القمة ٠

كانت الاعمدة مرتبطة بستائر حجرية مزخرفة بنقوش نباتية وحليات معمارية جميلة ، وصفوف من رؤوس الافاعى ، وعلى واجهة المعبد الشرقية يرى الملك على الستائر الحجرية امام الآلهة خنوم وساتت وأزوريس وايزيس ، فيما يظهر على الواجهة الغربية للستائر أمـام آمون ومـوت ، وايزيس وانوقيت ، وخنوم وواجيت وأوزوريس والطفل حورس ٠

وفى داخل المعبد يرى الملك على الجانب الشرقى فى حضرة ايزيس

ونفتيس وحاتحور مع آلهة وآلهات مختلفة ، ويظهر على الجانب الغربى امام أوزوريس وايزيس وخنوم وحورس اله ادفو ، ويرى تحوت اله هرمؤبؤنيس وآلهة أخرى ٠

وبالقرب من معبد (نقطانبو) وعند الطرف الجنوبى لصف الأعمدة الشرقى المؤدى الى معبد ايزيس ، يوجد معبد (أرى - حسى - نفر) أو ارسنوفيس وهى صورة محلية للالهة شو الهة الهواء القديم ، وذلك المعبد قد أصابه للاسف تلف شديد حيث كان له فى الماضى دهليز ورواق ومحراب ولكن كل هذه الأشياء قد زالت ٠

أما قاعدة جدران الصالة الأمامية فمازالت موجودة ومنقوش عليها موكب من شخوص حابى اله النيل ٠ وتظهر بقايا النقوش البارزة بطليموس الرابع فيلوباتور ، وبطليموس الخامس أبيفانز اللذين قاما ببناء المعبد وأمامهم الآلهة المختلفة ٠

ومازال جزء من جدران السور متبقيا وعليه أربعة صفوف من المناظر



(شكل رقم ١٣)
(ايزيس وأوزوريس على شكل أفاعى فى مقصورة)
(متحف برلين)

المختلفة التى تظهر الامبراطور تايبريوس أمام الآلهة بما فيها الاله ارسنوفيس . وعلى الجزء المنهار من السور يظهر الملك أرجامون ، الملك الاثيوبى المعاصر للامبراطور بطليموس الرابع والذى اشترك مع الملك المصرى على ما يبدو فى بناء المعبد ومع بطليموس الرابع وبطليموس السابع وتايبريوس .

واذا عدنا الى طرف الجزيرة الجنوبى ، نتبع خط الأعمدة الغربى ، الذى يصل من معبد نقطانبو الى معبد ايزيس العظيم ، وهذا الطريق الرائع الجمال يبلغ طوله حوالى مائة ياردة ويمثل أمام النهر جدارا مستقيما يعلو على جدار الأساس الذى يواجه الماء .

ويتكون صف الأعمدة هذا من ٣١ عمودا (كانت فى الأصل ٣٢ عمودا) ومازال بعضها يسند أجزاء من السقف المزخرف برسومات منقوشة تمثل الطيور الجارحة والكواكب والنجوم .

والجدار الخلفى مازال بحالة جيدة ومزخرفة بصفين من مناظر بارزة تمثل كلوديوس وتايبريوس وجيرمانيكوس أمام آلهة متعددة ، كما أن النوافذ المفتوحة فى ذلك الجدار تطل على النيل . وللأعمدة تيجان جميلة زخاف نباتية من الأزهار وسعف النخيل .

وتمتاز بتنوعها الكبير ، وهناك فوق تيجان الأعمدة عوارض مرتكزة على أعمدة أخرى صغيرة مزخرفة برسومات لأشكال هندسية متنوعة بارزة ومقوسة . وتعتبر الاعمدة هذه فى جملتها من أشد ملامح وخصائص الجزيرة جاذبية ، ولذلك فان انغمارها تحت الماء (١) شىء يؤسف له ولا مفر منه ، وعند

---

(١) ان جزيرة فيلة القديمة التى غمرتها مياه النيل بعد بناء السد العالى ، والتى كانت تحمل أجمل وأقدم معابد التاريخ تم انقاذها وفكها ونقلها الى جزيرة أخرى عالية فى نفس المكان بعيدا عن الماء وحفاظا على مجد التاريخ وحضارة الانسان ، فقد قامت وزارة الثقافة بعمل رائع وضخم مع هيئة اليونسكو فى انقاذ هذه الكنوز وتم نقلها الى جزيرة فيلة الجديدة ، حيث اقيم على هذه الجزيرة المعبد من جديد وحيث تم نقل مئات الآلاف من أطنان الحجر ، وكيف =

الزوايا القائمة لصفى هذه الأعمدة نجد هناك ممر سفلى يصل الى الماء ، وكان هذا الممر يستخدم مقياسا للنيل ٠

لم يستكمل صف الأعمدة الشرقى الذى كان يبدأ من معبد ارسنوفيس حيث يبلغ عدد اعمدته سبعة عشر عمودا ولم يستكمل منها غير سنة اعمدة ، اما الاحد عشر عمودا المتبقية فان نحتها خشنا ٠

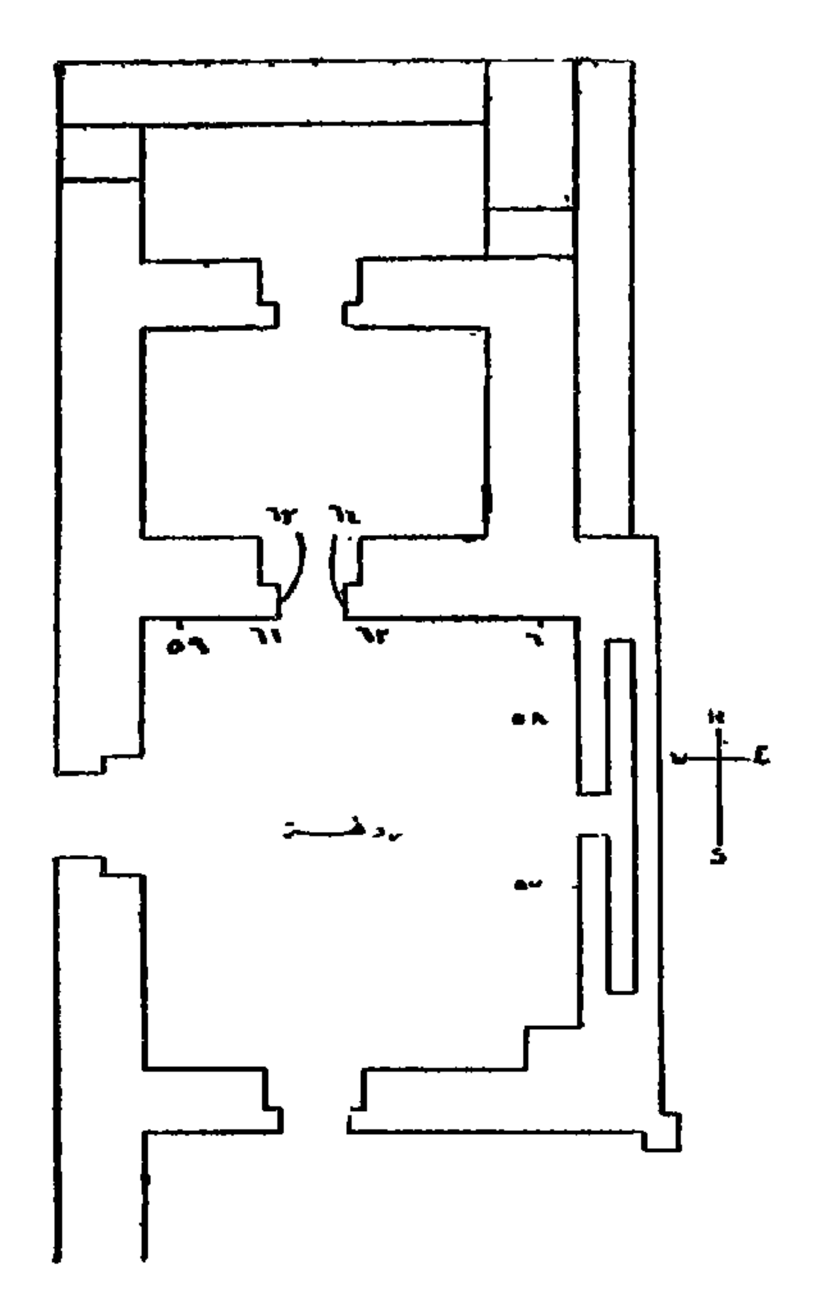
وهناك خمس بوابات فى الجدار الخلفى الخالى من الزخارف ٠ وتؤدى هده البوابات إلى فناء حيث توجد اطلال معبد مندوليس الصغير ، وهو معبد قد خصص لعبادة اله الشمس المحلية « الاله الباعث للضوء » وهناك بالقرب من معبد ايزيس العظيم بوابة سادسة تؤدى الى فناء معبد امحتب الصغير الذى شبهه الاغريق باسم ايموثيس ـ باسكليبسوس ٠

والبوابة التى تؤدى الى المعبد تقع على الجانب الأيسر لهذا الفناء وعليها نقوش لشخوص تمثل بطليموس الخامس ابيفانز ، أمام امحتب على الجانب الأيسر فيما يبدو على اليمين والى الامام تالوث الشلال المؤلف من خنوم وساتت وأنوقيت على الجانب الأيمن ، وكذلك أمام أوزوريس وايزيس وامحتب ٠

اما الغرفتان الواقعتان وراء البوابة فهم غير مزخرفتين ٠ ان الذى بنى هذا المعبد فى الواقع هو بطليموس الثانى فيلادلفوس ، وهناك بينه وبين الواجهة ذات الأبراج التابعة للمعبد العظيم بوابة جميلة من عمل بطليموس الثانى فيلادلفوس ايضا ٠

=

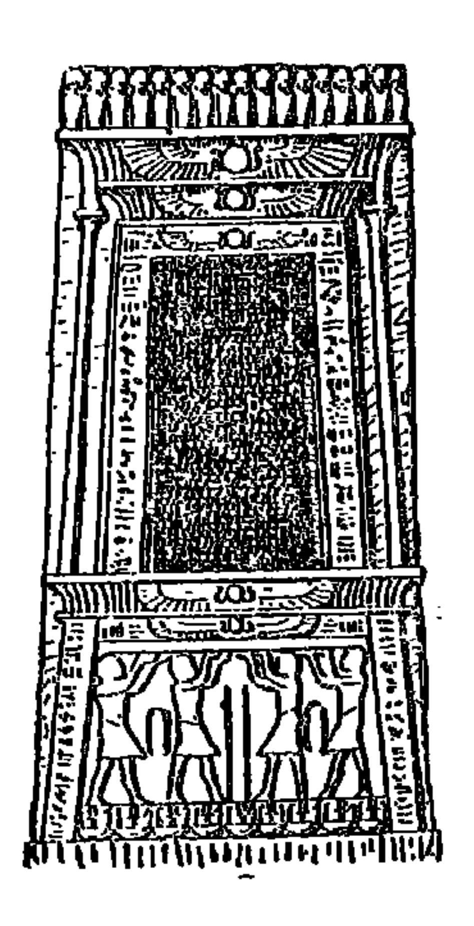
تم ترقيم ملايين الاحجار التى يتكون منها المعبد ، ثم فكها واعادة تركيبها من جديد بنفس شكلها القديم ، مع استخدام احدث ما وصل اليه العلم فى الترميم ، اكثر من ذلك فقد حافظوا على بلاط أرضية المعبد ووضعوه كما هو ، وتم زرع اسجار جديدة من نفس نوع الأشجار فى الجزيرة التى غمرتها المياه ، وكم بذل الرجال الذين سال عرقهم مع ماء النيل لانجاز هذا العمل الكبير وعملية تفجير الصخور بالديناميت من اجل تسوية الجزيرة الصخرية التى أقيم عليها المعبد الذى تكلف نقله سبعة ملايين من الجنيهات بالاضافة الى مبلغ مماثل من الدولارات شاركت بها هيئة اليونسكو الدولية ٠ (المترجم) ٠



(شكل رقم ١٤)

(معبد امحوتب بجزيرة فيلة)

وربما كانت تشكل فى الماضى طريقا استبدل بصف الأعمدة الشرقى الحالى · ولهذه البوابة نقوش بارزة جميلة وحليات معمارية منقوشة على عتبة وجهها الغربى ويظهر من بين هذه النقوش رسومات بارزة لمناظر تبين فيلادلفوس وهو يرقص امام خنوم وحاتحور ومرة اخرى أمام اوزوريس وايزيس وساتت وانوفيس وغيرها من الآلهة · وتبين قوائم كتف البوابة الامبراطور تايبريوس واقفا أمام الآلهة ·



(شكل رقم ١٥)

(نازوس من العصر المتاخر من معبد فيلى)
(بجزيرة فيلة ــ متحف باريس)

نصل الآن الى معبد ايزيس العظيم (١)، الذى بدأه بطليموس الثانى فيلادلفوس (عام ٢٨٣ — ٢٤٥ قبل الميلاد)، وأتم أجزاءه الرئيسية بطليموس الثالث افرجيت الأول ٢٤٧ — ٢٢١ ق٠م وقد بقيت زخرفته بالطبع مدة طويلة ، ولكن المعبد لم يستكمل قط ، وتعتبر البوابة العظيمة ذات الأبراج مبنى مهيبا شامخا يبلغ عرضه ١٥٠ قدما وارتفاعه ٦٠ قدما ٠

أما البوابة الرئيسية الواقعة بين البرجين فان بناؤها أقدم عهدا من بقية المبنى كله ، وقد تولى بناءه الملك (نقطانبو) فى نفس الوقت الذى

---

(١) فى مطلع القرن العشرين اقيم خزان اسوان وبدأت المياه المختزنة تتسلق شواطىء الجزيرة المقدسة ، وأخذت تزحف رويدا رويدا داخل دروبها ، وهكذا دخلت المعابد مع المياه الزاحفة معركة الموت والحياة ، وأسرعت أيد صامدة ترمم المعابد وتقوى أساساتها وتعيد الأحجار المتناثرة الى حيث كانت وتلصقها بأماكنها الأولى ، وتأهبت المعابد لمقاومة المياه التى كانت تتزايد عاما بعد عام ، حتى تمت تعلية الخزان مرتين فأصبحت المياه تغمرها طوال العام ، لا تنحسر عنها الا خلال شهرين فقط أو ثلاثة شهور ، ثم يقبل الفيضان فتفتح له بوابات الخزان ، وبدأ السد العالى يرتفع وشغلت وزارة الثقافة باثار النوبة الواقعة جنوب السد هى ومنظمة اليونسكو والدول المعاونة حتى استطاعوا جميعا انقاذها ، ومع الانتهاء من آخر خطوة فى مشروع انقاذ النوبة ، تحين التفاته الى لؤلؤة مصر ، فاذا بالمياه ترتفع فوقها عاليا حتى تغطى معظم جدران المعابد ، وتثبت على وضعها طوال الأعوام لا تنحسر عنها كما كان يحدث فى الماضى شهرين أو ثلاثة شهور فى العام ، فقد انتهت الى الأبد خطورة الفيضان على أرض مصر شمال السد ، وغابت لؤلؤة مصر عن العيون ، ولم نعد نرى منها الا تيجانها وأطرافها العليا فقط ، ولا نستطيع أن نمشى على أرضها ، لكننا ما نزال نملك ان ناخذ قاربا يسلك بنا فوق الطريق الذى تتابع على جانبيه الأعمدة والتماثيل التى ابتلعتها المياه ، وبدلا من أن نلمس أرض معبد ايزيس نرى اعيننا السقوف وقمم الأعمدة ونحن نتجول حول المعابد وقد أرتفع الصرح الكبير المليء بالنقوش والصور ونشاهد ايزيس عملاقة شامخة ، ونحس كأنها تمد يدها نحونا تدعونا أن نبادر بانقاذها من الماء الذى صبغ جدران المعبد بألوان قاتمة كئيبة معتمة ٠ ونترك المعبد ، لكن ايزيس تظل دائما طيفا ساحراً ينادينا ، وجسدها الممشوق السابح أمامنا فى الماء يعلو ويهبط مع هزات المياه ويلحق بقاربنا الذى يسعى الى الشاطىء حزينا يبكى اللؤلؤة الغرقى ٠ (المترجم) ٠

كان يبنى فيه معبده الصغير الذى شاهدناه ، وتبين النقوش البارزة على عتبة البوابة العليا رسما بارزا لنقطانبو وهو يرقص أمام أوزوريس وايزيس وخنوم وحاتحور .

وعلى الجانب الأيمن من سمك البوابة الرئيسية مخطوط مكتوب باللغة الفرنسية يسجل وجود قوة من الجنود الفرنسيين بقيادة الجنرال ديزيه (Desaix) فى خلال الحملة الفرنسية (بقيادة نابليون بونابرت) على مصر حيث طاردت هذه القوة عساكر المماليك حتى هذه النقطة .

ونرى أيضا على برجى البوابة نقوش وزخارف بارزة لشخوص تبين بطليموس الحادى عشر ، نيوس ديونيزوس (أوليتس) وهو يذبح أعداءه أمام ايزيس وحورس ، اله ادفو وحاتحور . بينما يرى فوق ذلك الملك نفسه وهو يقدم قرابين الى حورس ونفتيس وايزيس وحورس الطفل .

وتوجد أيضا بوابة اضافية عبر البرج الى اليسار (الغرب) تؤدى الى بيت الولادة ، الواقعة بين هذه البوابة والبوابة الثانية . وأمام البرجين نشاهد أسدان واقفان يعود تاريخهما الى العهد الرومانى أو البيزنطى .

وهنا أيضا كانت تقوم مسلتان صغيرتان من الجرانيت الوردى قائمتان فى ذلك المكان أقامهما بطليموس السابع ، افرجيت الثانى ، وقد قام العالم الكبير بلزونى (Belzoni) فى عام ١٨١٨ بازالة واحدة منهما بعد أن كان قد طمع فى الاستيلاء عليها عند زيارته الأولى لجزيرة فيلة فى عام ١٨١٥ .

ويعتبر تقرير بلزونى عن مغامراته فى ازالة هذه المسلة ممتعا ومسليا ، ولا سيما عند النقطة التى يتحدث فيها عن انهيار المسلة فى النيل نتيجة لهبوط الرصيف الذى عهد الى الأهالى باقامته (١) لتستند عليه المسلة عند خلعها .

والمسلة يبلغ ارتفاعها ٢٢ قدما ووزنها يبلغ حوالى ستة أطنان ، وقد

---

(١) (Narrative, pp. 353 — 63)

بيعت فى النهاية الى السيد د٠ن بانكيس من كنجستون لاسى دورسيت وقد اقامها بنفسه بحضور دوق ويلنجتون (' فى انجلترا) عام ١٨٣٩ ٠

ولهذه المسلة اهمية كبيرة لأن المخطوطات اليونانية والكتابات المنقوشة على قاعدتها تحكى عن نفس العصر الذى يماثل المخطوط الهيروغليفى الأصلى على احد جوانبها وبذلك مكنت السيد بانكيس فى عام ١٨١٦ وقبل نقلها من قراءة ومعرفة الكتابة الهيروغليفية المكتوبة عليها والمتعلقة بكليوباترا زوجة افرجيت الثانى ٠ وبذلك اسهم فى حل رموز هذه الكتابات الهيروغليفية ٠

وبعد أن نمر الآن عبر البوابة الرئيسية نجد انفسنا فى الفناء الأمامى للمعبد ، ويقع على يسارنا (' الى الغرب) بيت الولادة وعلى اليمين (الى الشرق) صف من الأعمدة المزخرفة تيجانها بالنحت البارز والنقوش الجميلة للنباتات والزهور وسعف النخيل ٠

واذا عدنا إلى الخلف لنرى المناظر والنقوش البارزة على الجانب الخلفى للأبواب ذات البروج التى عبرنا منها للتو ، نرى على يميننا الى (الغرب) نيوس ديونيزوس أمام أوزوريس وايزيس وغيرهما من الآلهة بينما يوجد فى أسفل هذا المشهد مركبان مقدسان يحملهما موكب من الكهنة ٠



(' شكل رقم ١٦).
(التمساح الذى حمل جثة أوزوريس الى البر)
(' متحف برلين)

وعلى يسارنا (' الى الشرق) يرى نفس الملك واقفا أمام الاله آمون والاله موت وعدة آلهة أخرى ٠ .وفى هذا البرج توجد بوابة صغيرة التى تقف الى جانبها ، تؤدى الى غرفة مزدوجة بنقوش لشخصين تمثل بطليموس

الثانى سوتر الثانى واقفا أمام ايزيس وحاتحور وحورس وترافقه زوجته والأميرة كليوباترا التى تقف أمام ايزيس ٠

وعلى مسافة صغيرة الى الشرق تحت الباكية توجد بوابة صغيرة تظهر فوقها نقوش بارزة تبين بطليموس الحادى عشر نيوس ديونيزوس وهو يغادر قصره مصحوبا بأعلام البلاد ، وتؤدى هذه البوابة الى سلم ينتهى صعدا الى قمة الأبراج ٠

نعبر الآن الفناء الأمامى الى جانبه الغربى لكى ندخل بيت الولادة ، الذى يمكن الوصول اليه كما تقدم ، من البوابة عبر الواجهة الكبيرة (البرج الغربى) ٠ وهذه البوابة مزخرفة بنقوش جميلة بارزة تمثل بطليموس السادس ، فيلوميتر ، بحضور آلهة مختلفة ووراءها مشاهد أخرى تعرض وتشرح الموضوعات المتعلقة ببيت الولادة وقصة ميلاد حورس وطفولته ٠

وأمام المبنى الرئيسى نشاهد رواق يرتكز سقفه على أربعة أعمده ، ويلى ذلك غرفتان ثم محراب ٠ وحول ثلاثة جوانب من المبنى يمتد صف من الأعمدة الجرانيتية لها تيجان مزخرفة بنقوش لأزهار فوقها تيجان ذات صلاصل عليها رؤوس حاتحورية ٠

وجميع الجدران والأعمدة والستائر الحجرية بين الأعمدة قد زينت بالزخارف العادية التى تبين الفرعون ، الذى يحتمل ان يكون بطليموس السادس أو السابع أو بطليموس الحادى عشر أو الامبراطور تايبريوس بحضور آلهة مختلفة ٠

ان تكرار وصف هذه المناظر يبعث على الملل ، فجدران الغرفة الأولى غير مزينة اما جدران الغرفة الثانية فعليها مجموعة غريبة من النقوش البارزة حول الجزء السفلى من الغرفة ، حيث تظهر أنواع غريبة من المعبودات والالهة بين مستنقعات من ورق ونبات البردى ٠

وتحدث الأسطورة وتحكى عن هذا الموقع باعتباره مكان مناسب لميلاد حورس وأهم مشهد فى المحراب هو المشهد المنقوش على الجدار الشمالى

(الجدار الخلفى) حيث يرى صقر حورس وعلى راسه التاج المزدوج وهو واقف بين غابات البردى ٠

وتحت هذا المشهد نشاهد ايزيس مع حورس الحديث الولادة وهى تحمله بين ذراعيها ، بينما يلتف حولها الاله امون — رع والآلهة تحـوت وواجيت ونخبت وحور بيجودتى (Behudti) ٠ وعلى الجانب الشرقى من الفناء الامامى ، نشاهد صف جميل للغاية من الأعمدة الجرانيتية ذات التيجان المزخرفة بنقوش بارزة للزهور وسعف النخيل ويعلوها الافريز المحدب العادى ٠

وهذا الافريز بدوره يحمل صفاً من الأفاعى المقدسة ، ويسند المخطوط المنقوش على العارضة المرتكزة على اعمدة ، وقد قام ببناء هذا الدهلير بطليموس السابع (افرجيت الثانى) ، ولكن النقوش البارزة على الجدار تبين بطليموس الحادى عشر نيوس ديونيزوس واقفا أمام الآلهة ٠

ويخترق الجدار الخلفى للباكية ستة أبواب ، ويبدو أن هذه الأبواب تسهل العبور الى الغرف التى كانت تستخدم لأغراض عملية مختلفة او طقوس دينية تتعلق باقامة الشعائر الدينية والعبادة وصنع البخور وتخزين الكتب المقدسة وما الى ذلك ٠

فى الفناء الامامى للمعبد العظيم الذى نقف فوقه ، يوجد أقدم بناء فى الركن الجنوبى الشرقى من معابد فيلة وهو مذبح من حجر الجرانيت الوردى للفرعون الأثيوبى طهارقا ٠ حيث يتألف الجدار الخلفى من الفناء من الواجهة الضخمة ذات الأبراج رقم ٢ الذى يبلغ عرضه ١٠٥ أقدام بارتفاع ٤٠ قدما ٠

ويتم الوصول الى بوابة الابراج عن طريق منحدر ذى درجات قليلة الارتفاع ويزين البوابة مناظر مهشمة من النوع العادى وتظهر افريجيت الثانى فى حالة مشوهة تمام أمام مجموعة من الآلهة الأكثر تشويهـا هى الأخرى ٠

وعلى البرجين مناظر تمثل نيوس ديونيزوس وهو يقدم البخـور

ويهب العطايا والحيوانات كقرابين الى حورس وحاتحور وآلهة أخرى ٠ وعند أسفل قاعدة البرج الشمالى تبرز كتلة من الجرانيت الطبيعى من تكوينات الجزيرة ٠ وقد جرى تهذيب هذه الكتلة ونحتها حتى تشكل قاعدة فخمة يقف عليها بطليموس السادس فيلوميتر وزوجته واقفين أمام ايزيس وحورس وأمام أوزوريس وايزيس ٠

ويشير مخطوط من ستة أسطر فى أسفل هذه القاعدة ومؤرخ فى السنة الرابعة والعشرين الى منح هذه المنطقة الى أيزيس ٠

واذا اخترقنا البوابة الكبيرة نلاحظ على الجانب الشرقى مخوطـا الأسقف المسيحى تيودوروس ٠ ونجد أنفسنا الآن فى فناء صغير مكشوف كالذى كان فى الماضى وهو عبارة عن صف من الأعمدة على جانبيه الشرقى والغربى ويرتكز سقفه فى كل حالة على عمود واحد ٠

وكان يمكن اغـلاق أماكن الفراغات بين الأعمدة بواسطة مظلة تنصب بواسطة سدة من الحبال ٠ وينفصل هذا الفناء الصغير عن الدهليز بجدران



(شكل رقم ١٧)
(شاهد منقوش على جدار مقبرة من العهد)
(الرومانى ، يتضرع فيه الموتى أمام أوزوريس)
(متحف برلين)

ستائرية تصل ما بين اربعة أعمدة وخلفها اربعة اعمدة أخرى تساعد على حمل سقف الصالة ٠

وهناك النقوش البارزة المنتشرة بكثرة والتى أزيلت من الجانب الشرقى للصالة واقيم بدلا منها مذبح مسيحى ، ونحتت صلبان قبطية على الجدران ٠ وعلى جانب البوابة المؤدية الى الغرفة التالية نشاهد مخطوط آخر للأسقف تيودوروس (١) الذى يدعى لنفسه الفضل فى بناء « هذا العمل الجيد » والذى يعنى فيه تشويه القاعة والحوائط المحيطة بها ٠

وهذا العمل كنا نود لو أن الأسقف الطيب تركه وشانه كما هو ، وتنطبق نفس الملاحظة على المخطوط الذى يحتفل بذكرى البعثة الأثرية التى ارسلها البابا جريجورى السادس عشر عام ١٨٤١ ٠

لقد كان عملا حسنا مثل ارسال هذه البعثة ، وان لم يكن حسنا تشويه الآثار التى جائت البعثة لدراستها ٠ ولكن الأسقف تيودوروس والبابا جريجورى قد حكم عليهما بالفناء المشترك لمصلحة شعب مصر ٠

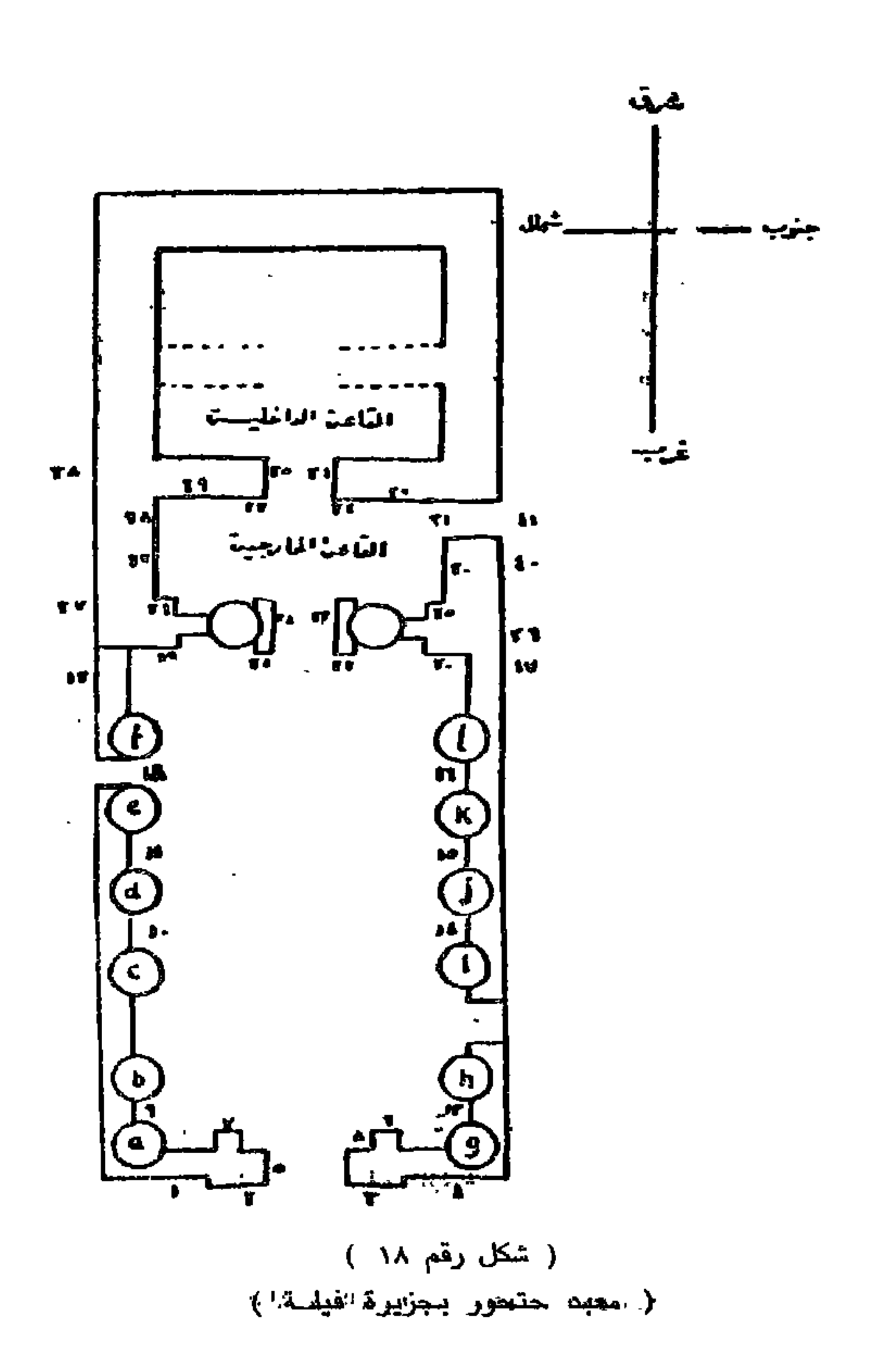
وهناك ثلاث غرف أخرى داخلية صغيرة تقع وراءها غرفات مظلمة تؤدى الى المحراب الذى يصل اليه الضوء من نافذتان صغيرتان ٠ والذى يحتوى على قاعدة المركب المقدس الذى وضعه فى هذا المكان بطليموس الثالث وزوجته بيرينيس ٠

كما يوجد سلم آخر على الجانب الغربى للمعبد يوصل الى سطح المحراب حيث توجد غرف أخرى لأوزوريس والمزينة بمناظر من النقوش البارزة على الحوائط تتعلق بموت الاله وهى أربع حجرات أخرى غائرة فى أركان السطح منها غرفة خالية من النقوش أو أية مخطوطات ٠

وتقع هذه الغرفة عند الركن الجنوبى - الشرقى حيث اختفت أرضيتها فى الركن الشمالى - الشرقى ، أما النقوش البارزة فى الغرفة الواقعة فى الركن الجنوبى - الغربى فهى أهم الغرف جميعا لأنها تظهر القرابين المقدمة الى أوزوريس ٠

---

(١) حكم جستينيان فى الفترة من ٥٢٧ - ٥٦٥ بعد الميلاد ٠



(شكل رقم ١٨)

(معبد حتحور بجزيرة الفيلة)

بينما تنشر ايزيس ونفتيس اجنحتهما حول أوزوريس وتنخرط ايزيس فى بكاء شديد بجانب تابوته مع وجود أنوبيس واقفا وفوقهما صقر كبير حائما فوق التابوت ، وتنفتح هذه الغرفة على غرفة أخرى فيها نقوش تضم مناظر عن عبادة أوزوريس الميت وبعثه من الأموات .

ولجدران المعبد الخارجية سلسلة من النقوش التقليدية التى يعود تاريخها الى حكم تايبريوس ، وهى ليست بذات اهمية بحيث تستحق الوصف . وعلى جانبى المعبد الغربى بالقرب من الصرح الثانى ذو الأبراج توجد بوابة ضخمة اقامها الامبراطور هادريان ، تؤدى الى مبنى مخرب يعلو فوق جدار عند رصيف النهر .

وعلى عتب البوابة العليا نشاهد هادريان امام اوزوريس وايزيس وحورس الطفل ، بينما يزين جوانبه (الشعر المستعار) أوزوريس على عمود وشعار أوزوريس وهو شكل يمثل عموده الفقرى ، ولقد أصاب النقوش البارزة فى الممر المؤدى من البوابة تلف شديد ، ولكن أحد النقوش بالقرب من باب جانبى عند الجانب الجنوبى ذو أهمية كبيرة .

فهو يمثل الملك حاملا صندوقا على كتفيه ويمشى برفقه الآلهة تحوت وايزيس فى اتجاه المعبد الذى له بوابتان على جانبه الغربى . وخلف هاتين البوابتين يشاهد النهر الذى يعبره أوزوريس محمولا على ظهر تمساح متجها إلى صخور بيجة .

وهى الجزيرة القريبة من فيلة (١) وتلقى الشمس والقمر والكواكب أشعتها على صفحة النهر ، كما يوجد رسم آخر بارز على الجدار الشمالى

---

(١) عملت وزارة الثقافة على بذل الجهود الكبيرة لانقاذ هذه المعابد ، التى كانت تهددها المياه مع ارتفاع كل لبنة فى السد العالى ، وخصوصا آثار فيلة التى أصبحت محل دراسة الخبراء العالميين حيث نوقشت عدة مشروعات لانقاذها ، ورؤى أن أصلحها المشروع الهولندى الذى قامت به البعثة الهولندية وعملت دراسات طويلة ومفصلة عنه ، وكان المشروع يهدف أساسا الى بناء ثلاثة سدود حول جزيرة فيلة لحجر المياه عنها وحفظ مستوى منسوب المياه من حولها وأن انسب وقت عندما يتم بناء السد العالى . المترجم .

حيث يشاهد ايزيس ونفتيس وحورس وآمون وحاتحور يعبدون الصقر الذى يحلق فوق النهر وراء جزيرة بيجة . ويرى طائر آخر جارح جاثما على الجزيرة (' عقاب) .

وتحت ذلك العقاب كهف عميق يحيط به ثعبان حاملا رسما بارزا للاله حابى اله النيل ، والمقصود من ذلك انه يمثل مصدر ومنبع النيل ، وثمة مخطوط آخر باللغة الديموطيقية (بالخط الدارج) يتضمن أسماء ماركوس أوريليوس وانطونينوس بيوس ولوسيوس فيروس .

وهناك عند جنوب بوابة هادريان مقياس آخر للنيل ، الذى لا يمكن الوصول اليه الآن ، وهذا المقياس عليه مقاييس واشارات كهنوتية وديموطيقية وقبطية ، والى الشمال من بوابة هادريان نجد معبد مهدم بناه الامبراطور كلوديوس للاله حارندوتس وموقوف له « حورس حامى أبيه » وهو واحد من اشكال حورس الكثيرة والمتعددة .

وعلى مسافة نحو الشمال يقع معبد اغسطس المخرب الذى بنى فى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، وقد عثرنا هنا على مخطوط كورنيلسيوس جاليوس بثلاث لغات والمعروض الآن فى متحف القاهرة .

وكان جالبوس قد نجح كوالى لمصر فى قمع ثورة المصريين فى عام ٢٩ قبل الميلاد ، وقبه يشيد بنصره هذا ويبالغ مبالغة شديدة فى مدح نفسه حتى أن اغسطس استدعاه ، ولكنه خاف من مقابلاته وآثر الانتحار .

وخلف هذا المعبد وفى نفس اتجاه محوره توجد بوابة مدينة فيلة (٢)

---

(١) تابعت مصر بمزيد من الاهتمام الدراسات والأبحاث العامة الكثيرة عن وسائل انقاذ فيلة ، خاصة وقد اسفرت اعمال انقاذ معابد النوبة الأخرى عن تجربة جديدة ناجحة ، تتمثل فى فك المعابد ثم نقلها لاعادة بناءها فى مكان جديد بعيد عن خطر مياه بحيرة ناصر ، ولذلك فقد أعدت دراسات أخرى لوضع مشروع بديل آخر عن طريق فكها ونقلها الى جزيرة اجلكية على بعد ٦٠٠ متر من مكانها الأول حيث يعاد بناؤها . وقد شكلت لجان دولية لدراسة هذه المشروعات حيث رأت اللجنة أن هناك عقبات فى مشروع السدود =

الضخمة التى يحتمل ان تكون من عمل دقلديانوس ، وهى تتكون أصلا من عقد ثلاثى وكانت القنطرة الوسطى أعلا بكثير من القنطرتين الجانبيتين ، ومازالت القنطرة الغربية تحتفظ بقبوها الحجرى المقبب .

أما القبو المقابل على الجانب الآخر فقد انهار وتهدم ، وتتصل البوابة بالماء بواسطة سلم منحدر الى أسفل .

وعندما نواصل تقدمنا حول الجانب الشرقى من الجزيرة فى اتجاه



(شكل رقم ١٩)
(أوزوريس فى هيئة المومياء)
(متحف برلين)

=

وتكاليفها الباهظة وأوصت بمشروعات تفصيلية لمشروع نقل المعابد ثم عهدت مرة أخرى بعمل دراسات عن ذلك المشروع وهو نقلها الى جزيرة أجلكية بالاتفاق مع لجنة مشكلة عن اليونسكو وخبراء عالميين ، وأوصت اللجنة باختيار مشروع نقل المعابد اذ رؤى أن تمويل مشروع السدود متعذرا واقر ذلك المشروع لقلة تكاليفه وضمانا لسلامة المعابد مما تتعرض له من تاثير مياه الرشح اذا ما نفذ مشروع السدود . المترجم .

جنوبى ، نصل الى معبد حاتحور الذى اقامه بطليموس السادس فيلوميتر وبطليموس السابع ، افرجيت الثانى ، وهو يقع تماما شرقى الصرح الثانى من المعبد العظيم حيث يتالف من صالة كبرى ذات اعمدة ودهليز ٠

اما بقية الحجرات فقد اختفت ٠ وقام اغسطس بزخرفة صف الأعمدة ، بمناظر جميلة عليها رسومات بارزة لبعض الآلهة تمثل المرح والاحتفالات الدينية والمهرجانات السنوية وتذكرنا بمعبد حاتحور الذى ينبغى ان لا ينسى لأنها تقابل الآلهة أفروديت الاغريقية التى كانت الهة الحب والجمال والمرح عند الاغريق ٠

فهناك منظر منقوش لشخص يعزف على مزمار مزدوج وآخر يعزف على قيثارة ، ومنظر آخر للملك وهو يقدم تاجا بمناسبة الاحتفالات إلى ايزيس وباقة من الزهور الى نفتيس ويشاهد بجانبهما المعبود بس (Bes) يضرب على الرق او يلعب على قيثارة ٠

ويقدم الملك تاجا الى حاتحور وآلة موسيقية الى سخم نخت فى مشهد آخر ، كما يشاهد أحد القرود وهو يعزف على آلة موسيقية (' آلة العود) ٠ ويقدم الملك نبيذا الى ايزيس فى مشهد آخر - وهكذا نشاهد تغيير بديع وممتع ومتنوع من تسلسل وتعاقب الرسوم والمناظر المختلفة حيث يظهر الفرعون فى جميع المواقف العادية أمام الآلهة العادية التى تتكرر بلا تنوع يذكر من معبد الى معبد ٠

ويرتكز سقف الحجرة الأمامية على عمودان لهما تاجان مزخرفان بنقوش جميلة لنباتات وازهار ، وهناك ستائر بين الأعمدة والجدران ٠ وعلى الجوانب الشمالية والجنوبية للجدران توجد رسومات بارزة ونقوش للملك وهو يغادر القصر وفوق رأسه تاج الوجه القبلى وعلى الحائط الجنوبى تاج الوجه البحرى ٠

وعلى مسافة قريبة الى الجنوب يوجد بناء بارز فى كل صورة من صور فيلة (١) ويعتبر هذا المبنى بالنسبة لمعظم الناس رمزاً للجزيرة الساحرة والصورة الجميلة التى تتبادر الى الذهن حيثما يردد ذكر فيلة ·

وهذا المبنى يسمى الكشك أو « الجوسق » أو الكشك وأحيانا يطلق عليه « سرير فرعون » والمبنى بمثابة غرفة مستطيلة تحيط بها أربعة عشر عمودا من الأعمدة ذات التيجان الجميلة المزخرفة بنقوش مستطيلة من الزهور والنباتات ، وهذه الأعمدة عبارة عن ركائز طويلة تحمل عليها العوارض والأفاريز المجوفة ذات الحليات المعمارية ·

ولعل هذه الركائز قد صممت خصيصا بحيث يجرى نحتها لتحويلها الى تيجان فى شكل صلاصل موسيقية عليها رؤوس حاتحورية ولكن لم يتم هذا العمل قط ، وفى الواقع لم يتقدم العمل فى هذا المبنى نحو الاستكمال ، حيث كان الغرض من اقامة الجدران الستائرية بين الأعمدة هو زخرفتها بنقوش وزخارف منحوته وبارزة تغطيها ·

---

(١) طرحت وزارة الثقافة عطاءات تقوم بها الشركات الدولية لتنفيذ مشروع نقل معابد فيلة ، وقد رست هذه العطاءات على هيئة السد العالى وتم اختيارها نظرا لأنها اقل العطاءات تكلفة وفى قيمة العملة الصعبة اذ أن التكاليف الاجمالية التى قدرت لذلك المشروع سوف تبلغ ٤ر٥ مليون جنيه أى حوالى ـر١٠ مليون دولار تقريبا ، كما سيستغرق تنفيذه خمس سنوات · وسوف يتم المشروع على مرحلتين اساسيتين : الأولى اقامة سد مؤقت لتجفيف المنطقة وحجز المياه عنها ، والثانية فك ونقل واعادة تركيب المعبدين ؛ وستتوسط المرحلتين مرحلة تسجيل ورسم وتصوير لتلك المعابد التى لم تسجل من قبل ثم اعداد جزيرة (أجلكية) لاستقبال معابد فيلة التى ستقام عليها ثم تجميل المنطقة بعد البناء · وقد بلغت المساهمات الدولية فى ذلك المشروع حوالى أربعة ملايين دولار بعد أن زادت تكلفة المشروع من الناحية الاشرافية ·   المترجم

ولكن للأسف لم يستكمل هذا العمل الا فى جدارين فقط منها ، وهذه النقوش تظهر الامبراطور تراجان يحرق البخور أمام أوزوريس وايزيس ، ويقدم النبيذ لايزيس وحاتحور .

ولهذا الكشك أبواب واسعة على جانبيه الشرقى والغربى وباب أصغر الى الشمال . ومع أن هذا الكشك لم يستكمل وغير مزخرف نسبيا فان خسارته فى هذا الاستكمال هو الذى سيحتل ابرز مكانة فى خيال الزائرين والمحبين لآثار فيلة .

والى غرب فيلة مباشرة تقع جزيرة كبيرة ، هى جزيرة بيجة ، التى لم تستغل قط كموقع لمشاهدة فيلة ، ولكن يوجد فى هذه الجزيرة الجميلة ايضا أطلالا وبقايا آثار تعتبر فى حد ذاتها جديرة بالاهتمام .

وهذه الأطلال تقيم الدليل على أن هذه الجزيرة الكبيرة لها تاريخ قديم وممتع وأقدم من جارتها الأكثر شهرة ، وهناك نجد سلم ينقلنا صعدا من الرصيف القديم الى أطلال معبد الجزيرة والذى لم يتبق منه سوى مخلفات قليلة ، فهناك بوابة وفناء فضاء مكشوف ودهليز له عدة اعمدة ذات تيجان مزخرفة برسومات ونقوش لنباتات ومجموعات من الزهور متقنة الصنع .

وترتبط هذه الاعمدة بجدران ستائرية عليها نقوش تظهر بطليموس الحادى عشر واقفا أمام أوزوريس وخنوم سيد سمنت الاله المحلى ، على أن المعبد الأصلى لابد أن يكون اقدم عهداً من ذلك لأن تمثالى تحتمس الثالث وامنوفيس الثانى قد عثر عليهم فى ذلك الموقع حتى وفت قريب .

المعبد الأصلى لابد أن يكون أقدم عهداً من ذلك لأن تمثالى تحتمس الثالث حتى وقت قريب وكذلك تمثال أمنوفيس الثانى لم يغب ابدا عن الذاكرة ، ولذلك فان هذا المكان يعتبر مزارا مقدسا وخصوصا فى عهد الأسرة الثامنة

عشرة حينما أنتشرت فكرة كهف الجزيرة الذى كان الاعتقاد السائد بأنه هو منبع النيل ومصدره فى جزيرة بيجة (١) .

ولكن لم تقع على أيدينا اية أدلة تؤيد مصدر او اثبات هذه الفكرة ، ولكن المنظر الموجود على بوابة هادريان فى فيلة يثبت ان هذه الفكرة كانت موضع تصديق فى العصر الرومانى .

والى جانب ذلك كانت بيجة أيضا على ما يبدو موقعا هاما لأحد مدافن اوزوريس الذى عبر عنه فى رسم منقوش على ممر بوابة هادريان الآنفة الذكر ، واكن ليس ثمة دليل على التاريخ الذى نشأت فيه هذه الفكرة .

وبالاضافة الى ذلك توجد أطلال المعبد ، حيث نجد فى جزيرة بيجة عددا كبيرا من النقوش يرجع تاريخ العديد منها الى الأسرة الثامنة عشرة .

ومن بين هذه المخطوطات مخطوط نادر للوزير راموس حيث يروى : « ان هذا المسؤول جاء لتقديم القرابين الى جميع آلهة سنمت » ويقدم رسم منقوش آخر لشخص امنوفيس الثالث « نب - ماعت - رع » كما يوجد نقش ثان لرجل يمسك بعصا ويحمل لقب : « نائب ملك كوش مريمز » .

---

(١) كانت جزيرة بيجة تعتبر من الأماكن المقدسة للديانة المصرية حيث كان من جهة المكان المقدس الذى وطأته الالهة الوحشية تفنوت من أرض الزمان واستحالت فيه الى حاتحور الودودة ، وفقا لأسطورتها القديمة ، ومن جهة أخرى كان يوجد بها قبر أوزوريس وكان يعتبر فى العهد الاغريقى فى مقدمة الأماكن المقدسة ، ولم يكن فى مصر العليا اذ ذاك قسم أعظم من أن يقسم الانسان بأوزوريس وقبرها الثاوى فى فيلة ، وكان هذا المكان الذى يضم قبر أوزوريس يسمى « أباتون » أى الحرم ، وذلك لأنه لا يجوز فى هذا المكان أن يقلق راحة الاله أحد . وكان الطبيعة قد قدرت أن يكون هـذا المكان بالذات معبدا لأوزوريس ، ذلك لأن المصريين كانوا يعتقدون أن فى الماء الجائش هنا يوجد أحد الينبوعين اللذين يتفجر منهما ماء الفيضان ، جالب الخصب والنماء وقد كان يسمى مـاء بيجا النقى ، لذلك كان يعتبر أوزوريس ايضا أنه هو الفيضان نفسه وكما كان يقول كهنة فيلة : لقـد كان اوزوريس « النيل الكبير الذى يخلق الحب بفضل ما فيه من مـاء والذى ينبت الأشجار والأزهار من رشحه » . المترجم



(شكل رقم ٢٠)

(أوزوريس كاله للنيل فى كهف بجزيرة بيجة)
(روحه تستقر على شجر الغيضة المقدسة وتسكب)
(لها ايزيس اللبن - متحف برلين)

وهناك خرطوش ثالث قبالة الطرف الجنوبى لجزيرة فيلة (١) يحمل خراطيش منقوشة لأمنوفيس الثالث أيضا وتحته هذه الكلمات :

« الكاتب الملكى ، الصادق لسيده ، قائد قوات سيد الأرضين امنحوتب » والمشرف على القصر العظيم فى ممفيس أمنحوتب » كما يبين شخصين رافعى الأيدى . فى حركة ابتهال الى الآلهة ، وبالقرب من هذا المخطوط مخطوط آخر يقدم رسم نب - ماعت - رع ، (امنوفيس الثالث) .

---

(١) وقع عقد أعمال انقاذ معابد فيلة بين هيئة انقاذ اثار النوبة والهيئة العامة للسد العالى والشركات الايطالية كوندوتى داكراماتزى متحدتين فى يوم ٣ يونيو ١٩٧١ وبذلك دخل مشروع انقاذ معابد فيلة مرحلة التنفيذ الفعلى ، وبذلك نحتفظ للأجيال القادمة أثرا من أعظم ما أنجزته البشرية ، وكأن مصر تنحت للخلود معابد تسكن فيهـا الروح وتحيل الصخر الى متحف للفن والجمال . المترجم

ويحتمل أن يكون رسم الشخص للوزير راموس فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وفى عصر أمنوفيس الثالث على وجه الخصوص ، ومن ذلك تتضح لنا الأهمية المرموقة التى كانت تحتلها بيجة أو (سنمت) كما كانت تسمى قديما فى ذلك الحين فى عصر الأسرة الثامنة عشرة .

ويبين مخطوط آخر متاخر رجلا مع لص وموظفى مكتب وهذا الرجل هو « نائب ملك كوش » حوى يمسك محجنا وعصا ويحتمل أن يكون هو المسؤول الذى تقلد هذا المنصب فى عهد الملك توت عنخ آمون .

ويأتى بعد ذلك مخطوط آخر هام للأسرة التاسعة عشرة الذى يحكى : « ان الأمير خع - ام - واست الذى يعتبر كما نذكر الابن المفضل لدى رمسيس الثانى ، وقد احتفل بالعيد الفضى لوالده لأول مرة فى السنة الثلاثين وللمرة الثانية فى السنة الرابعة والثلاثين ، وللمرة الثالثة فى السنة السابعة والثلاثين .

وقد ترك الأمير فراغا للاحتفالات المستقبلة ، ولكن وفاته المبكرة حالت دون اضافة تواريخ أخرى لهذه الاحتفالات .

ومن بين الفراعنة المتاخرين الذين لهم مخطوطات فى صخور بيجة ، أحمس الثانى وبسماتيك الثانى وإيزيس من ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

بعد تلك الزيارة الرائعة لجزيرة فيلة (١) وآثارها العظيمة وجزيرة بيجة وبقايا الآثار والأطلال المتبقية فيها يتضح لنا أهمية هذه الجزيرة من جميع

---

(١) تم فك ونقل جميع معابد فيلة من مواقعها الموجودة بها الى جزيرة أجليكا بعد تمهيدها وتسويتها وتم تركيب وبناء هذه المعابد من جديد وأصبحت طبق الأصل بكامل شكلها وهيئتها كما تم زراعة أشجار النخيل وتجميل الجزيرة مثل ما كانت فى جزيرتها الأصلية وبذلك تكون قد حفظنا لهذه الحضارة الانسانية كيانها وهيكلها لتبقى أعجوبة الدنيا والعالم لجميع الأجيال القادمة ليروا ويشاهدوا عجائب الأجيال وحضارتهم التى طوتها الدهور منذ أزمنة سحيقة . المترجم

النواحى • فهى تضم آثارا وكنوزا معمارية من العهد الفرعونى والعهدين الأغريقى والرومانى ، كما تضم آثارا من العصر المسيحى بما فيها آثار قبطية نادرة ، وهى تتميز بوفرة النقوش الدينية التى تدور حول اسطورة عبادة ايزيس وأوزوريس وحورس بوجه خاص •

وكذلك يعتبرها علماء الآثار مدينة كاملة ذاخرة بالعديد من الآثار ذات العهود المختلفة التى تعاقبت عليها فى هذا الشأن كما تتميز بقدسيتها كمقر لعبادة ايزيس وأمامها جزيرة بيجة ، ونظرا لأهمية آثار فيلة من النـاحية التاريخية وخاصة فيما يتعلق بالعصر المتأخر والعصر الرومانى فقد اهتم العلمـاء والباحثين بنقل النقوش والزخارف وتحليلهـا ودراستها لغويـا وتاريخيا •

نغادر فيلة الآن الى المنطقة الموجود بها معبد دابود وآثاره متمنين أن تقوم هيئة الآثار ببذل مجهودات ودراسات علمية كبيرة لكى تحافظ على هذه الكنوز والتراث الخالد •

الفصل الثامن والثلاثون
« من فيلة الى كلابشة وبيت الوالى »

« معبد دابود »

بعد أن نغادر فيلـة ، نصـل بعـد وقت قصـير الى دابـود (Daboud) التى تقع عـلى مسافة تسـعة أميال ونصف تقريبا جنوبى خزان أسوان .

ان المعبد الموجود هنا كان قائما منذ أكثر من قرن من الزمان على مسافة من النهر المرتبط به بواسطة طريق ورصيف . ولكن قد تغير كل هذا الآن بفضل الخزان ، كما سوف يتبدل أكثر من ذلك نتيجة لارتفاع ميـاه التخزين الناجم عن التعلية فى مشروع السد .

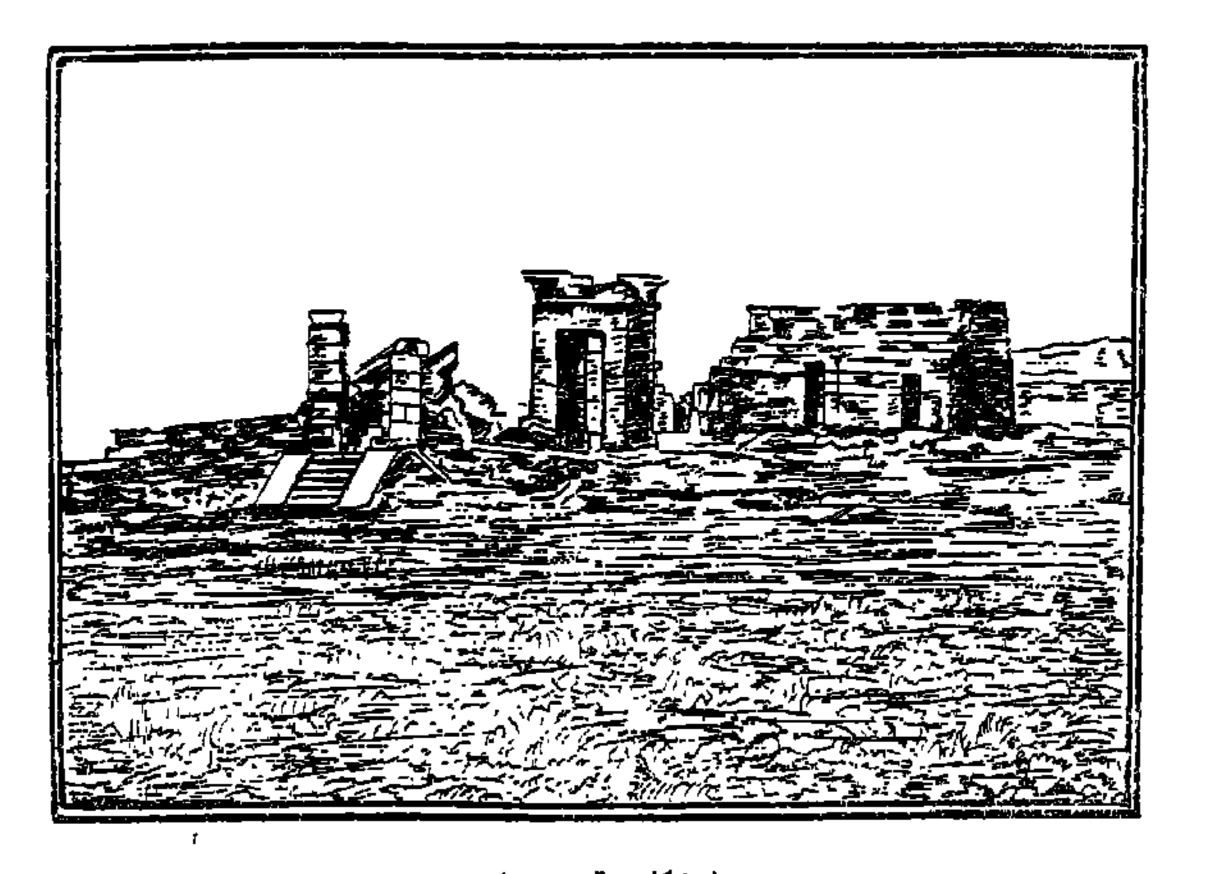
ويقع معبد دابود الصغير على مسافة ٢١ كيلو متر الى الجنوب من سد أسوان وهى مسافة متوسطة يقطعها المسافر فى رحلته النيلية مارا بعـدة قرى أخرى صغيرة تتناثر هنا وهناك على شاطىء النيل ، بنيت منازلها على مستويات مختلفة فوق سفوح التلال المحاذية للنهر .

كما يلاحظ أن هذه القرى تبدو من بعيد هادئة وساكنة كما لو كانت مهجورة ، وبجانب كل قرية نجد رقعة صغيرة من الأرض تحوى بعض الزراعات البسيطة بجوار حافة النهر ، وهذا المنظر يتكرر باستمرار على طول الطريق من الشمال الى الجنوب ، أى من أسوان الى أدندان قرب وادى حلفا فى الجنوب .

أما معبد دابود (١) فقد بناه الملك النوبى « أزخر آمون » وهو أحد الملوك الذين حكموا دولة مروى وطال عمره الى عام ٣٠٠ ق.م ، وقد شيد

---

(١) قامت الهيئة العامة للآثار عند البدء فى مشروع انقاذ آثار النوبة بفك حجارة هذا المعبد ونقله الى جزيرة أسوان فى عام ١٩٦٠ ، وعندما قامت الدول الكبيرة بمساعداتها المادية والمعنوية فى مشروعات انقاذ هـذه الآثار ، قامت مصلحة الآثار باهداء هذا المعبد الى (أسبانيا) الذى شحنت حجارته الى مدريد وقامت باعادة تركيبه وبناؤه وأصبح موجودا حاليا بمدريد عاصمة أسبانيا . المترجم



(شكل رقم ٢١)

(معبد دابود قبل ان تفك أحجاره وقد نقل الى جزيرة أسوان)
(فى عام ١٩٦٠ ثم قامت مصلحة الآثار بعد ذلك باهداءه الى أسبانيا)
(التى قامت باعادة تركيبه بمدريد)

هذا المعبد على الطراز المصرى ، وزاد فيه بعد ذلك الملك بطليموس السادس فيلوميتر ، ثم زينه بالنقوش المختلفة بعض أباطرة الرومان .

ويتكون المعبد من ثلاث بوابات يتلوها فناء مفتوح ثم ردهتان ، حيث ينتهى بقدس الأقداس الذى يحتوى على ناووسا من حجر الجرانيت الوردى وللمعبد خلفية جميلة ، وقد تم استكماله بعد ذلك فى زمن متأخر مــن تاريخ مصر تحت حكم بيعانخى وطهارقة ولكن أصبح الآن مجرد أطلال .

وكما يتضح كذلك من قيام بطليموس السادس فيلوميتر باضافة مخطوط اغريقى على حوائط البوابة الثانية التى يتم الوصول منها الى المعبد .

ويذكر المخطوط ان هذه الواجهة ذات الأبراج قد اهداها بطليموس فيلوميتر وزوجته كليوباترا إلى ايزيس وآلهة أخرى ومن المحتمل انه كان يوجد هنا معبد بشكل ما قد يعود تاريخه الى الأسرة الثانية عشرة .

ذلك لأنه قد عثر على لوحة حجرية موجودة الآن فى متحف برلين تبين ان تلك البلدة كانت موجودة فى ظل حكم أمن - ام - حات الثانى ، واذا كان هناك مدينة مصرية فلابد أن يكون موجودا بها معبد آخر كان قائما فى تلك البلدة .

وبعد بطليموس السادس قام بزخرفته وتزيينه مرة أخرى بطليموس السابع ، افرجيت الثانى ، الذى أضاف اليه ناووسا جرانيتيا له ولزوجته كليوبترا ، وبعد ذلك قام كل من اغسطس وتايبريس بعمل اضافات أخرى ولكن المعبد لم يستكمل بعد ذلك اطلاقا .

كان الاله الرئيسى موضع التكريم والتبجيل فى المعبد هو ايزيس مع أوزوريس والطفل حورس (هاربو قراط) ومن بين المعبودات المفضلة فى مصر العليا والتى كانت تقدس هى خنوم وآمون رع وموت وحاتحور ودائما موضع تكريم وتبجيل .

وحسب التخطيط الذى عمله جاو (١٨١٨) كان هناك رصيف على ضفة النهر يؤدى الى جسر طويل كان يفضى صعدا الى الصرح الأول الواقع فى مواجهة المعبد ويعقب ذلك صرح آخر عليه مخطوط فيلوميتر المشار اليه

سابقا أما الصرح الثالث فقد كان قائما حتى عام ١٨٩٤ ، ولكن ما لبث أن انهار نتيجة لتعرضه للأمواج الهادرة والفيضان وقيام المواطنين بسرقـــة الأحجار .

وخلف البوابة الثالثة وعلى بعد ٤٢ قدما ترتفع واجهة المعبـد الأصلى حيث كانت هذه الواجهة تتكون من أربعة أعمدة ضخمة جرانيتية تعلوها تيجان مزخرفة بنقوش ورسومات بارزة للزهور وترتبط بعضها البعض بحوائط ساترة . ولكن لم يتبق منها غير القليل .

وتبين النقوش البارزة على الأجزاء المتبقيـة اغسطس او تايبريوس، (الرسوم غير واضحة ومهشمة) أمام الآلهة ، ويتوسط الواجهة باب يؤدى الى دهليز على جدرانه عدة نقوش بارزة تبين (أزخر آمون) متعبدا أمام الآلهة .

وعلى الجانب الجنوبى للدهليز أضيف جناح فيما بعد . ولكن هذا الجناح أصيب بدمار وخراب شديد ومن الدهليز ندخل إلى الصالة المكشوفة التى ليس لها سقف أو بها أية زخارف ثم ندخل بعد ذلك الى المحراب أو قدس الأقداس حيث يوجد مزار آخر صغير لبطليموس السابع افرجيت الثانى وزوجته كليوباترا وهو الناووس الجرانيتى .

أما بقية المعبد فليس هناك أهمية خاصة ، وان كانت معظم حالاته مازالت بحالة جيدة نسبيا . وتقع على بعد ميل جنوبى المعبد المحاجر التى قطعت منها الحجارة للمبنى . ولكنها ليست بذات أهمية تستدعى الزيارة .

وبعد أن نسير مسافة قليلة إلى الجنوب توجد قرية ديمرى (Dimri) التى مازالت منها بقايا مبان قديمة تضم جدار يمتد لمرسى سفن يبرز فى النهر . وعلى بعد ١٧٫٥ ميل جنوبى الخزان تقع بلدة دهميت (Dehmit) .

وعلى مسافة قصيرة جنوبها يجد المرء مجموعة نادرة من المخطوطات، الصخرية المنقوشة على مدخل واد صخرى .يبدو أن مخطوطا منها يخص أمن - ام - حات الثانى من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، كما يبدو واضحا أيضا خرطوش للملك سنوسرت الأول .

معبـد قرطاسى

نصل بعد ذلك الى قرية قرطاسى (Qirtas) حيث يوجد على الضفة الغربية معبد صغير يحمل نفس الاسم ٠

ويقوم هذا المعبد على هضبة صخرية تطل على النهر حيث يقع على مسافة ٤٥ كيلو متراً الى الجنوب من سد أسوان ، ويرجع عصره الى العهد الرومانى ، وهو يعتبر من اجمل واروع المعابد فى منطقة النوبة السفلى ٠

وقد تهدمت معظم اجزائه فى القرن العشرين ، وقامت مصلحة الآثار بنقل كتل حجارته الى جزيرة أسوان فى سنة ١٩٦٠ ٠ والى الجنوب من هذا المعبد يوجد محجر كبير كانت تستقطع منه الأحجار الضخمة وتهذب وتشذب وتستعمل فى تشييد معابد (فيلة) ٠

ومعبد قرطاسى (١) هذا يتميز بوجود كثير من التماثيل المنحوتة فى بعض أجزاءه وفى مستوى رائع من الجمال والسحر ، كما يوجد على مقربة منه حصن رومانى لا تزال الجدران المحيطة به قائمة ، حيث يتوسطها مدخل كبير شيدت بوابته من حجر الجرانيت الوردى ٠

وهذا المعبد الجميل حسن الحظ بموقعه الممتاز عند مقارنته ببعض الآثار النوبية المجاورة ، ان المبنى صغير جدا اذ تبلغ مساحته الكلية ٢٥ قدما مربعا ، ولكن موقعه يجعل منه شيئا مثيرا ظاهراً وواضحا ويمثل صورة جميلة ورائعة لفن العمارة والنقش ٠

ولمدخل معبد قرطاسى المواجه لناحية الشمال عمودان رائعان لهمـا

---

(١) أعادت مصلحة الآثار المصرية سنة ١٩٦٣ بناء معبد قرطاسى بعد نقل كتل احجاره من جزيرة أسوان الى جوار معبد كلابشة الذى حدد له على بعد سبعة كيلو مترات جنوب اسوان بحوالى ٥٧ كيلو مترا على الضفة الغربية للنيل مواجها السد العالى وبذلك أصبحت هذه المنطقة تضم معابد بيت الوالى وكلابشة وقرطاسى وتعتبر أول منطقة تضم اثار بلاد النوبة الهامة فى اماكنها الجديدة وبعيداً عن منسوب مياه بحيرة السد العالى ٠ المترجم

رأس الآلهة حاتحور • وتقع البوابة بين هذين العمودين ، وهناك أربعة أعمدة أخرى لها تيجان زهرية •

وهناك عارضتين قصيرتين تسندان بدورهما سقفا مكونا من كتلة طويلة ذات كورنيش ومزينة بحليات معمارية مقعرة فى كلا الطرفين ، ومازالت الجدران الستائرية بين الأعمدة باقيـة باستثناء الجدران عـلى الجـانب الجنوبى التى دمرت تماما •

وعلى أحد الأعمدة نشاهد نقوش تمثل أحد الملوك وهو فى حضرة ايزيس وحورس ، وفيما عدا ذلك فان المعبد الصغير الذى يشبه كشك تراجان فى فيلة ، ولا يوجد به أى زخرفة أو نقوش •

ويقع على جنوب المعبد ، المحجر الكبير ومحاجر أخرى تقع عـلى



(شكل رقم ٢٢)

(معبد قرطاسى بعد نقل كتل أحجاره من جزيرة أسوان إلى موقعه)
(الجديد بجوار معبد كلابشة ، ومعبد بيت الوالى على بعد سبعة)
(كيلو مترات جنوبى أسوان)

شمال وغرب هذا المكان ، والتى قطعت منها الحجارة لبناء معابد فيلة ٠ ويتم الوصول الى المحجر الجنوبى عن طريق ممر ضيق نحت عبر الصخر ٠

تماما كما فى السلسلة وعلى جانبى هذا الممر الذى يعتبر بمثابة بوابة نشاهد لوحات حجرية متنوعة تحكى عن النذور منها اثنتان مكرســـتان لأوزوريس ، وهناك بالاضافة الى عدد آخر من المخطوطات والشخوص الاغريقية واليونانية داخل المحجر نشاهد مشكاة أوكوة كانت مخصصة على ما يبدو لاله من الالهة التى كانت تعبد فى هذه المنطقة ٠

وهذه المشكاه على شكل بوابة مصرية ، مع وجود نقوش لأفاعى وقرص الشمس المجنح وتزينه أعمدة على كلا الجانبين ٠ وعـلى جانبى هـــذه المشكاة يوجد تمثال نصفى يعود تاريخه الى العصر الرومانى ولكن الوجه مهشم ومصاب بتلف شديد ٠

ويرجع تاريخ هذه المخطوطات الى عصور انطونينوس بيوس وماكوس أوريليوس ، وسيفيروس ، وكاراكالا ، وهادريان ، وكل هذه المخطوطات موجهة الى ايزيس ، وسكروبيشيس وبيرو سيمونيس ٠

اننا نعرف ايزيس جيدا وقصتها مع أوزوريس ولكن الاله سكروبتيشيس وبيرو سيمونيس اللذان يبدوان فى مظهر خشن نوعا ما فلا نعرف عنهما شيئا اذ يبدو أنهما من الالهة النوبية وأن لهما علاقة وثيقة بقلعة قرطاسى (Qertassi) واعمال التحجير ٠

ووراء المحجر تقع قلعة قرطاسى الرومانية على حافة النهر وعلى بعد حوالى ميل جنوبى المعبد - وهو مبنى مستطيل ذو جدار منحوت فى الصخر ومازالت بعض اجزاءه موجودة حيث يبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠ قدما ، وتقع البوابة الرئيسية التى لها الكورنيش ذو الحليات والنقوش المقعرة العادية على الواجهة الشمالية ٠

ولكن هناك أيضا شبه بوابتان على الواجهتين الجنوبية والغربية كما يوجد خندق قديم يظهر عند الجهة الغربية وأطلال وبقايا قلعة وسطى قد تهدمت ، ويعتبر الجدار الذى يواجهنا بمثابة سور كبير يتمثل فيه الأساليب الانشائية الفخمة •

فهو يتكون من جدارين بينهما فراغ مملوء بالحجارة الصغيرة والدبش ، ولكن لم يعد له وجود الآن ، فقد طغى الفيضان بقسوة على المحجر والقلعة وامتلؤا جميعا بالمياه ، ولا يمكن الوصول اليهما الا فى القوارب أثناء فصل الشتاء عندما تنحسر المياه عنهما •

معبـد تافا

كانت محطتنا التالية فى قرية تافا أو (التعفة) (Tafa) التى تعتبر من اجمل القرى الواقعة على ضفاف النيل بالقرب من معبد قرطاسى ، وهنا تنفتح السفوح القريبة من النهر قليلاً تاركة خليجا طوله ميل ونصف الميل حيث تغمره مياه الفيضان حينما يمتلأ الخزان ٠

وليس هناك اثار هامة فى تافا ترجع إلى عصر اقدم من العصر الرومانى سوى معبدين جميلين اختفى احدهما وبقى الآخر يصارع الزمان ، لقد سقط هذا المكان كله وتهدم فى سنة ٣٠٠ بعد الميلاد على يد البليميين (Blemmyes) الذين خاضوا حربا طويلة ضد الرومان ٠

ولكن ما لبثت هذه القبائل أن طردت فى القرن السادس حينما اوقع بها الهزيمة سيلكو ملك النوبة المسيحى فى ذلك الوقت ٠

كان المعبدان قائمان فى منطقة تافا فى المدة بين عامى ١٨٦٠ ، ١٨٨٠ ولكن خلال هذه السنين العشرين اختفى احدهما ٠ ولكن كيف حدث هذا الاختفاء ٠

لم يحدثنا ماسبيرو العالم الكبير فى تقريره عن المعابد النوبية عن شىء من هذا القبيل ، وان كان يمكن تصور عملية اخفتائه ، فالواقع ان المواطنون فى هذه المنطقة يستطيعوا أن يبلغونا نتيجة التخريب وكيف كانت الحجارة تكسر وتنتزع تدريجيا فى الخفاء حيث يستخدمونها فى بناء مساكنهم ٠

اما معبد تافا (١) الثانى فمازال كاملا ومحتفظا بشكله حيث يقول ماسبيرو عنه : « وحتى بعد الاعتداءات التى تعرض لها هذا المعبد فى الآزمان

---

(١) يقع معبد تافا على مقربة من معبد قرطاسى وهو معبد صغير بنى على أساس مرتفع ويتكون من صرح يتجه نحو الجنوب ، ويوصل الى صالة للأعمدة ثم قدس الأقداس وقد قامت مصلحة الآثار فى سبتمبر ١٩٦٠ بفك حجارة هذا المعبد ونقلها الى جزيرة أسوان توطئة لاعادة بنائه ٠ وقد تم انقاذ هذا المعبد وأهدائه الى هولندا حيث أعيد تشييده وبناءه داخل متحف ليدن ، وهذا المعبد يعود الى العهد اليونانى الرومانى ٠ المترجم

الأخيرة فانه ربما يكون أحسن المعابد المصانة فى النوبة وهو بالتاكيد من أجمل المعابد فى هذه المنطقة وأفخمها ٠

ان واجهة المعبد تتجه الى الجنوب ويزينها عمودان لكل منهما تاج ذو نقوش وزخارف بارزة للزهور ، وبينهما جداران ستائريان يرتفعان الى مستوى التاجين وبين العمودين توجد بوابة جميلة يزينها قرص الشمس المجنح وكورنيش مزخرف بنقوش وزخارف مقعرة وصف من الأفـــاعى (الكوبرا) ٠

وعلى الجدار الستائرى الأيمن استحدثت بوابة كبيرة عليها قــرص الشمس وافريز وصف من الافاعى ، ويتألف هذا البناء من الداخل مــن غرفة واحدة ، مع أربعة اعمدة جرانيتية ذات تيجان مزخرفـــة بنقوش بارزة للزهور ٠

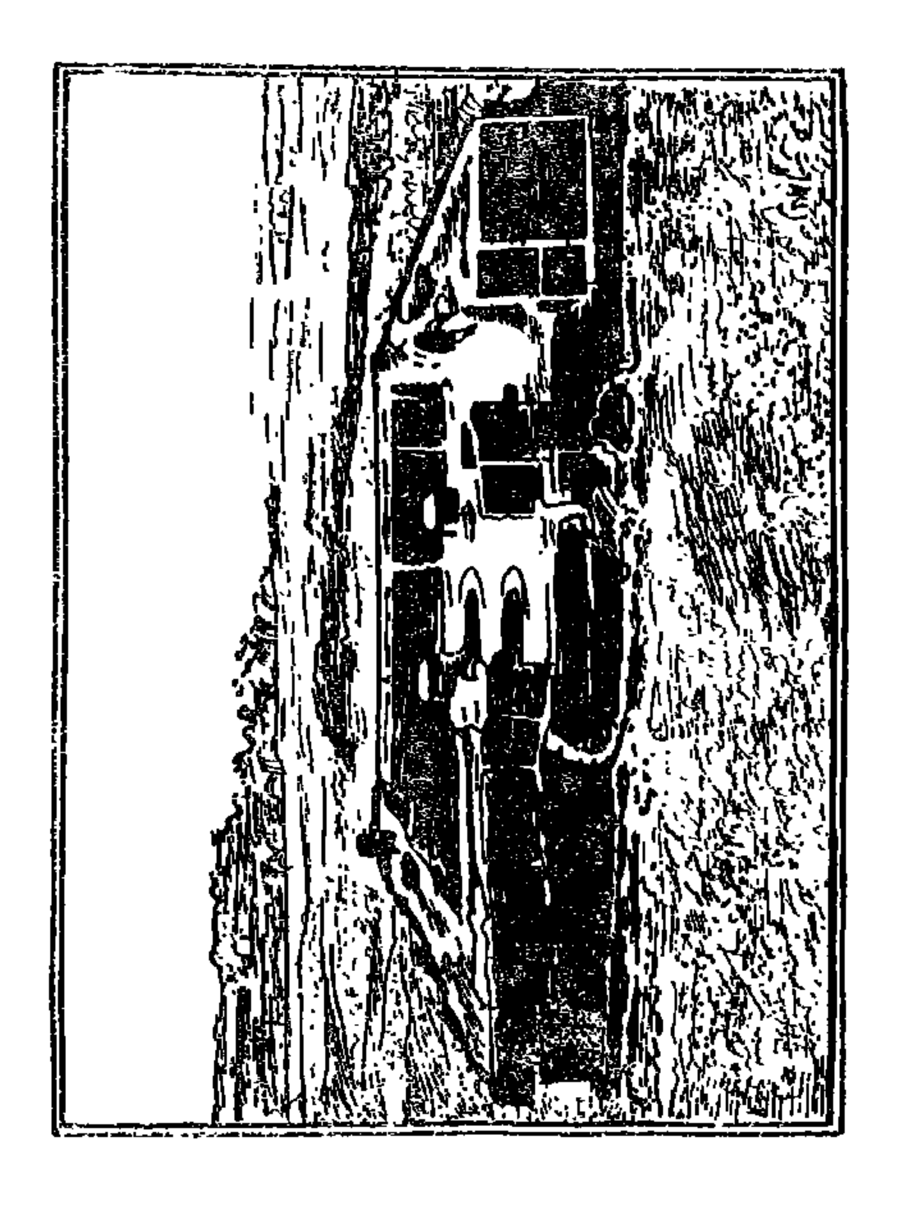
وهناك على الجانب الشمالى نشاهد تجويف لمحراب او مذبح ولكنه خرب وليس به أى زخرفة أو نقوش ، وربما كان هناك فناء أمامى على الجانب الجنوبى ، كما أن المبنى كله يقوم على منصة من ستة مداميك ٠

وهذا المعبد الصغير فى جملته يعتبر مثلا كاملا لفن العمارة القديمة عن عمل من العصر المتأخر وصورة رائعة وبالغة الأهمية مما يدعو الى الأسف عندما نراه مغموراً بالمياه ٠

ومن أعلى الصخور الجرانيتية الواقعة عند الطرف الجنوبى للخليج الذى تقع عليه « تافا » يمكن أن يشاهد المرء ما وصفه مستر ويجال المستكشف والعالم الكبير بأنه : « ربما يكون أجمل منظــر يراه الانســان فى مصر » وقوله : ان المنظر من هنا رائع حقا وساحراً والى الشمال يمكن التطلع الى البلدة ومعبد تافا ووراء ذلك تقترب مياه النيل نحو التلال البعيدة ٠

والى الجنوب والغرب تمتد صخور وكتل جرانيتية وعرة تشاهد على مدى العين ٠ والى الشرق ينظر المرء الى النهر تحته وهو ينساب بين المرتفعات الصخرية ويلمح الانسان هنا وهناك خليجا صغيرا ترتفع فيه بعض

أشجار النخيل وغيرها بلونها الأخضر الجميل تلقى ظلالها على الصخور الأرجوانية اللون فى تناسق بديع (٢) ·



(شكل رقم ٢٣)

(معبد تافا ويشاهد الجزء الأسفل منه بعد أن رفعت أحجار)
(الجزء العلوى ونقلت الى أسوان ثم أهدته الهيئة العامة للآثار)
(لهولندا حيث أعيد بناءه داخل متحف ليدن بهولندا)

---

(١) أنظر دليل آثار مصر العليا ص ٥٠٠ · المترجم

معبــد كلابشــة

بعد ان نغادر قرية تافا ومعبدها نسير فى النهر الى مسافة قريبة إلى الجنوب يبدأ الممر المعروف بباب كلابشة (١) حيث تزداد صخور الجرانيت الداكنة قربا من النهر على الضفتين ٠

وتبرز الصخور السوداء المتلألأة من بين سطح الماء الأمر الذى يجعل الملاحة فى هذه المنطقة مسالة ينبغى توخى الحذر فى القيام بها ٠ وعلى احدى هذه الصخور مخطوط يقول ان ايزيس الهة فيلة تمتلك الأراضى الممتدة من الشلال الأول الى الشلال الثانى لمسافة ثلاثين فرسخا ٠

وكلنا يعرف الكثير عن الصراع القصير الذى قام بين كهنة خنوم الــه ايليفنتين وبين كهنة ايزيس الهة فيلة ٠ وان كان يجب ان نعترف بان كهنة ايزيس كانوا حريصين بصورة تدعو الى الاعجاب فى تاكيد تمسكهم بدعاوى آلهتهم — أو بحقوقهم !! ٠

وثمة طريق مهجور يمتد بصورة دائرية من تافا الى كلابشة مارا بقرية الخرطوم والذى يمتد وراء هذه القرية واد يقع على جانبه الأيسر حيث نشــاهد مخطوط مؤرخ فى الســنة الثــامنة عشرة مــن حكم الفرعــون (طهارقة) النوبى (الأسرة الخامسة والعشرون) ٠

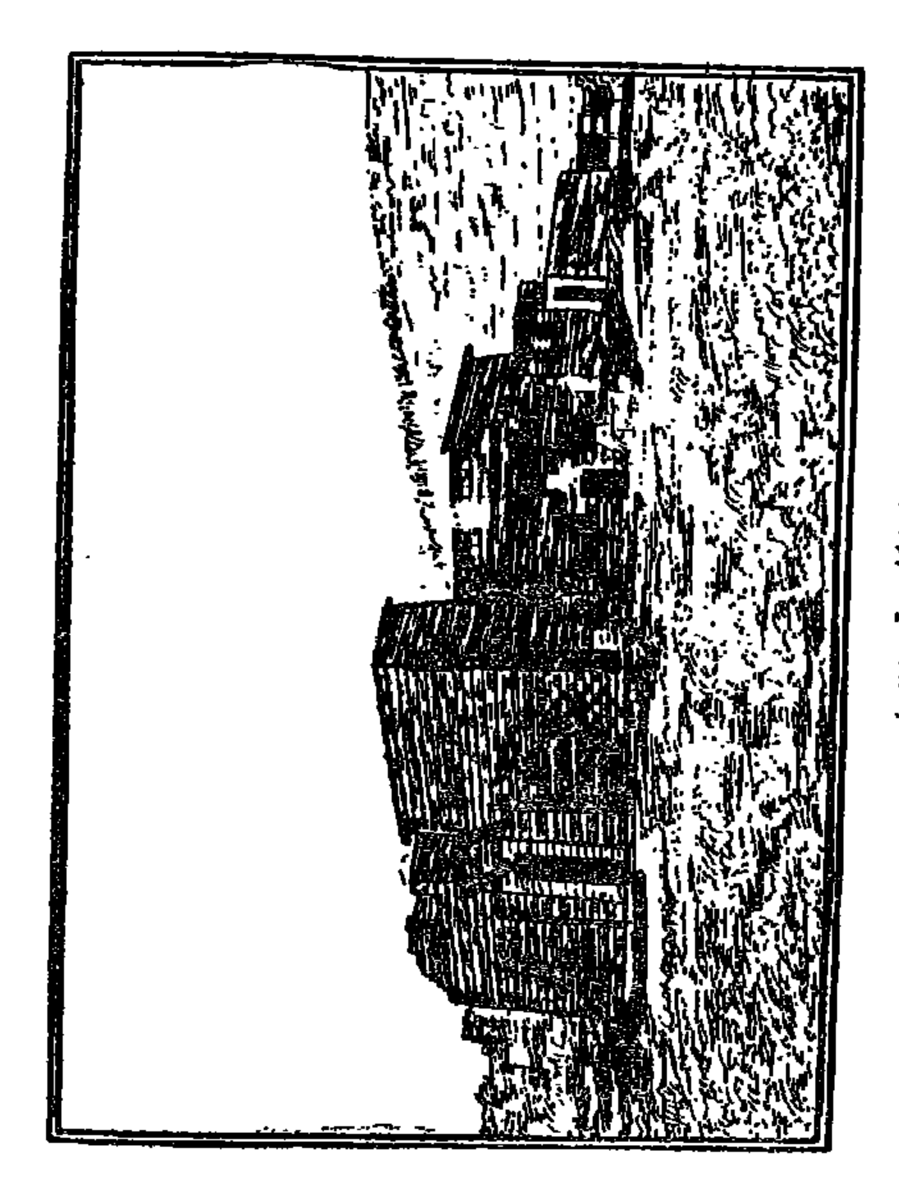
وتقع كلابشة على جانبى النهر وتشغل الموقع القديم لمدينة « تالميس » القديمة لقد كانت البلدة قائمة بالفعل فى عصر الأسرة الثامنة عشرة كما يدل على ذلك ظهور نقوش لأمنحتب الثانى ، ابن تحتمس الثالث فى نقوش بارزة على مقدمة المعبد الذى ربما أسسه أبوه الذى كان معروفا بمنشآته الكثيرة فى النوبة ٠

ويذكر السيد ويجال أن تمثالا كبيرا كان يحمل اسم تحتمس الثالث قد شوهد فى الماضى الذى تعيه الذاكرة ملقى بالقرب من الرديف (٢) ولكن لا يعلم ماذا حدث له ولم يرد أى شىء عنه بعد ذلك ٠

---

(١) (Guide to the Antiquities of Upper Egypt P. 500)

(٢) يوجد بالمتحف المصرى تمثال كبير لتحتمس الثالث يحتمل ان يكون هو ٠



(شكل رقم ٢٤)

(معبد كلابشة فى موقعه القديم جنوب أسوان ، حيث تم فكه وتركيبه)
(على بعد سبعة كيلو مترات فى منطقة كلابشة ومواجها للسد العالى)

ان معبد كلابشة يعتبر من أكبر المعابد الصخرية الجميلة المشيدة فى بلاد النوبة السفلى ، حيث يقارن هنا بمعبد الكرنك بالأقصر فى ضخامته وفخامته وروعة معماره ٠

ومعبد كلابشة يبعد عن سد أسوان بحوالى ٥٧ كيلو مترا ، وقد بنى فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وفى عهد الملك امنحتب الثانى ابن الملك تحتمس الثالث فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ٠ وكان هذا المعبد ملحقا بأحد الحصون المنيعة التى بنيت فى ذلك العصر بين أسوان فى الشمال ونباتا عند الجندل الرابع فى الجنوب ٠

هذا علاوة على أن هذه المنطقة بالذات كانت ذات أهمية كبيرة اذ قامت على مقربة من مدينة تالميس — الا أن المعبد بشكله الحالى يرجع الى أواخر العصر البطليمى ٠ ثم زاد عليه بعض اباطرة الرومان مثل أغسطس وكاليجولا وتراجان وقد خصص لعبادة اله الشمس النوبى « ماندوليس » ٠

ان المعبد كما هو اليوم يرجع إلى عصر متأخر ، وقد أعيد بناؤه على أساساته القديمة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة من جانب احد الملوك البطالسة كما أعيد بناؤه مرة أخرى من جديد فى عهد أغسطس مع اضافات متعاقبة أجراها كاليجولا وتراجان ٠

ولم يكن ماندوليس الاله الوحيد الذى كرس له ذلك المعبد كما جرت العادة فى المعابد المصرية لعدد كبير من الآلهة الأخرى بما فيها آمون رع ، وخنوم ، ومين ، وبتاح بينما كانت عبادة ايزيس وأوزوريس والطفل حورس سائدة أيضا ٠

ويقول ماسبيرو : « ان معبد كلابشة يعتبر أجمل معابد النوبة » ولكن مما لا شك فيه أنه استثنى معبد « أبو سمبل » الذى يعتبر من طراز يختلف اختلافا كبيرا وكليا عن معبد كلابشة الذى يعتبر فى حد ذاته أكثر تأثيرا ٠

ولكن فيما عدا ذلك لم تكن لكلابشة الأسبقية أو التفوق نظراً لخشونة الزخارف ٠ والمعبد فى جملته فى حالة جيدة من الحفظ ٠ وهو كمعظم

المعابد (١) المصرية يتم الوصول اليه من النهر · وله رصيف يؤدى منه جسر يبلغ عرضه ٢٥ قدما وطوله ١٠٠ قدم حيث يؤدى الى واجهة المعبد ذات الأبراج ·

وأمام الصرح منصة ودرج صغير ينتهى صعداً الى الساحة · وعلى هذه الساحة القليلة الارتفاع يستقر المعبد فى شكل مهيب · وهذا الصرح فى حالة جيدة من الحفظ وان كانت قد فقدت أجزاء علوية بما فيه الكورنيش ·

وهى خالية من النقش اللهم سوى رسمين منقوشين لإلهين فى حجم وسمك البوابة المائلة قليلا نحو محور المعبد ·

وبعد أن نمر من البوابة الرئيسية نجد أنفسنا فى الفناء الأمامى الذى كانت تحيط به فى الأصل صفوف من الأعمدة الجرانيتية مقسمة على ثلاثة جوانب · وقد اختفت منها الستة أعمدة التى تلى الصرح غير أنه لا يزال هناك أربعة أعمدة على كل من جانبى الفناء ·

ورغم أن مسيو بارسانتى لم يجد سوى عمود واحد فقط مازال قائما أثناء عمليات ترميم المعبد فى سنوات ١٩٠٧ — ١٩٠٨ — ١٩٠٩ وللأعمدة تيجان دقيقة مزخرفة برسوم بارزة للنبات والزهور ، ولكن للأسف شوهت وتهشمت معظم هذه المناظر ومعظمها فى حالة تلف شديد ·

ومن الفناء الأمامى ندلف مباشرة من البوابة الجميلة التى فى وسط الواجهة الى الدهليز أو صالة الأعمدة · وتتكون هذه الواجهة من أربعة أعمدة ذات تيجان زهرية ويصل ما بينها جدران ستائرية كالعادة ·

ويشاهد الملك واقفا على الستارة الواقعة جنوبى البوابة رقم (١) أثناء قيام الاله تحوت بتطهيرة فى حضور الاله حورس · اما الستائر الواقعة

---

(١) يعتبر معبد كلابشة من أكبر معابد النوبة الفخمة المشيدة من الصخر الرملى ، ولكن اكثر جدرانه لم تستكمل بها أعمال النقش والزخرفة بصورة جيدة ، ولكن ذلك لم ينقص من جماله وروعته وآلهته المتعددة فهو تحفة معمارية فريدة فى شكلها وجمالها · المترجم

شمال البوابة (اليمنى) فهى مزخرفة بمخطوطات اغريقية منها المخطوط المنقوش على الستارة الأولى الى يمين البوابة رقم (٤). •

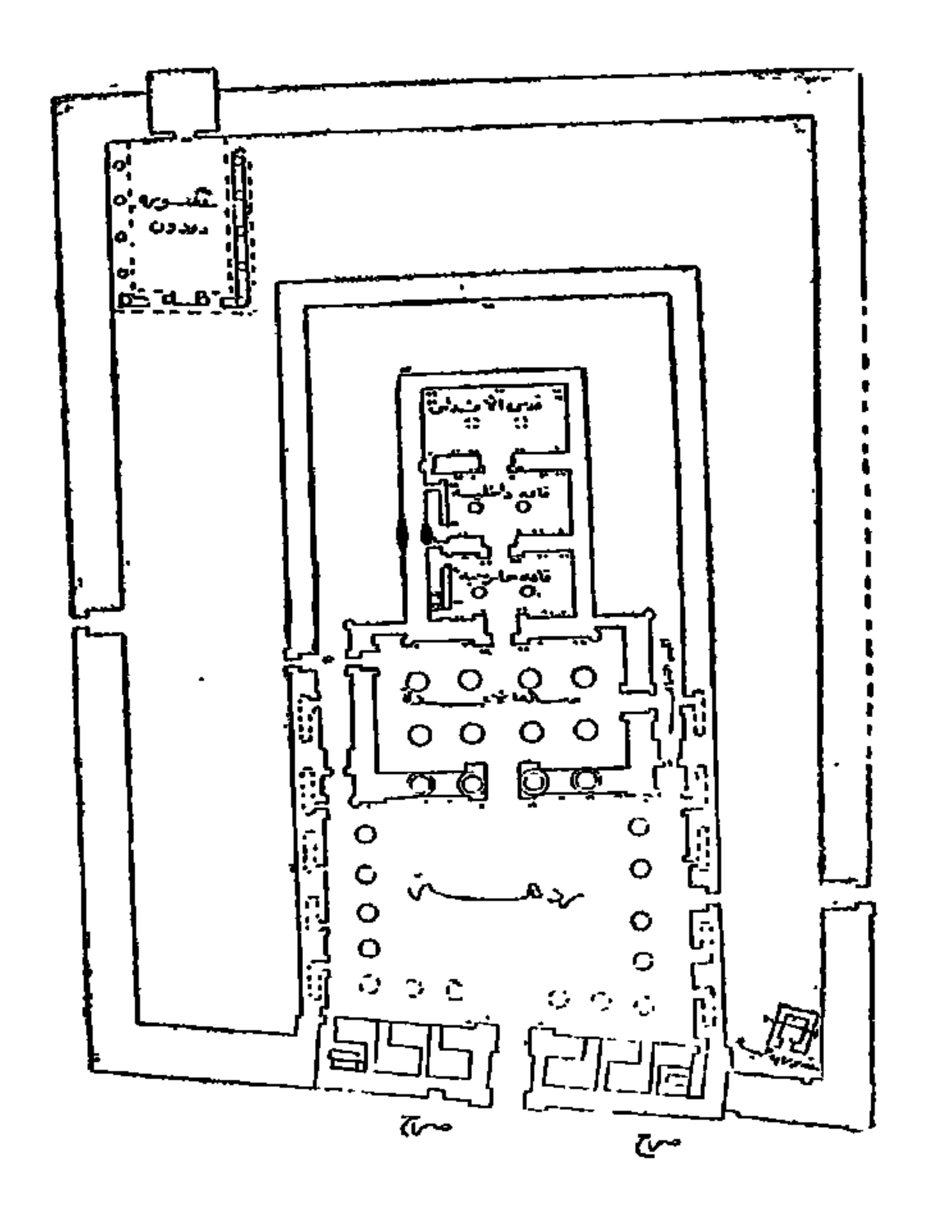
وهو عبارة عن مرسوم صادر من أوريليوس بيماريون حاكم اومبوس وايليفنتين حيث يقضى باخراج الخنازير من تاليس المقدسة • وعلى الجدار الواقع الى اليمين مخطوط طويل آخر مكتوب باللغة اليونانية الرديئة من سيلكو (٢) الذى كان ملكا نوبيا حوالى القرن السادس الميلادى المسيحى •

ونشاهد الملك يحتفل بانتصاره على البليميين وفيما يلى ديباجة ذلك المخطوط :

« أنا سيلكو ملك النوبيين وجميع الاثيوبيين القوى »
جئت مرتين حتى وصلت تاليس وتافيس
وحاربت ضد البليميين ووهبنى الله النصر
وتغلبت عليهم للمرة الثانية
وفى المرة الأولى حصنت نفسى هناك مع جنودى •
وقضيت عليهم : وتضرعوا لى وخضعوا لحكمى
وعقدت صلحا معهم ، وأقسموا لى بآلهتهم •
وثقت بهم ، لأنهم قوم مؤمنون •
ثم عدت أدراجى الى ممتلكاتى فى الاقليم الجنوبى
ولأنى ملك
لا أقتفى أثر الملوك الآخرين وأسير فى ركابهم
بل أننى أتقدمهم

ويبدو أن الملك سيلكو مهتما جدا بفضائله وأعماله التى تميزه عن ملوك آخرين غيره الذين خلفوا وراءهم آثاراً ومقابر أكثر أهمية وروعة لتخليد أنفسهم فى مصر •

ولصالة الأعمدة ، اثنى عشر عمودا بما فى ذلك الاربعة أعمدة المقامة فى واجهتها ، ولكل هذه الأعمدة تيجان جميلة محلاه بالنقوش الزهرية • كما تظهر النقوش البارزة غير المستكملة التى تبرز الملك فى أوضاع مختلفة فى حضرة الآلهة •



(شكل رقم ٢٥)

(رسم تخطيطى لمعبد كلابشة ـ مقصورة دودون)

وثمة تغيير آخر فى هذا الموضوع المتكرر حيث نشاهد فى الركن الجنوبى خلف جدار الواجهة صورة مسيحية رقم (٥) لثلاثة من العبرانيين فى أتون النار الملتهبة وأمامهم ملاك أو اله يقدم لهم سيفا ٠

وهذه الصورة قد لا تمثل فنا رفيعا ولكن على الاقل تعتبر نوعا من التغيير ٠ على أنه يمكن ملاحظة منظرين آخرين منحوتين نحتا بارزا على الجدار الخلفى ، المنظر الأول المنحوت على اليمين يظهر الملك امنحوتب الثانى المؤسس الاصلى للمعبد ، وهو يقدم القرابين للاله « مين » وللاله النوبى المحلى ماندوليس ٠

فيما يظهر المنظر الثانى على اليسار أحد البطالمة وهو يهدى قطعة من الأرض لايزيس وماندوليس واله آخر غير واضح المعالم ٠

بعد ذلك ندخل الحجرة الأولى من الحجرتين الأماميتين ٠ حيث نشاهد نقوشا بارزة ذات الوان زاهية وان كانت خشنة الصنع ولم تكمل حيث يبدو التصميم أنه قد وضع له رسم تخطيطى باللون الاحمر ٠

ويتقدم الملك موكبا فى اسفل الجدران من آلهة النيل يحملون قرابين وهدايا الى ماندوليس واوزوريس وايزيس وغيرهما من الآلهة ٠ وتنفتح هذه الغرفة على غرفة أخرى من الجانب الجنوبى حيث يؤدى درج صاعدا الى أعلى ويفضى الى السطح ٠

ومن ذلك الدرج يمكن الوصول الى السطح الأعلى للاجزاء الأمامية من المبنى بواسطة مجموعة من الدرجات (سلم آخر) ، اما الغرفة الأمامية الثانية فنشاهد فيها مناظر للملوك والاباطرة الرومان يتعبدون امام الآلهة ٠

ومن هذه الغرفة يؤدى درج آخر الى قمة الجدار ، حيث ننزل منها على درجات قليلة لنصل الى مقصورة أو محراب صغير اقيم فى سمك الجدار ، ويحتمل أنها كانت مخصصة لعبادة اوزوريس وقد زخرف قدس الأقداس أيضا بنقوش ورسومات بارزة مازالت بحالة جيدة تماما خصوصا الألوان الجميلة الزاهية التى حليت بها ٠



(شكل رقم ٢٦)

(منظر من معبد كلابشة يمثل رمز الأعوام الطويلة)
(الى اللانهائية التى تتمثل للملوك والآلهة)

أما رسم الأشخاص فهى أعمال رديئة ومبالغ فيها ٠ ومن الغريب أن نرى النمط الزنجى والخطوط الفنية التى تشبه الزنوج حيث أصبح واضحا ومتكررا بكثرة ٠

ويبدو أن الفنانين قد أسرفوا فى تنسيق الملابس وأغطية الرأس للآلهة والفراعنة حتى الآلهة المرسومة يبدون بالملامح الزنجية السائدة ٠

كما نشاهد ايزيس وحورس متخفيين بوجهين سوداوين ، ويلتف حول هاتين الغرفتين الداخليتين سور مواز لسور الفناء الأمامى ، ولذلك فهو يمثل ممرا للمشايات حول الجزء الخلفى للمعبد بدءا من قاعة الأعمدة وما بعدها ٠

وهناك مقياس للنيل على الجانب القبلى لهذا الممر ٠ ويسير سور المعبد على خط مستقيم مع الواجهة حيث يستند عند نهايته على صخرة ضخمة من حجر الجرانيت تأسس عليها المبنى كله ٠

وفى زاوية المعبد الجنوبية — الغربية نشاهد بقايا مقصورة صغيرة تضم حجرة منحوتة فى الصخر بها فناء مفتوح مع أعمدة مرتبطة بعضها ببعض بواسطة جدران ستائرية ٠

وربما كان هذا المزار هو بيت الولادة الملحقة بمعبد كلابشة (١) ٠ كما نشاهد مزارا آخر صغيرا جدا عند الزاوية المقابلة بالقرب من الواجهة الرئيسية ٠

---

(١) تقدمت حكومة ألمانيا الاتحادية بعرضا فى يناير ١٩٦١ لانقاذ معبد كلابشة ، وكان هذا العرض من أهم وأجل العروض التى تلقتها وزارة الثقافة ذلك لأن معبد كلابشة من أكبر معابد بلاد النوبة وأهمها من الناحية الأثرية ، ومن ثم يعتبر انقاذه فى الواقع انقاذا لجزء هام من تراث النوبة ، ثم ابتدأت بعد ذلك بعثة ألمانيا الاتحادية بفك معبد كلابشة ونقله خلال الأعوام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ من موقعه القديم جنوب أسوان بحوالى ٥٧ كيلو متر لكى يأخذ موضعه الجديد الذى حدد له على بعد سبعة كيلو مترات جنوب هذه المدينة على الضفة الغربية للنيل ومواجها للسد العالى ، وقد قام الألمان بهذه المهمة خير قيام ، ويعد انقاذ هذا المعبد الكبير عن الأعمال الخالدة التى تتسم بالأهمية سواء من الناحية الأثرية أو من الناحية الدولية ٠ المترجم

(معبد بيت الوالى)

على مسافة قصيرة الى الشمال الغربى من معبد كلابشة يقع معبد بيت الوالى على سفح تل من التلال ، ويتألف هذا المعبد من فناء أمامى مكشوف وصالة منحوتة فى الصخر وقدس الأقداس ٠

وكان هناك فى الأصل جسر طويل يمتد الى المعبد من السهل ، ولكنه تهدم واختفى ، ولم يبق من الفناء الأمامى الذى تتكون جدرانه من الصخور الجرانيتية من ناحية ومن البناء من ناحية أخرى سوى أطلال صخرية جرانيتية ٠

وهذه الجدران مزخرفة بنقوش بارزة تمثل غزوات رمسيس الثانى ، مؤسس المعبد ، فى حروبه ضد النوبيين والليبيين والآسيويين ٠ وتظهر النقوش والمناظر المنقوشة على الجدار الجنوبى (الأيسر) انتصاراته على الاثيوبيين ٠

كما يشاهد رمسيس فى عربته الحربية وهو ينقض بقوة على جيش الاثيوبيين الهارب ، ويطلق عليهم وابلا من السهام من قوسه ٠ ويرى خلفه اثنان من أبنائه الكثيرين الذين لا يقعون تحت حصر ٠

وهما أمون — حر — لو — ، خع — ام — واست فى عربتيهما مع رجالهما ٠ ويشاهد حاملو الاقواس والنبال من الزنوج مبعثرين ومشتتين امام هجماته وراحوا يلتمسون معسكرهم بينما الأطفال والنساء يجرون على غير هدى والرعب يتملكهم ٠

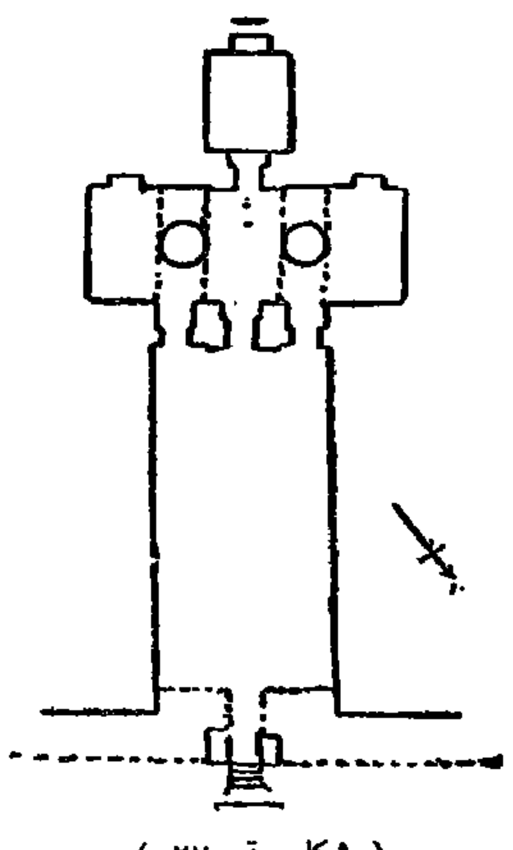
وبعد ذلك نرى نتائج النصر بعد نشوب المعركة حيث نشاهد رمسيس جالسا تحت مظلة بينما يتقدم نبلاؤه وحكامه ويقدمون له جزية الاثيوبيين المقهورين الماثلين أمامه ٠

ونرى حاكم كوش امنحوتب بن بسيور فى موضع متميز كالعادة ، وقد ادرجت الجزية فى سجلين ، حيث يدون فى السجل الاعلى وحيث تظهر

الرسوم الخواتم الذهبية وجلود الفهود والدروع والمقاعد والمراوح وريش النعام وأنياب الفيلة والثيران وأسد وغزال مع مجموعة من الجنود الزنوج ·

ونشاهد فى الصف الأسفل الأسرى والثيران حيث يرى احدهما بقرنين على شكل يدين مرفوعتين بينهما راس زنجى وقرود وفهد وزرافة ونعامة وبعض الأسرى النساء تحمل إحداهن طفلها فى سلة على ظهرها ونسندها بواسطة حزام ملتف حول جبهتها كما تحمل زوجة صياد السمك الاسكتلندى سلتها ·

وعلى الجدار البحرى للفناء نرى مشاهد بارزة ومنحوته عن معارك وانتصارات الملك رمسيس فى آسيا وليبيا · ويرى أولا واقفا فوق اثنين من اعدائه المطروحين أرضا وممسكا بثلاثة سوريين من شعورهم ، فيما يلوح ببلطة من فوقهم ، ويتولى أحد أبنائه قيادة الأسرى الآخرين ·



(شكل رقم ٢٧)
(رسم تخطيطى لمعبد بيت الوالى)

وبعد ذلك نشاهد رمسيس وهو يهاجم قلعة سورية حيث نشاهد القتلى من المحاربين يتساقطون من فوق شرفات الحصون . كما نشاهد محاربون آخرون يتضرعون الى الملك فيما ينقض أحد أبنائه حاملا بلطة من باب القلعة .

ويظهر الملك من جديد فى عربته الحربية التى يقودها بسرعة ويعمل فى أعدائه الفارين ضربا وطعنا ، كما يشاهد مرة أخرى وهو يقتل ليبيا ويهاجمه أحد كلاب الملك .

وأخيرا يجرى تتويج الفرعون تحت مظلة فيما يقبع أسده الأليف عند قدميه ، وهو يستقبل الأسرى السوريين الذين قدمهم اليه الأمير أمن - حر - انمعت .

وهناك ثلاثة أبواب فى جدار هذا الفناء تؤدى كلها الى المحراب أو صالة الأعمدة ، وعلى الواجهة الشرقية الظاهرة من الواجهة المنحوتة فى الصخر يشاهد الملك فوق الباب الأوسط وهو يرقص أمام الاله آمون - رع .

بينما نشاهده على البابين الجانبيين وهو واقفا أمام الاله « مين » والاله « خونسو » وآلهة أخرى . لقد نحت المحراب كله فى الصخر ويستند سقفه على عمودين تركت أربعة جوانب منها بلا نقوش . حتى تنقش عليها ألقاب الملك .

وخلف حائط المدخل القبلى نشاهد الملك وهو يضرب زنجيا كرمز لانتصاره على النوبيين فيما يرى الملك مرة أخرى على الجانب الشمالى من نفس الحائط وهو يضرب أسيرا سوريا كرمز لغزوه أراضى الشمال .

وثمة مشاهد أخرى يشاهد فيها الملك واقفا أمام الآلهة كالعادة ، ويظهر فى سمك البوابة الوسطى رسم منقوش لنائب ملك اثيوبيا وهذا النائب يدعى ميساى Messuy وهناك باب آخر متفرع من الدهليز يؤدى الى قدس الأقداس الذى له مشكاة فى جداره الخلفى .



(شكل رقم ٢٨)

(الجزء الخارجى لمعبد بيت الوالى الذى يرجع الى عهد رمسيس الثانى ،)
(والذى تم فكه بنجاح وأعيد بناءه فى منطقة كلابشة وهو على بعد ثلاثة)
(كيلو مترات من الموقع القديم)

وفى ذلك المكان كان يجلس ثلاثة تماثيل ، ولكنها تحطمت وان كان من المحتمل أنها كانت تمثل ثالوثا الهيا من رمسيس وهو جالسا بين اثنين من اتباعه أو اثنين من الآلهة يحرسونه .

وفى قدس الأقداس نشاهد الألوان وهى ما زالت جميلة زاهية وبحالة جيدة ذات مستوى عالى فى الدقة والانجاز والتوزيع من مستوى الألوان الموجودة فى معبد كلابشة .

على أن مسالة النقوش البارزة ليست بذات اهمية لانها تكرار للصيغة المتكررة بلا نهاية للملك الواقف أمام العديد من الآلهة ٠

أما الفرق الوحيد فهو التنوع فى رسم الكائنات المقدسة التى يفضلها ويحب ان تنقش دائما بجواره لكى يمنحها شرف التطلع دائما الى محياه ٠ ان معظم النقوش التاريخية البارزة مسالة اخرى وان مما يبعث على الارتياح أن معظم النقوش التاريخية البارزة مسالة أخرى وان مما يبعث على الارتياح أن أجزاء منها ملونة حسب المذكرات التى دونها مسيو بونومى المستكشف البريطانى فى أوائل القرن الماضى ، والتى يمكن مشاهدتها فى المتحف البريطانى ٠

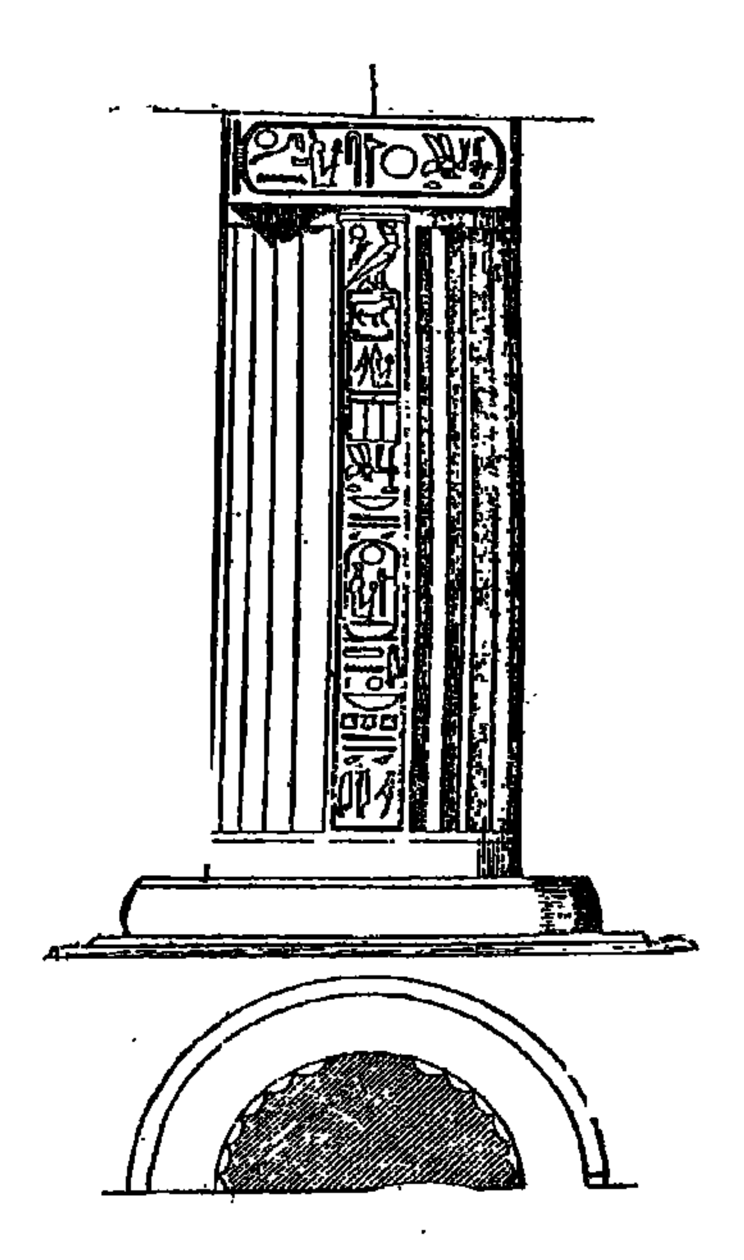
كانت الغرف المختلفة لمعبد بيت الوالى (١) تستخدم فى العصر المسيحى الأول لأغراض العبادة المسيحية مع الطقوس العادية ، ومازالت بقايا قباب كنيسة مسيحية التى أنشئت فى فناء المعبد ظاهرة فوق جدران هذا الفناء ٠

وليست هناك لبلدة تاليس القديمة من آثار ذات أهمية للزائر بعد ذلك ٠ ولكن نشاهد عن قرب عدة مقابر دائرية غريبة مبنية من الحجارة الصغيرة على قمم التلال الواقعة على بعد مسافة قريبة من النهر ٠

وقد صممت هذه المقابر بطريقة تحتم دفن الجسد فى وضع مقرفص ، وقيل أن هذه المدافن تعود الى عصر المملكة الوسطى وربما تكون لرؤساء قبائل البليمى التى كانت تجوب النوبة ٠

---

(١) ساهمت حكومة الولايات المتحدة مساهمة سخية فى انقاذ ثلاثة من أهم آثار النوبة وهى معابد بيت الوالى ووادى السبوع ومقبرة بنوت ، وقد عهدت هيئة الآثار الى احدى الشركات العربية لتنفيذ هذا العمل وانقاذ هذه الآثار الذى تم معظمه من ١٩٦٣ — ١٩٦٥ ، وتم فك هذه المعابد بنجاح واعيد بناء معبد بيت الوالى فى منطقة كلابشة ٠ وأعيد تشييد مقبرة بنوت فى منطقة عمدا وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات الى الداخل من الموقع القديم لهذا المعبد ٠ المترجم



(شكل رقم ٢٩)

(عمود ذو أربعة وعشرين ضلعا)

(من معبد بيت الوالى)

الفصل التاسع والثلاثون

(من كلابشة الى كوروسكو)

(معبد دندور)

عندما نترك كلابشة وبيت الوالى لا نجد شيئا ذا بال على مدى مسافة طويلة ٠ ولكن نجد فى منطقة كوبوشب وبالقرب من منطقة ابو حور بقايا جدار قديم مبنى من كتل حجرية جيدة القطع ، ومع بعض آثار جسر أو بقايا مرسى قديم كما يوجد آثار طريق ومعبد كان يعبد فيه الاله مندوليس ٠

ولكن نظرا لأن هذه الأطلال تبقى فترة طويلة مغمورة بالمياه وأثناء وقت الفيضان فى معظم شهور السنة ، فهى ليست جديرة بالزيارة على أية حال وليس ثمة حاجة الى اضاعة الوقت فى مشاهدتها ٠

اما الموقع التالى الذى له بعض الأهمية فهو معبد دندور الذى يقع على الشاطىء الغربى وعلى مسافة ٥٠ ميلا جنوبى الشلال الأول ، وقد شيد هذا المعبد الامبراطور اغسطس فى عام ٣٠ قبل الميلاد ٠

وقد تم وقف هذا المعبد لبطلين محليين وعبادتهما لأنهما اعتبرا من بين الأبطال ، ورفعهما الامبراطور اغسطس الرومانى الى مصاف الآلهة وهما « باتسى » أى هبة ايزيس و « باهور » أى عبد حوريس ٠

ولعل من أهم النصوص التى سجلت فوق جدرانه هو ذلك النص المكتوب باللغة القبطية والذى يتحدث فيه عن تحويل هذا المعبد الى كنيسة مسيحية وسجل حوالى عام ٥٧٩ ميلادية والذى قام بذلك الملك النوبى « اكيسبانومى »٠

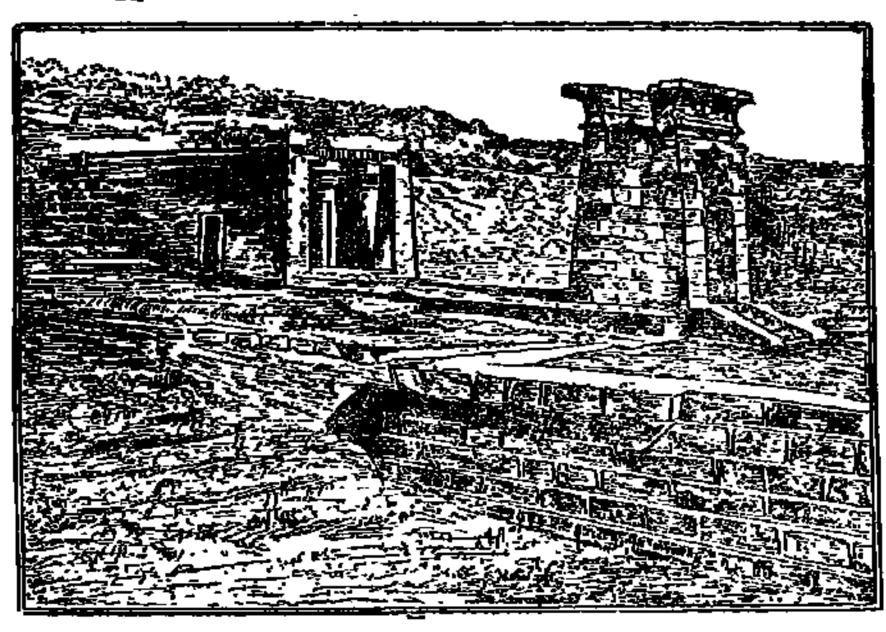
وهذين البطلين كانا ابنا شخص يدعى كوبر فى الأسرة السادسة والعشرين تقريبا ، لكن الغريب فى الأمر أن يعمد الامبراطور اغسطس الى تحقير نفسه ازاء بطلين زنجيين مغمورين وينشأ لهما معبدا ٠

وذلك كما جاء فى وصف مركزه ووضعه فى هذا المعبد ، ولكن هـذه التحية والتكريم ربما ترجع لميول دينية محلية وسياسية تتماشى تماما مع السياسة التى كانت تنتهجها روما القيصرية •

والواضح أن هذين البطلين كانا يعتبران فى مركز أدنى من الآلهـة والآلهات القديمة لأنهما قد صورا فى موضع يقدما فيه القرابين لايزيس -

وكان يتقدم المعبد مباشرة رصيف كبير يطل على النيل وعلى الجانب الغربى من هذا الرصيف البوابة الرئيسية التى كانت فى الأصل صرحا بنى برجاه من اللبن أو كانت مجرد بوابة فى السور المحيط بالمعبد •

وعلى مسافة قليلة خلف هذه البوابة يقوم المبنى الأصلى على بعـد مسافة قصيرة من المنصة وقد تكون متصلة بالبوابة بواسطة فناء أمامى مكشوف والذى كانت جدرانه تشكل جزءا لا يتجزء من السور •



(شكل رقم ٣٠)
(معبد دندور ، وقد تم فك ونقل هذا المعبد الى منطقة اسوان ، ثم قامت)
(هيئة الآثار باهدائه الى حكومة الولايات المتحدة نظرا لمساهمتها فى انقاذ)
(آثار النوبة حيث تم تركيبه فى صالة خاصة أقيمت فى متحف المتروبوليتان)
(بنيويورك)

ولكن الجدران جميعها قد اختفت ولم يبق منها شىء بين البوابة وواجهة المبنى الأصلى • وتتألف واجهة الدهليز من عموذين يعلوهما تاجان مزخرفان بزخارف زهرية ، وكان هذان العمودان متصلين بالجدران الجانبية بواسطة جدران ستائرية •

وعلى هذه البوابة نقوش بارزة (الوجه الشرقى) تبين الامبراطور واقفا أمام مختلف الآلهة والبطلين المؤلهين « باتمى » و « باهور » • وهناك مشاهد أخرى مماثلة على الواجهة الغربية ومشهدان آخران فى سمك البوابة رغم أنها أصيبت بتلف بالغ وتهشمت •

وتظهر على واجهة الحجرة الأمامية مشاهد أخرى من نفس النمط ، بينما تتكرر المشاهد نفسها مع شىء من بعض الاختلافات على الجدران الداخلية •

وفى الجانب الجنوبى من هذه الحجرة نشاهد بوابة عليها مخطوط قبطى طويل يشير الى تحويل المبنى الى كنيسة مسيحية ، وربما وقع هذا الحدث حوالى عام ٥٧٧ بعد الميلاد ، نتيجة لغيرة الملك النوبى ايزيانوحى •

وقد زخرفت هذه البوابة بزخارف جميلة من الخارج تمثل قرص الشمس المجنح وجعلان مجنح يظهر على كل قائمة من قائمتى كتف الباب ساقا من نبات البردى يلتف حوله ثعبان كوبرا •

وعندما نمر من باب فى الجدار الخلفى للدهليز الى الغرفة الداخلية غير المزخرفة الخاصة بمعبد دندور (٢) لا نشاهد سوى رسم لباب وهمى وراء

---

(١) عند البدء فى مشروع انقاذ آثار النوبة تم فك ونقل معبد دندور ومقصورة الليسيه ومعبد المحرقة ومعبد الدكة وأجزاء من معبدى جرف حسين وأبو عودة • ونظرا للمساهمات القيمة التى قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه مشروع انقاذ هذه الآثار فقد أهدت حكومة جمهورية مصر العربية معبد دندور الى الولايات المتحدة الأمريكية التى شرعت فى اقامته وتركيبه بجوار متحف متروبوليتان بنيويورك • (المترجم)

الغرفة الداخلية ، وعليه رسوم ونقوش لشخوص تبين الآلهة باتسى وباجور يتعبدان للآلهة أيزيس ٠

ويقع المحراب وراء هذه الغرفة ، وتبين جدران المعبد الخــارجية الامبراطور اغسطس واقفا أمام باجور (على الجدار الشمالى) وأمــام باتسى (على الجدار الجنوبى) بصحبة زوجته المجهولة الاسم ٠

وخلف المعبد وبالتقريب على مستوى محوره يوجد محراب صغير منحوت فى الصخر فى شكل مدفن زخرف بابه بحليات معمارية جميلة ، كما يلاحظ أعمال التجديد والترميم بكتل من حجارة الجرانيت المختلفة اثناء بناء المعبد ٠

وفى هذا الوقت اقيم فناء صغير أمام المعبد ومن المحتمل أن يكون هذا البناء هو المدفن الحقيقى للبطلين النوبيين اللذين تم وقف هذا المعبد لهما ٠ كما ينبغى أن لا يغرب عن البال أن معبد دندور يكون فى الشتاء مثل كثير من المواقع المشابهة لها فى النوبة السفلى مغمورة بالمياه ٠

(معبد جرف حسين)

بعد ان نتخطى خرائب القلعة البيزنطية بسباجورا بالقرب من جرشة ، نصل الى نقطة تقع على بعد زهاء ستين ميلا من الشلال الأول وهو معبد جرف حسين الذى يبعد مسافة ٦٠ ميلا تقريبا جنوب الشلال الأول ٠

وهذا المعبد يعتبر ثانى معابد رمسيس الثانى المنقورة فى الصخر ٠ كما يسميه المصريون بير ـ بتاح أو بيت الولادة ، كما أنه اقدم عهدا من معظم المعابد التى صادفتنا جنوبى الشلال الأو ل ٠

وقد بنى هذا المعبد فى عهد رمسيس الثانى ٠ وتم نحت الجسم الرئيسى منه فى الصخر ، ولكن أقيم الفناء الأمامى المربع الشكل امام الجزء المنحوت فى الصخر ، ويحيط بهذا الفناء بواك مسقوفة ومحاطة بسقوف من الأعمدة

ومن المعروف أن صاحب هذا المشروع ومنفذه والمسؤول عنه هو الأمير « ستاو » نائب ملك اثيوبيا والمولى على كوش ، وقد خصص هذا المعبد لعبادة الاله بتاح المعبود الأول لمدينة منف القديمة ٠

كما شاركه أيضا بعض الآلهة الاخرى ممن اندمجوا فى عبادته مثل « بتاح تاتنن » والآلهة « سخمت » كما أن الملك رمسيس الثانى شاهد فى نفسه القدسية الالهية التى تجعله جديرا ويستحق العبادة من شعبة فنـراه ممثلا كواحد من آلهة هذا المعبد بين هذه الآلهة ٠

ويبدو أن معبد جرف حسين (١) كان مقدسا منذ العصور القديمة لأن هناك رسومات يعود عهدها الى عصر ما قبل التاريخ ، ومخوطات منقوشة على الصخور الواقعة جنوبى المعبد يعود تاريخها الى عصر الدولة الوسطى ٠

---

(١) ظل معبد جرف حسين مجهولا لفترة طويلة من الزمان لدى الأثريين والعلماء ، غير أن بعض الرحالة وطلائع الأثريين فضلا عن شمبليون ، بلزونى ، ومانجل ، وروزلينى ، وولكنسن وبروكش وبرستد الذين كتبوا كثيرا عنه لكن بغير اهتمام نظرا لبعد موقعه ، ولكن حين وجه الاهتمام اليه تولى مركز الآثار المصرية تسجيل هذا المعبد الغريب الذى نحت بأمر من

=

ولعل اسم بير – بتاح قد أطلق على هذا المكان نتيجة للعرف السائد عن عبادة بتاح فى المنطقة المجاورة لقد كان السكان النوبيون فى القرن التاسع عشر يتهيبون الدخول الى المعبد فيما كانوا يطلقوا عليه اسم « كهف الجن » ولعل هذا المعبد الصخرى المقدس قد اتخذ سكنا ، كما يدل على ذلك ما فيه من آثار متخلفة من رماد الدخان ، كذلك ساهمت الخفافيش فى اخفاء الجدران والتماثيل الملتصقة بها بطبقة كبيرة سوداء ٠

فكان أول شىء عنى به مركز تسجيل الآثار هو تنظيف هذه الجدران وسرعان ما تجلت ألوان جميلة زاهية تكسو النقوش والتماثيل ٠

ويقع معبد جرف حسين على شاطىء النيل الغربى وعلى مسيرة ٨٧ كيلو مترا جنوبى الشلال الأول ، وعند مستوى يبلغ ارتفاعه حوالى ١٢٤ مترا فوق مستوى سطح البحر ، ولم يكن اختيار هذا المكان لعمارة المعبد عفوا ، وانما عن قصد واختيار سليم ، نظرا لأن رجال رمسيس الثانى كانوا يعرفون ما لهذا المكان من حرمة وقدسية وقيمة تاريخية ٠

فقد نحت عليها الرسوم والوثائق المنتشرة على صخوره بما ضمت من أسماء المعبودات وكبار رجال الدولة ، وأكبر الظن ان أكثر رواد هذا المعبد كانوا من الذين يعملون فى مناجم الذهب التى اهتم بها سيتى الأول والد رمسيس الثانى ٠ فوفر لعمالها الماء وعمل على تعميق البئر الذى بدىء فى حفرها أيام أبيه كما جاء فى لوحة مناجم الذهب التى عثر عليها فى صحراء كوبان ٠

=

رمسيس الثانى فى الصخور الرملية للضفة الشرقية من النيل فسجله تسجيلا كاملا ، ولم يكن باقيا شىء من الطريق أو من الصرح ، أما الاعمدة المربعة التى لا تزال انقاضها قائمة بالفناء فانها تعلن بتماثيلها الثقيلة التى تزين أحد الجوانب منها على الأسلوب الرائع للمبنى بأسره ، ذلك أن الزائر عندما يدخله ويشاهد بهو الأعمدة الداخلى الذى يأخذ عليه مشاعره انما يلتقى بصورة مهيبة لرمسيس الثانى فى استقباله فيحس أنه انتقل فجاة أمام نسخة ثقيلة من معبد أبو سنبل حيث حلت الفخامة محل الرقة وسادت الرهبة المفروضة مكان الغموض الرقيق ٠ المترجم

وكان ستاو نائب الملك والمشرف على مناجم الذهب أيام رمسيس الثانى قد عثر له بالقرب من المعبد على تمثالين انتهيا الى متحف برلين كما نقش لنفسه صورتين داخل حرم المعبد ٠

لم يبق من بوابة المعبد غير أطلال من أحجار الأساس ومن الدرج الذى كان يرقى عليه اليها ٠ اما الطريق الذى يجرى منحدرا من البوابة الى شاطىء النيل فلم يبق من معالمه غير جزء من تمثال كان على شكل أبو الهول ٠

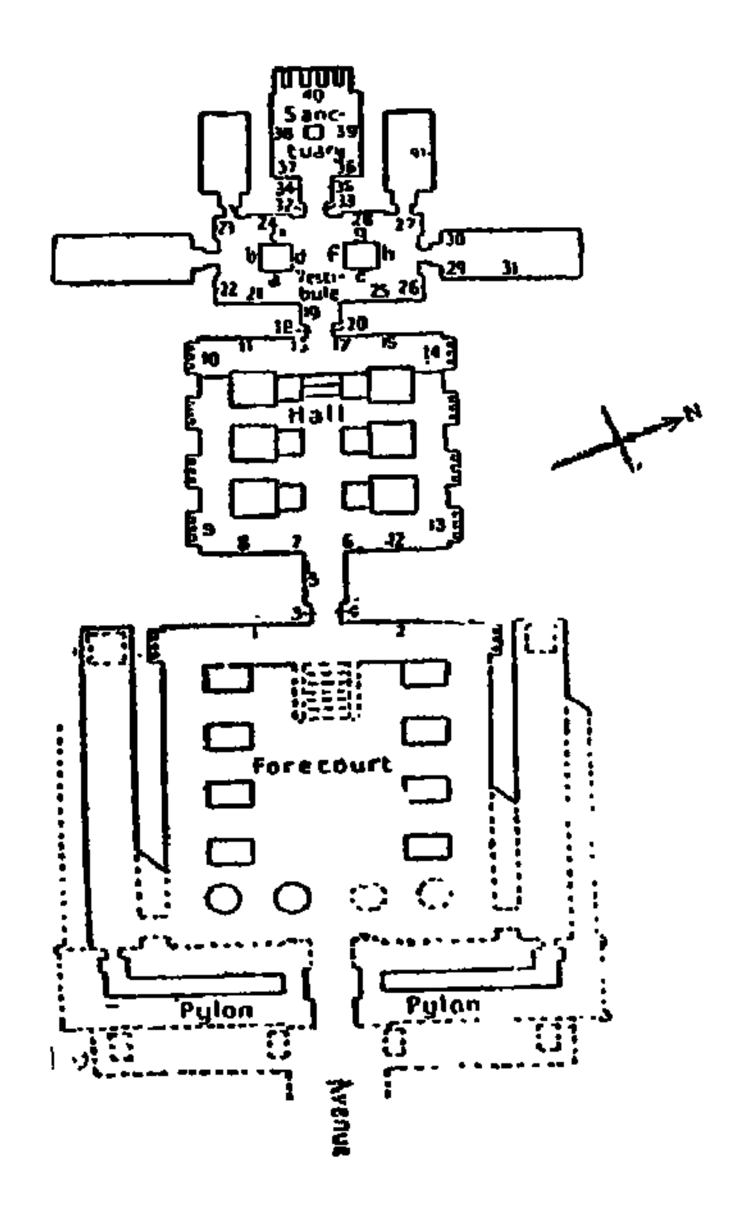
ومن وراء البوابة الرئيسية لجرف حسين (١) كان يشاهد صحن الدار الذى يحده من الجنوب والشمال حائطان سوى أعلاهما من الصخر الأصم وبنى أدناهما من الحجر الرملى ٠ وأرضيه الصحن ممهدة من الصخر الأصم أيضـا ٠

وقد ضم الصحن أروقة ثلاثة ، يتكون الرواق الشرقى منها من اساطين أربعة لم يبق منها قائما غير اثنين فقط ، وهى على هيئة أعواد نبات البردى ٠ أما الرواقان الشمالى والجنوبى فيزدان كل منهما بدعامات أربع ٠ ويبلغ ارتفاع كل منهما حوالى أربعة أمتار ٠

كما يبلغ عرض كل منهما متر وربع المتر ، اقامها البناء من عشرة مداميك ٠ واستطاع أن يبرز فى وجه كل منهما تمثالا يصور الملك واقفا يحمل على رأسه تاج الوجهين وفى قبضته صولجان الحكم ٠

---

(١) يعتبر هذا المعبد أحد معابد رمسيس الثانى التى نقرت فى صخور النوبة وعرفت بقيمتها التاريخية ، واذا كان هذا المعبد لم يبلغ من الفخامة والروعة والقيمة الجمالية ما بلغه « معبد أبى سنبل » فانه يكاد يكون أدناها شبها منه وذلك من الناحيتين المعمارية والفنية خصوصا فى عمارته الداخلية ٠ وقد أتى على هذا المعبد حين من الدهر أهمل فيه أمره ، وتبدلت أحواله واختفت معالم جماله خلف طبقـة سـوداء تجمعت من مخلفـات الخفافيش والطيور والحشرات ثم شاء الله لتلك الحجب السود أن تزول عندما قامت مصلحة تسجيل الآثار بتنظيفها ورفع هذا السواد عنها واستطاع المركز أن يقوم بتسجيل هذا المعبد تسجيلا كاملا يتضمن الرفع الهندسى ، ونقل كافة النصوص وكتابة الوصف الأثرى والتصويرى العادى والملون ورسم المناظر المختلفة به ٠ المترجم



(شكل رقم ٣١)

(رسم تخطيطي لمعبد جرف حسين)

وتشير صناعة هذه التماثيل وما فيها من تفاصيل أعضاء الجسم ، ونسبها وقسمات وجوهها ، وما فيها من تعبيرات الى أن الذين قاموا بصنعها وزخرفتها لم يكونوا من أرباب الفن الممتازين ، بل أغلب الظن أنهم كانوا من المحترفين من أهالى النوبة .

ومن أبرز الصور التى تزدان بها بعض أجزاء هذا الصحن ما نقش على الأكتاف التى ترتكز على دعامات الرواق عن يمين وعن يسار حيث تمثل بقية من منظر تمثل الملك وهو يضرب أعداءه كالعادة .

وتنتشر على جوانب هذه الدعامات مناظر مختلفة تمثل الفرعون فى حضرة الأرباب المختلفة ، وعلى كل من الحائطين الشمالى والجنوبى نشاهد رسومات تمثل الأمراء من أبناء رمسيس الثانى داخلين الدار ، الا أن هذه المناظر أغلبها مهشمة وألوانها باهتة اختفت بعد ذلك تحت الميـاه .

ومن حول الصـحن عـن يمين وعن يسـار نحت فى الصـخر ممرين مستطيلين ينتهيان عند واجهة المدخل الى بهو الأعمدة .

وفى نهاية الصحن يوجد ممر يمتد من أمام واجهة بهو المعبد ، وفى كل من طرفى الممر شمالا وجنوبا محراب كبير يضم مجموعة من التماثيل المنحوتة فى الصخر تصور الملك بين المعبود بتاح وصاحبته .

وعندما ندخل بهو الأعمدة فى جرف حسين (١) نلاحظ أن المعبد كله منحوتا فى الصخر ، ويزدان طرفا الجزء الأعلى من واجهة مدخله بصور تقليدية تمثل الملك ظافرا بأعدائه ، ومشهدا آخر يظهر آلهة ومعبودات النوبة .

---

(١) فى عام ١٩٦٤ استطاعت مصلحة الآثار أن تنقل من عمارة هذا المعبد ما تم الاتفاق على نقله وذلك لتعذر انقاذه بأسره مع غيره من المعابد الصخرية ، وقد عملت مصلحة الآثار على انقاذ الفناء كله واقتطاع أجمل التماثيل وأكملها وذلك مع اثنين وعشرين كتلة أخرى تحمل أجمل المناظر والنقوش حفظت كلها فى أسوان حتى يعاد اقامتها قرب موقع كلابشة الجديد جنوبى السد العالى .   المترجم



(شكل رقم ٣٢)

(معبد جرف حسين ، بقايا أروقة الصحن كما كانت فى أوائل هذا القرن وقد)
(ظهر فيها بقايا تماثيل أكملها التمثال الأوسط)

اما الجزء الأسفل من الواجهة ، فليس به غير بقية من كساء حجرى ويبدو أن البناء قد قصد به الى تسوية الصخر الطبيعى ، وحين أعياه النقش عليه ، ولم يبق من بناء الباب غير أسفل عارضته اليسرى ، وكان الزائر لا يكاد يخطو من الباب الى المدخل حتى يجد على جداره الأيسر رسوما تمثل الملك وهو يقدم الى المعبود بتاح تحية باقة من الزهور •

واذا انتهى الزائر من المدخل ثم دخل بهـو العمد واستدار الى الخلف يشاهد على العتب وعلى كل من العارضتين مناظر مختلفة تصور الفرعون فى حضرة بعض المعبودات •

عندما ندخل الى البهو نجده مربعا غير منتظم التربيع واضلاعه غير متساوية ، وكذلك الزوايا غير منضبطة نظرا لرداءة الصخر • ويبلغ متوسط طول الضلع ١٥ر١٣ مترا ويستقر سقف البهو على ستة أعمدة أوزورية مربعة اقصى ارتفاعها ٤٠ر٧ مترا على حين لا يتجاوز فى الجانبين ٤٠ر٦ مترا •

وقد أبرز البناء من الجانب الأمامى لكل عامود تمثالا للملك رمسيس يصوره واقفا يزدان رأسه بعصابة يعلوها التاج المزدوج ، ويداه مضمومتان الى صدره وقابضتان على شارتى الحكم والرعاية •

وكان الناظر الى هذه التماثيل يراها تميل بعض الميل الى الأمام ولا نعرف لذلك من سبب واضح الا أن تكون طبيعة الضخر وصعوبة النحت فيها هى التى أدت الى ذلك •

وابرز هذه التماثيل واتمها جمالا وأكثرها رشاقة ووسامة أوسط المجموعة التى على يسار الداخل ، على أن استمتاع الزائر بما فى ذلك التمثال الاخير لا يستمر طويلا اذ يشعر الزائر بعدم الارتياح والضيق ، وقد يكون مرجع ذلك الى ضيق ما بين العمد من فراغ ، وبخاصة اذا أضفنا الى ذلك ما قدمنا من خشونة الفن الباذية فى بقية التماثيل •



(شكل رقم ٣٣)

(رسم لرمسيس الثانى وهو يقدم الزهور لبعض المعبودات)
(باحد المحاريب داخل معبد جرف جسين)

كما نلاحظ أن النقوش والرسوم فى داخل معبد جرف حسين (١) غائرة وغير بارزة ، ومزدانة بمختلف الألوان ما بين أبيض وأحمر وأصفر وأزرق وأخضر ، واذا كانت الرسوم هنا تبدو أكثر جمالا من النحت فانها مع ذلك لا تخلو من طابع الخشونة اذا ما قورنت بأمثالها فى المعابد الأخرى ٠

الحائط الشرقى :

كانت تنتشر رسومه على جانبى المدخل وهى فى جملتها تمثل فرعون فى حضرة المعبودات ، فالى جنوب المدخل مثل فرعون مكان الابن بين المعبود آمون رع وزوجته ولكن معظم هذه الرسوم قد تهشمت وبهتت ألوانها ٠

والى شمال المدخل نشاهد فرعون يحرق البخور فى حضرة المعبودات ، ومناظر أخرى بين المعبودين « رع حور آختى » و « ماعت » وفى كلا المنظرين يحمل على رأسه التاج المعروف باسم التاج الأزرق ومرة أخرى بالتاج الأحمر ٠

الحائط الجنوبى :

تقاسمت المناظر على هذا الجدار أعلاه وأسفله ، ففى أعلاه مناظر ستة تمثل فرعون يقدم القرابين الى مختلف المعبودات ، فكنا نراه فى المنظر الأول يحرق البخور فى حضرة الاله آمون ونراه فى المنظر الثانى يتقدم بالعطور الى رع حور آختى ، وفى المنظر الثالث يتقدم برمز الصدق الى آتوم ، وفى الرابع يقدم القرابين الى الاله بتاح ، وفى الخامس يقدم نسيجا الى المعبود (' تاتنن) وفى آخر هذه المناظر مثل الملك يقدم الخبز الى المعبود توت ٠

---

(١) جرف حسين : يوجد مشروع سياحى تم تنفيذه بالفعل فى منطقة جرف حسين والتى تبعد ١٤٠ كم جنوب أسوان وهذا المشروع السياحى يتضمن خطة للسياحة العلاجية والترفيهية وسياحة الصحراء ، كما يتكامل هذا المشروع فى نفس الوقت مع بقية معابد النوبة وتم انشاء استراحة كبيرة فى هذه المنطقة وتم بيع ٥٠٠ فدان حول هذه المنطقة لاقامة مشروع سياحى ٠ المترجم

وكان فى اسفل الجدار محاريب اربعة بكل منها ثالوث : ففى الأول مثل الملك بين أبيه « آمون » وأمه « موة » وفى الثانى بين « حورس » باكى « وحورس » بوهن . وفى الثالث بين أبيه « بتاح تاتنن » وأمه حتحور . وفى الرابع بين أبيه « بتاح » وأمه « سخمة » وأمام ثلاثة من تلك المحاريب صور الملك يتقدم بالقرابين الى من فيها من المعبودات الأخرى .

الحائط الشمالى :

لا يكاد توزيع النقوش والرسوم ينقطع بل لا تكاد أوضاعها هنا تختلف عما قدمنا فى وصف نظائرها على الحائط السابق الا فيما يختص بأسماء المعبودات . ففى الصف الأعلى نشاهد الملك يقدم الزهور للمعبود « خنوم » ثم يتقرب للمعبود « حور بحدتى » ثم للمعبود « حور نخن » كما يحمل الى المعبود « أويوادت » أربعة اقداح من الأشربة ، ثم يحمل العطور الى المعبود « حور شسمت » ونراه أخيرا يتقرب للمعبود « حرى شف » .

وتماثل المحاريب الأربعة فى الصف الأسفل نظيراتها فى الحائط المقابل ، وان اختلف من فيها من المعبودات : ففى الأول مثل الملك بين « حور آختى » وصاحبته ، وفى الثانى بين ايزيس وحورس وفى الثالث بين نفرتوم وست وفى الرابع بين خنوم وصاحبته عنقة .

الحائط الغربى :

تقاسم الحائط منظران أحدهما عن يمين الباب المؤدى الى الممر والثانى عن يساره فمثل فى هذا الأخير الملك متوجا بتاج الصعيد فى حضرة الثالوث الذى يضم المعبودين « تاتنن » والمعبودة حتحور فى هيئة امراة برأس بقرة .

ثم نشاهد الملك نفسه وقد مثل فى المنظر الأيمن متوجا بتاج الشمال وبيده رمز الصدق وقد وقف أمام مقصورة تضم ثالوثا من المعبودات « بتاح » وزوجته ثم الملك نفسه ، ويمتاز هذا المنظر بجمال وتناسق الوانه ، ونجاح

الفنان فى ابراز الجمال الهادىء والصرامة والوقار خصوصا وجه المعبود « بتاح » ورأس الملك ونحت رأس اللبؤة فى صورة المعبودة « سخمت » .

الصالة والممر الى قدس الأقداس :

قاعة بسيطة كان يصل الزائر منها الى غرفات أربع علاوة على قدس الأقداس ، وهذه القاعة بها عمودان مربعان تزدان جوانبهما بمناظر دينية مختلفة تمثل الملك فى حضرة المعبودات ، ومن تحت كل أولئك مناظر المتعبدين من طوائف الشعب .

واكبر مناظر هذه القاعة ما يراه الزائر على الحائط الشرقى منها وهما منظران احدهما عن يمين المدخل والثانى عن يساره . ويمثل الأخير منهما الملك وهو يحرق البخور فى حضرة معبودات الدار التى وضعت تماثيلها فى قدس الأقداس .

وهى على التوالى « بتاح » والملك نفسه وبتاح تاتنن « وحتحور » ، أما الأيمن من المنظرين فيمثل الملك يحرق البخور فى حضرة نفسه بين فريق المعبودات وهى : انوريس شو ، سخمت ، نخبيت وتنتشر على بقية جدران القاعة مناظر مختلفة مثل فيها علـى الحـائط الجنوبى الملك فى حضرة « حورس » صاحب ميعام ، وأخرى فى حضرة حورس صاحب « بوهن » . وعلى الحائط الشمالى مثل الملك مرة فى حضرة حورس صاحب باكى ومرة أخرى فى حضرة الاله « خنوم » .

وتقاسم الحائط الغربى منظران احدهما على يسار المدخل الى قدس الأقداس والثانى على يمينه : فمثل الملك فى أولهما يقدم قربانا الى معبودين أحدهما « آمون » وثانيهما الملك نفسه ، ثم مثل الملك الثانى يقدم قربانا الى معبودين أحدهما « بتاح » وثانيهما الملك نفسه .

الغرفات الجانبية :

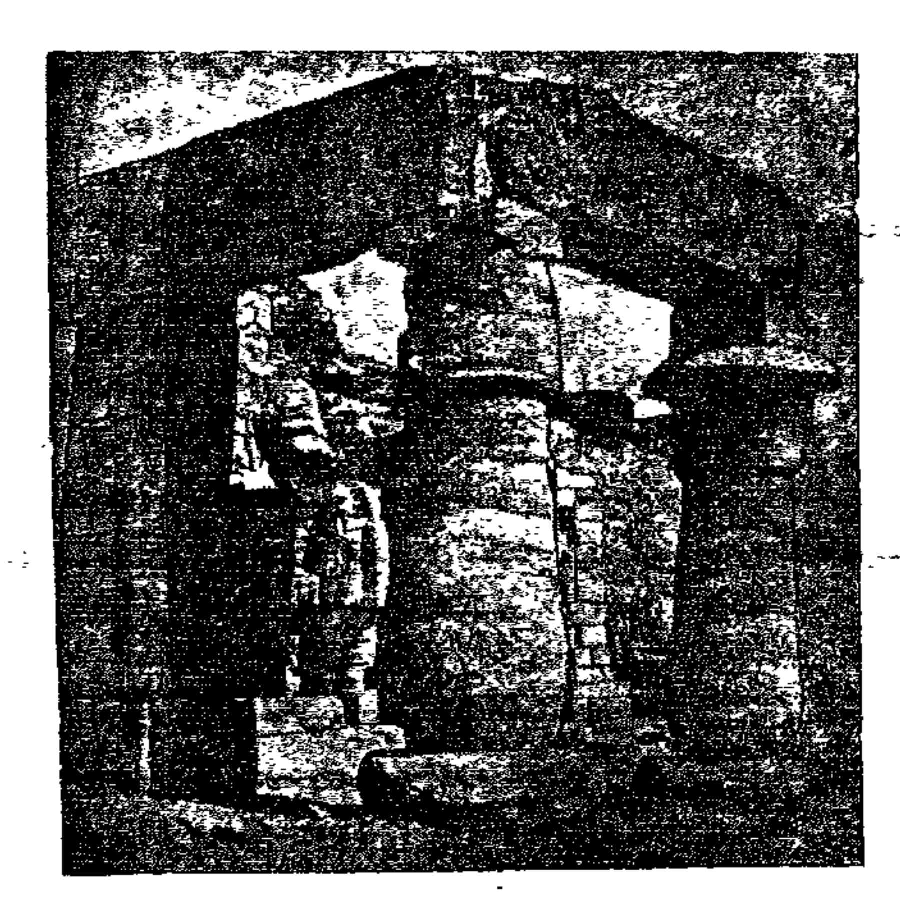
عندما نترك الصالة التى شرحناها قبل ذلك وندلف فى الممر نشاهد على جوانب هذا الممر المؤدى الى قدس الاقداس أربع غرفات كان ينفذ الزائر الى أولاها من مدخل فى الحائط الغربى ، والى الثانية من مدخل فى الحائط الشمالى وينفذ الى الثالثة والرابعة من مدخلين فى الحائط الغربى على جانبى قدس الأقداس ٠

والمناظر على جدران تلك الغرفات عادية ، فهى تمثل الملك فى حضرة المعبودات راكعا مثل مناظر الغرفتين الأولى والثانية وواقفا فى مناظر الثالثة والرابعة ولا يفوتنا بعد ذلك أن نشير الى أمرين يلفتان النظر ، الأول صورة حاكم النوبة « ستاو » التى تمثله راكعا يمجد اسم فرعون عند كل من مدخل الغرفة الأولى والثانية ، وثانيهما أن اللون الغالب فى صور المناظر بالغرفات الأربع هو اللون الأصفر ٠

قدس الأقداس :

عندما ندخل الى غرفة قدس الأقداس نلاحظ أن بناء هذه الغرفة يستطيل قليلا ، اذ يبلغ طولها ٥ر٤ مترا على حين يبلغ عرضها ٤ر٤ مترا كما يبلغ ارتفاعها ٤ر٤ مترا وتتوسط هذه الغرفة قاعدة حجرية أو مذبح ، وعلى جانبى المدخل نشاهد صورا تمثل الملك وهو يخطو الى الداخل وفى استقباله على اليسار المعبودة (موة) وعلى اليمين المعبودة « سخمت » ٠

وبقية المناظر فى هذه الغرفة موزعة على حائطيها الشمالى والجنوبى ، وهى لا تعدو أن تكون صورة للملك فى استقبال الزورق المقدس ، أما الحائط الغربى فيتوسطه محراب يضم أربعة تماثيل صفت من الجنوب الى الشمال على النحو التالى : « بتاح » يحلق فوق هامته صقر ويزدان رأسه بقرص الشمس ٠



(شكل رقم ٣٤)

(جانب من صحن الدر الخاص بمعبد جرف حسين)

ويتلو ذلك المنظر الملك رمسيس الثانى ، ثم المعبر « بتاج تاتنن » واخيرا المعبودة « حتحور » واكبر الظن أن تلك التماثيل كانت مغطاة برقائق من الذهب مازالت بعض آثارها بادية علـى جبين تمثـال المعبود « بتاح تاتنن » وعلى احدى أذنى تمثال المعبودة « حتحور » حتى غرق المعبـد :

وذلك المحراب بعد هذا كله كان متوجا بصورة لزورق الشمس يتوسطه المعبود « رع حور آختى » وقد ركع الملك أمام الزورق متعبدا ٠

وقد اقيم هذا المعبد لعبادة الاله بتاح وبتاح تاتنن ورمسيس الثانى نفسه كما ظهرت كل من المعبودة سخمت بجانب صاحبها بتاح والمعبودة حتحور بجانب « بتاح تاتنن » ، ويظهر أن عبادة رمسيس الثانى فى النوبة كانت قد استقرت منذ زمن غير قصير فى معبد جرف حسين (١) اذ ظهرت صورته غير مقحمة فى هذا المعبد بل فى مكان قدر لها من قبل ٠

كما عبد فى هذه الدار من أرباب النوبة « حورس » ، صاحب بوهن وحورس صاحب باكى وحورس صاحب ميعام وحورس صاحب محا ، كما ظهرت أرباب أخرى منها آمون ، موة ، خنسو ، حور آختى ، ماعت ، آتوم ، خنوم ، توت ، أيزيس ، ستة ، عنقت ، نفرتـوم ، انوبيس ، أنوريس ، حور تخن ، حور بحدتى ، حور شسمت ٠

---

(١) فى عام ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ أنقذت أهم لوحات معبدى جرف حسين وأبو عودة دون المعبدين اللذين كانا نقلهما أمرا غير ميسرا نظرا لارتفاع تكاليفه وبخاصة لسوء حالة الصخور التى نحت فيها معبد جرف حسين ، وقد تمت خطوات الانقاذ وشملت المراحل المختلفة حفائر ومسح أثرى وتسجيل ونقل للمعابد من أماكنها قبل أن تغمرها مياه السد العالى التى بدأت فى الارتفاع عام ١٩٦٥ ٠ المترجم

(معبد الدكة)

على بعد حوالى ثمانية أميال من جرف حسين ، نصل الى بلـــدة كشتمنة ، التى تقع بالقرب من قلعة كورى (Kuri) القديمة والبالغة الأهمية ، وذلك على الضفة الغربية للنيل ، ويبدو أن تاريخ بناء هذه القلعة يعود الى عصر الدولة الوسطى ·

ولما كانت مبنية من الطوب اللبن ، فلا مفر من زوالها بتأثير المياه التى تغطيها طوال السنة ·

وعلى مسافة سبعين ميلا من الشلال الأول نصل الى معبد الدكة ، ويعتبر هذا المعبد ثانى المعابد الكبرى المشيدة ببلاد النوبة السفلى ويقع على مسافة ١٠٧ كيلو مترا الى الجنوب من أسوان بالقرب من بلدة بسلخيس اليونانية ·

وبالقرب من هذه البلدة أوقع القائد الرومانى بترونيوس الهزيمـة بالأثيوبيين الذين كانوا قد هاجموا المقاطعة بقيادة كانديس الملكة الوصية على أثيوبيا وقد أوضح جريفيت ان كانديس هذه لقب وليس اسما فرديا تماما مثلما كان الفرعون يعتبر لقبا فى مصر ·

على أن المعركة قد حدثت فى عام ٢٣ قبل الميلاد · كانت البلـدة فى ذلك الوقت ذات تاريخ قديم ، وربما تعود جذورها الى عصر ما قبـل التاريخ وهناك دليل على وجود مجتمع كبير من السكان يرجع تاريخه الى الدولة الوسطى ، وقد وجدت رسومات ونقوش وكتابات هيروغليفية عن الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ·

ونستخلص من كل ذلك ان منطقة الدكة ومعابدها كانلها تاريخ حافل امتد لفترة طويلة طوال عصر الأسرات ·

ويبدو أن هذا المعبد قد بنى على أنقاض معبد قديم يرجع الى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، الا أن البناء الحالى يرجع تاريخه الى عصر الملك

النوبى « أركامون » الذى كان معاصرا للملك بطليموس الرابع فيلوباتور ، كما أنه نشا نشأة متأثرة بالثقافة الاغريقية .

الا أن بعض أجزاء هذا المعبد قد اضيفت اليه اضافات كثيرة فى عصر الاباطرة الرومان ، كما يتميز بانه يمتد فى محاذاة النيل بحيث يتجه فى محوره من الشمال الى الجنوب ، وهو بذلك يخالف بقية المعابد التى كانت تصل فى فنائها الخارجى الى شاطىء النيل ولا يمكن الوصول اليها الا عن طريق النهر .

ويوحى الاسم الاغريقى للبلدة وهو بسيلكيس بأن ذلك المكان كان مرتبطا فى وقت ما مع عبادة سلكت الالهة العقرب التى تظهر واضحة فى معظم الرسومات والنقوش البارزة فى بيت الوالى ولكن هذا المعبد لم يكن مكرسا لهذه الآلهة بل كان مكرسا للاله تحوت رب بينوس .

واتجاه المعبد غير عادى فهو يقع موازيا للنهر اى شمالا وجنوبا بدلا من أن يتجه شرقا وغربا كما هو المعتاد فى المعابد النوبية .

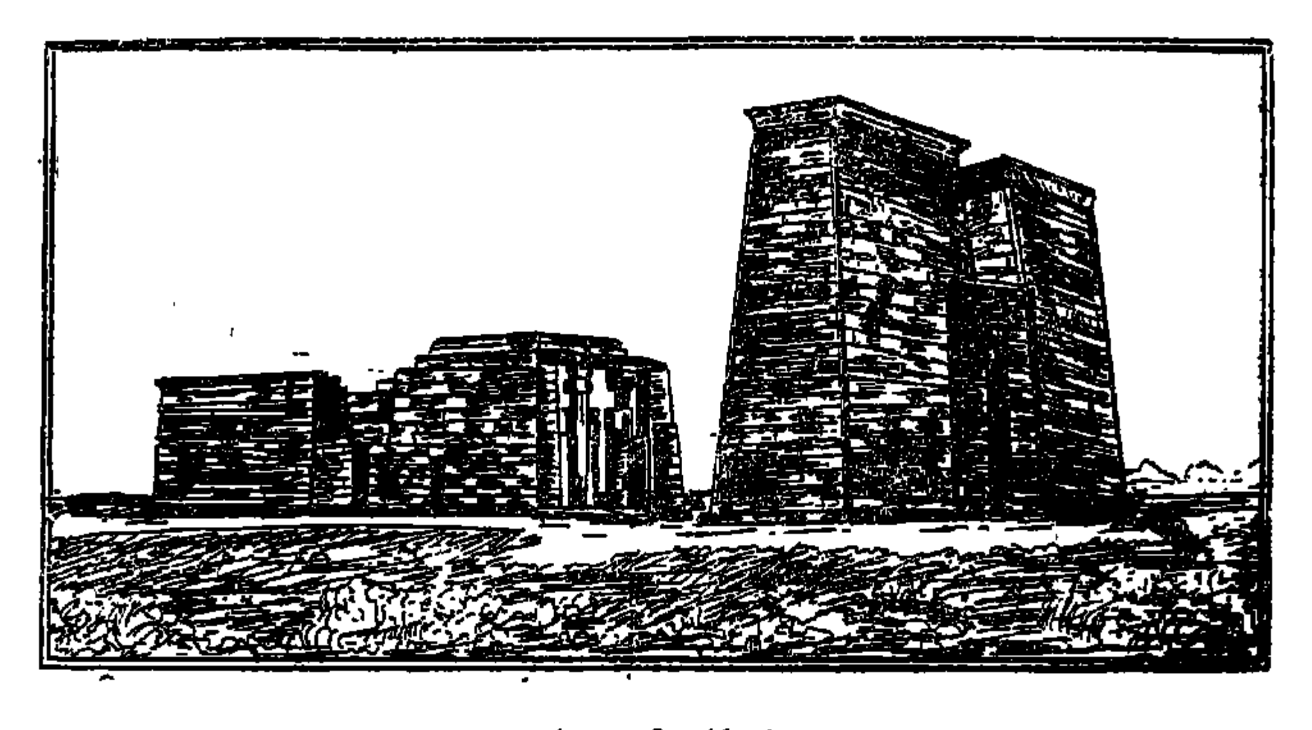
ويتم الوصول الى المعبد عن طريق بوابة كبيرة ذات أبراج مازالت فى حالة جيدة .

ويبلغ ارتفاع بوابة المعبد من جانبها الأيسر أكثر من ٤٠ قدما وهو فى حالة جيدة بصورة رائعة وتظهره كمبنى غير مهدم من الناحية العملية . وثمة طريق آخر موصل الى المعبد يبلغ طوله ١٧٠ قدما بعرض ١٥ قدما وينتهى أمام البوابة برصيف .

ولا تزال الفجوتان الخاصتان لساريتى الأعلام ظاهرتين على البرجين —

---

(١) فى عام ١٩٦٣ قام صندوق تمويل انقاذ آثار النوبة بانقاذ معبد الدكة ، وقد تم فك هذا المعبد هو ومعبد دندور ومقصورة الليسيه ومعبد المحرقة وأجزاء من معبدى جرف حسين وابو عودة ، أما معبد الدكة فقد أعيد بناؤه وتركيبه سنة ١٩٦٩ فى موقعه الجديد بمنطقة وادى السبوع حيث أصبح كما كان تماما فى مثل موقعه القديم بعد أن تم انقاذه نظرا لأهميته الكبيرة لأنه يرجع الى العصر اليونانى الرومانى . المترجم



(شكل رقم ٣٥)

(معبد الدكة فى موقعه القديم ، وهو يرجع الى العصر اليونانى والرومانى)
(وقد قام صندوق تمويل انقاذ آثار النوبة بانقاذ هذا المعبد ، وتم فكه وأعيد)
(بناءه وتركيبه سنة ١٩٦٩ فى موقعه الجديد بمنطقة وادى السـبوع)

ويعلو البوابة القرص المجنح والكورنيش المقعر ذو الحليات المعمارية الذى بقى أيضا سليما فوق البرجين ٠

وهناك بابان آخران فى داخل البرجين يؤديان الى سلالم ينتهيان الى حجرات الحرس وأعلى الصرح ، ان المشاهد عندما يرى ذلك المنظر الجميل من فوق البرجين ليعجب من ذلك السحر والروعة لتلك الآثار الخالدة والنقوش الاغريقية الجميلة التى للأسف لم تستكمل والتى تظهر بارزة على البوابة ٠

وتوجد عدة نقوش اغريقية عديدة للنذور الى ماندوليس حفرها الجنود على جدار المعبد وعلى سمك البوابة عند الجهة اليسرى (الى الشرق) فهناك مشهد لفرعون مجهول الاسم يقدم القرابين الى الاله تحوت وتفنوت وايزيس ٠

ومما لا شك فيه أنه كان ثمة فناء أمامى بين البوابة والواجهة الحالية للمعبد الأصلى كالعادة ، ولكن هذا الفناء اختفى تماما ، بيد أن الواجهة الحالية للمبنى يزينها عمودان بتاجين مزخرفين بنقوش للزهور وهذان العمودان مرتبطان بالجدران الجانبية بواسطة حوائط ستائرية ٠

وبعد أن نعبر من البوابة بين العمودين ندلف الى الدهليز ، وهو عبارة عن غرفة مربعة على جدرانها نقوش بارزة تبين الملك وهو يقدم القرابين للآلهة المختلفة ولا سيما للاله تحوت ٠

وهذه الغرفة مع الغرفة المجاورة لها فى حالة خراب ودمار لا توصف حينما عالجها مسيو باراسانتى اثناء بعثته الخاصة بتقوية هذه الآثار التى قام بها ابان القرن العشرين (١٩٠٩) (٢) ، ومازالت بعض قطع من الصور والرسوم المسيحية الملونة واضحة فى ذلك المكان ، حيث استخدم لفترة طويلة ككنيسة ٠

كانت البوابة فى الجدار الخلفى لهذه القاعة فى الأصل هى المدخل

---

(١) أنظر (Les Temples Immerges, pp. 89, Sq)

الرئيسى لمعبد سابق كان قد اقيم فى هذا الموقع ، وفى سمك هذه البوابة نشاهد نقوش بارزة على الجانب الشرقى ، حيث يظهر الفرعون وهو يقدم قربانا عبارة عن صورة ماعت الى الاله تحوت اله بينوس .

وعلى الجانب الجنوبى من البوابة نشاهد الامبراطور فيلوباتور يتعبد أمام أنوقيت وساتت وحتحور ، وتمة خراطيش هيروغليفية عن اسرته على عتبة البوابة العليا .

أما الغرفة الداخلية التى ندخل اليها بعد ذلك فهى تجديد لخرائب عام ١٨٩٠ حيث تخترق الغرفة المبنى كله ، ولكنها ذات عمق بسيط نسبيا وليست بذات اهمية خاصة حيث تؤدى الى درج ينتهى الى سطح المعبد .

ومازالت الغرفة الداخلية الثانية تحتفظ بجزء من سقفها وعليها نقوش بارزة يظهر فيها الملك أرجامون وأمامه آلهة مختلفة ويلبس خوذة الحرب الفرعونية وأمامه وصف بأنه الفرعون « سن - مت » بيجا .

وعلى الجانب الشرقى من البوابة المؤدية الى المحراب نشاهد رسما بارزا يبين الفرعون أرجامون يقدم قربانا الى ايزيس التى تحكى أنها منحته منطقة الدوديكا شونوى التى لا يلبث المرء أن يناله الملل من كثرة التكرار .

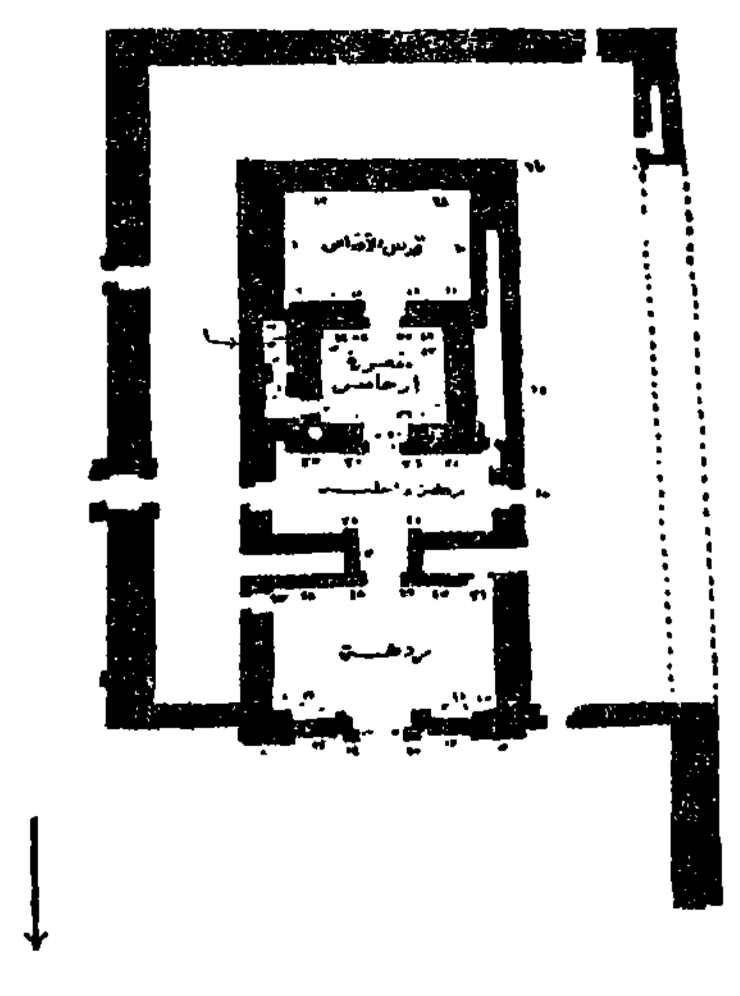
وثمة باب آخر على اليسار يفضى الى غرفتين جانبيتين صغيرتين نشاهد فى احدهما تمثالان لأسدين يمثلان الأمس واليوم وفوقهما الاله القرد وهو يتمثل برأس كلب يتعبد أمام الالهة تفنوت .

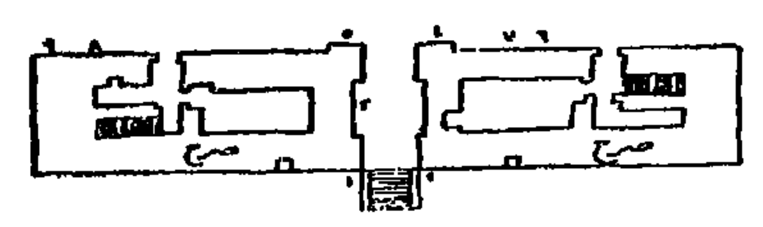
وعلى جدران الهيكل نشاهد نقوشا رومانية بارزة رديئة الصنع تمثل امبراطورا مجهول الاسم أمام آلهة مختلفة ، ومازال فى الغرفة بقايا مزار من الجرانيت ولكنه مكسور - أما على الافريز داخل الغرفة فنشاهد نقوش للاله حابى اله النيل حاملا الماء ويقود الماشية أمامه رمزا لأوقات الخصب .

ويظهر على الجانب الشرقى من البوابة الاله تحوت ممثلا فى صورة قرد مقدس تحت الشجرة المقدسة ، ويظهر فوقه حابى وهو يسكب ماء التنقية والتطهير .

وكان يحيط بذلك المكان سور يلتف حول المعبد كله ولكنه اختفى الآن

كما تحول فى وقت من الأوقات الى كنيسة فى العصر المسيحى ـ حاله فى ذلك مثل معظم معابد النوبة ، ومعبد الدكة واحد من المعابد النوبية التى لا يمكن الوصول اليها الا بمركب أو فلوكة فى وقت الشتاء بسبب امتلاء الخزان .





(شكل رقم ٣٦)
(رسم تخطيطى لمعبد الدكة)

(قلعة كوبان)

على بعد مسافة قصيرة جنوبى معبد الدكة ، نقع قلعة كوبان على الشاطىء الشرقى ، ولعل السبب فى بناء هذه القلعة انها كانت على مقربة منها مدينة تسمى « بسلكيس » أى « مدينة العقرب » وهذه المدينة لعبت دورا كبيرا فى العصور القديمة وبالذات فى عصر المملكة الوسطى .

ليس فقط لأنها كانت محاطة بمسافات شاسعة من الأراضى الصالحة للزراعة بل لوجود الطريق الهام الذى كان يوصل الى مناجم الذهب الذى يستخرج منها وهى مناجم بعيدة فى وادى العلاقى يحتاج الأمر الى حماية الطريق الموصل اليها .

ولعل قلعة كوبان (١) احدى القلاع المنيعة التى شيدها ملوك الأسرة الثانية عشرة فى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وذلك لتأمين وحماية منطقة بلاد النوبة السفلى .

وقد بقيت طوال هذه العصور بمثابة حلقة الاتصال بين الوادى ومنطقة العلاقى التى يوجد بها المناجم ، كما أن كميات الذهب التى كانت تستخرج كانت تختزن فيها تحت حراسة دقيقة حتى يتم نقلها على ظهور الحمير الى العاصمة .

ومما يؤسف له ان هذه القلعة قد طغت عليها مياه خزان أسوان فتهدمت جدرانها وأحجارها ولم يبق منها الا أجزاء قليلة وحوائط مهدمة كانت مشيدة من الحجر . ولقد كشفت الحفريات التى أجريت فى هذه المنطقة عن الكثير من الأحجار المنقوشة والمكتوبة باللغة الهيروغليفية .

ومن بين هذه الأحجار لوحة حجرية هامة سجل عليها رمسيس الثانى قصة طريفة : وهى أن أباه « الملك سيتى الأول » قد لقى صعوبات كثيرة فى وادى العلاقى نظرا لقلة المياه فى ذلك الوادى ، وأنه قد اضطر الى نقل

---

(١) قلعة كوبان هذه ووادى العلاقى من المناطق التى تهدمت وغمرتها المياه ولم يبق منها سوى أطلال قليلة . المترجم

كميات كبيرة من المياه على ظهور الحمير الى المناجم تكفى مئات من العمال الذين يعملون فيها .

وان عملية نقل المياه كانت تكلفه الكثير من الجهد والمال ، ورأى أن يحاول حفر بئر فى ذلك الطريق المؤدى الى المناجم ، وقد تمت المحاولة وتم حفر البئر وعمل العمال على تعميقه الى ما يقرب من ستين مترا دون أن يجدوا قطرة ماء .

وقد تجمع العلماء ورجال البلاط حول الملك وتحدثوا معه أن يبتهل الى الآلهة واستمر فى الحفر لتفجر الماء دون أى صعوبة ويقولون مخاطبين مليكهم : « اذا قلت للماء اصعد الى الجبل لتفجرت المياه السماوية بكلمة من فمك لأنك تجسيد للاله رع وانت ضمن الآلهة المعبودة مثل رع وسوف ينبثق المـاء فان المياه السماوية ستتدفق فورا عند نطقك بهذه الكلمة » .

وقد أطاع رمسيس نصيحة رجاله وعلماؤه ، وحدثت المعجزة وخـرج المـاء بوفرة من بئر تكفى آلاف العمال . وقد حدثت هذه الأعجوبة بعد أن تعمق العمال الى مسافة عميقة فى حفر البئر التى كان سيتى الأول قد ابتدأ فى حفرها .

ومع أن قلعة كوبان فى حالة مهدمة وتخريب شديد ، الا أنها كانت من أروع الأمثلة القليلة للهندسة المعمارية الدنيوية التى أبرزتها مصر . وبعد تعلية الخزان فى عام ١٩١٢ أصبح الوصول اليها ممكنا جزئيا اثناء فصل الشتاء . كما أن صعوبة الوصول اليها ستزداد نتيجة التعلية المستمرة وارتفاع منسوب المياه باستمرار .

ان قلعة كوبان كغيرها من المعابد والأبنية المماثلة لها قد شيدت اغلبها من الحجارة والطوب (اللبن) الذى يتآكل بسرعة ، لذلك فانه لابد أن ينهار ويختفى تدريجيا .

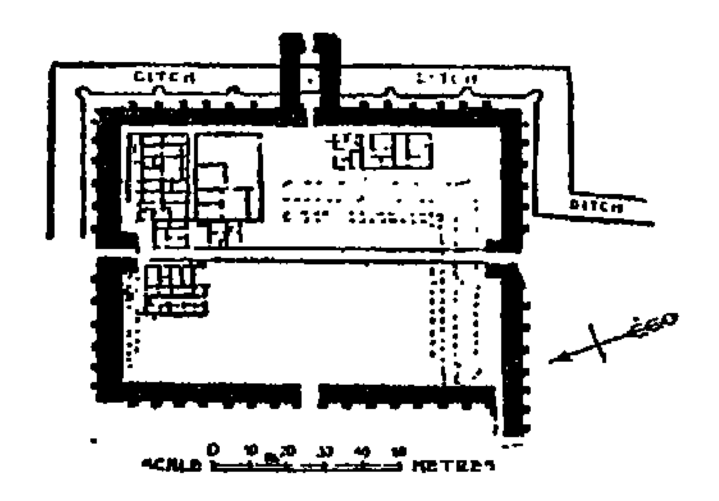
كما أن هناك على بعد حوالى نصف الميل جنوب القلعة ، نشاهد أطلال معبد صغير يعود تاريخه الى أوائل عصر الدولة الحديثة والتى لا تستحق

الزيارة نظرا لقلة أهميتها وكان ذلك المعبد مكرسا لعبادة حورس الاله المحلى (اله باكى) ٠

والى مسافة قليلة جنوبى كوبان ، على الضفة الغربية تقع بلدة (القرطة) حيث توجد خرائب معبد صغير لايزيس وهو مبنى متأخر اقيم فوق أطلال مبنى سابق ولم يتبق من المبنى المهدم سوى ساحة مستطيلة كان يقوم عليها المعبد ٠

وتقع البلدة القديمة الى الغرب كما تدل عليها الهضاب العالية كبيرة الحجم التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ٠

وقبالة (القرطة) تقع فى النهر جزيرة دراو الكبيرة التى كثيرا ما يطلق عليها اسم جزيرة القرطة ، وهذه الجزيرة كانت تعرف بتاكمبو القديمة المعروفة بانها الحد الفاصل لمنطقة الدوديكا شونيس التى نغادرها الآن ٠



(شكل رقم ٣٧)

(رسم تخطيطى لقلعة « كوبان »)

(معبد المحرقـة)

وعلى مسافة تزيد قليلا عن ميل والى الجنوب من دراو وجنوبى قرية اوفيدينا تقع أطلال معبد المحرقة (١) ، وهو معبد صغير نسبيا يعود تاريخه الى العصر الرومانى المتأخر ٠

وكان هذا المعبد الى سنوات قليلة فى حالة من الخراب والدمار يرثى لها ٠ ولا يستطيع أى انسان ادراك الجهد والعمل غير العادى الذى كان أمام مسيو « باراسانتى » المكتشف الكبير فى عام ١٩٠٨ عندما وقف أمامه ٠

الا هؤلاء الذين شاهدوا صور وبقايا الجدران المتهدمة والأعمـدة المتناثرة ، ففى ذلك العام وضع باراسانتى سلمه على المبنى المترنح للمدرج الحلزونى الذى كان يؤدى فى الماضى الى سطح صف الأعمدة ٠

وقد وجد أن الأحجار تحته تهتز الى درجة أنه خشى أن يهوى الى الأرض وتتساقط الأحجار على رأسه ورؤوس عماله ٠

والآن قد استكمل العمل والترميم وأصبح معبد المحرقة الآن فى حالة طيبة ٠ ولكن لا يمكن الوصول اليه الا بركوب « الفلوكة » أو مركب ٠ على أن فقدان هذا المعبد (٢) يعتبر خسارة كبيرة لأنه من العصر الرومانى المتأخر ٠

ويتألف المعبد من قاعة واحدة محاطة من جوانب ثلاثة ببواك مكونة من الأعمدة صممت خصيصا لكى تكون ذات تيجان مزخرفة بالزهور ولكن معظم هذا العمل لم يستكمل قط ٠

فالتيجان قد قطعت وهيئت للمثال لكى يبدأ أعمال النقش عليها ولكنه لم يتمها فالتيجان عبارة عن كتل خشنة أعدت لكى تشكل وتنحت فوق الأعمدة ٠

---

(١) عملت مصلحة الآثار على انقاذ معبد المحرقة ضمن مشروع انقاذ آثار ونوبة ، وقد تم فك ذلك المعبد وأعيد تركيبه فى المنطقة الثانية وهى منقطة وادى السبوع وعلى شمالها حيث أعيد تركيبه بجوار معبد وادى السبوع ٠ المترجم

(٢) (Les Temples Immerges صفحة ٩٩)

كما نشاهد مبنى آخر يقع بين المبنى الرئيسى والنهر ، وتظهر على جداره الشمالى نقوش غريبة لايزيس بالملابس الرومانية وهى جالسة تحت شجرة الجميزة المقدسة .

ويرى حورس مرتديا أيضا عباءة رومانية وهو يقدم لها النبيذ وترافقه الآلهة « مين » وايزيس ، وسيرابيس التى تظهر فوقه وهى مرتدية ملابس رومانية أيضا . وهذه اللوحة معروضة الآن فى متحف القاهرة .

ويعتبر الدرج الحلزونى الآنف الذكر فريداً فى الهندسة المعمارية المصرية المتعلقة ببناء المعابد ، ومعبد المحرقة اسمه باليونانية هو هيراسيكاينوس ، أو مدينة سكامور (شجرة الجميزة) المقدسة ، وقد ورد ذكرها فى اللوحة التى تقدم وصفها .

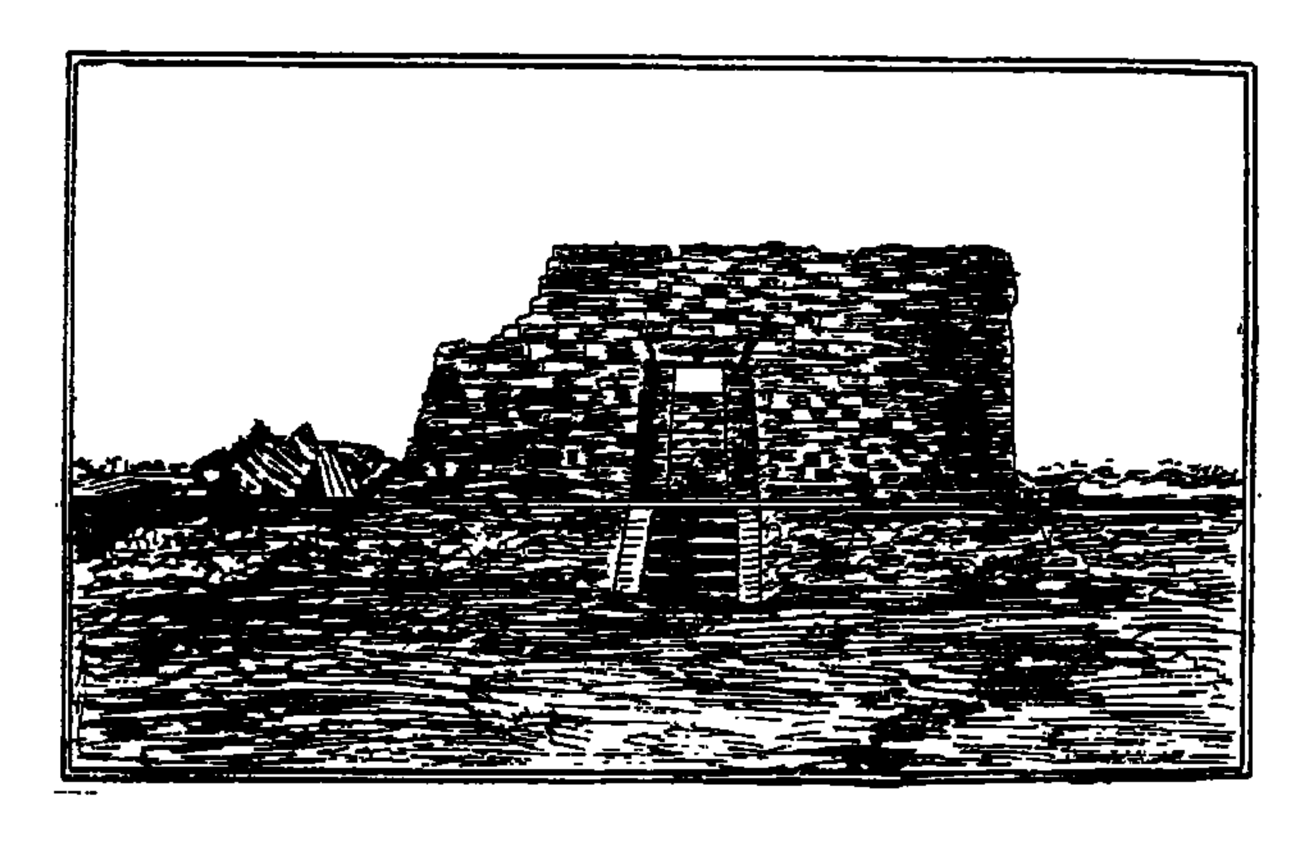
وهى تشاطر تاكومبو الشكر والفخار فى كونها الحدود الجنوبية لمنطقة الدوديكا شونيس .

وعلى بعد مسافة قليلة من معبد المحرقة من ناحية الجنوب تقع قلعة مهندى البيزنطية ، وهى تتجاوز حدود الزمان الذى نعمل فى اطاره ، ومن الضرورى ملاحظة كتل الحجارة الرملية المنحوتة من الصخر حيث يظهر على احداها رسم يمثل (لآمون - رع) الذى قد يكون سرق من أى معبد مجاور .

وقد استخدمت هذه الاحجار فى بناء بوابات المعبد ، وبداخل أسوارها تقع مساكن بلدة صغيرة تضم كنيسة ولا تزال تحتفظ بعض المنازل بأسقفها المقبية .

ويقول السيد ويجال المستكشف أن المرء يخترق طريقا طويلا عبر الشوارع الضيقة وهو يحملق يمنه ويسرا فى ظلام الغرف المهجورة الفارغة التى يبدو أنها قد هجرت بالأمس فقط (دليل آثار مصر ص ٥٣٢) .

على أن اهتمامنا لا يتركز على مثل هذه المخلفات الحديثة نسبيا حيث نواصل رحلتنا عبر النهر لمسافة أخرى ونصل على مسافة ٩٧ ميلا من خزان أسوان الى معبد وادى السبوع .



(شكل رقم ٣٨)

(معبد المحرقة فى موقعه القديم ، وقد تم انقاذ هذا المعبد ضمن مشروع انقاذ)
(آثار النوبة ، وتم فكه وأعيد تركيبه فى المنطقة الثانية وهى منطقة)
(وادى السبوع جوار معبد الدكة)

(معبد وادى الســـبوع)

يقع معبد وادى السبوع على بعد ١٥٠ كيلو مترا الى الجنوب من سد أسوان وهو المعبد الثالث من المعابد الضخمة التى نحتت فى عهد الملك رمسيس الثانى فى الأسرة التاسعة عشرة · والذى بناه بصورة سيئة للغاية تكريما لآمون - رع وحار آخت وبتاح وله نفسه شخصيا وهذا المعبد من بعض الوجوه صورة مكررة لمعبد جرف حسين مع بعض الاختلافات فى التفاصيل ·

وهذا المعبد بنى ببلاد النوبة من الشمال الى الجنوب حيث أن هذه التسمية ترجع الى نحت صفين من التماثيل الضخمة على هيئة أبى الهول التى تتقدم واجهة المعبد بين شاطىء النيل والصرح الأمامى ·

ولم ينحت فى الصخر من هذا المعبد الكبير سوى قدس الأقــداس وصالة واحدة أمامه ، فى حين أن صالة الأعمدة الكبرى والفناء الخارجى المفتوح قد شيدا من الاحجار الرملية ·

ويحيط بالجزء المبنى من المعبد سور من الآجر (اللبن) الذى دمر جزئيا · وفى وسط الواجهة الجنوبية لهذا السور نشاهد بوابة حجرية قد أصابها تلف شديد وعلى جانبيها تمثالان ضخمان لرمسيس الثانى منحوتان من حجر رملى خشن ·

ولكن تنفيذ هذه التماثيل الضخمة قد تم بصورة هزيلة ، وعندما ندخل عبر هذه البوابة إلى الفناء الأمامى الأول الذى يتوسطه طريق عــلى جانبه ستة تماثيل لأبى الهول ذات رؤوس آدمية تلبس التاج المزدوج ·

وهذه التماثيل هى أصل التسمية المحلية لوادى السبوع · وهناك وراء تماثيل أبو الهول أحواض من الحجر لأغراض التطهير ·

وبعد أن نمر عبر بوابة متهدمة من اللبن ندخل الى الفناء الأمامى الثانى · وتمتد مجموعة الدرجات التى تؤدى الى المعبد الأصلى حتى تصل الى نصف طريق هذا الفناء ، ونشاهد عند نهايتها وعند البوابة التى دخلنا منها أربعة تماثيل أخرى رابضة على الأرض لأبى الهول كل اثنين منها على جانب الطريق الرئيسى ·

وهذه التماثيل تحمل رؤوس صقور وتلبس التاج المزدوج وهى بذلك تمثل الالهة حار — آخت ، وقد أدخل فى الجانب الجنوبى — الغربى لهـذا الفناء كما ادخل جانب كبير من معبـد رمسيس الثـالث فى فنـاء معبـد البوباسطيين فى الكرنك ، وهو معبد صغير مبنى من اللبن له محراب من الحجر الرملى كرس للاله آمون — رع ، والاله حار — آخت كما الحقت به عرفة للتخزين ملتصقة به •

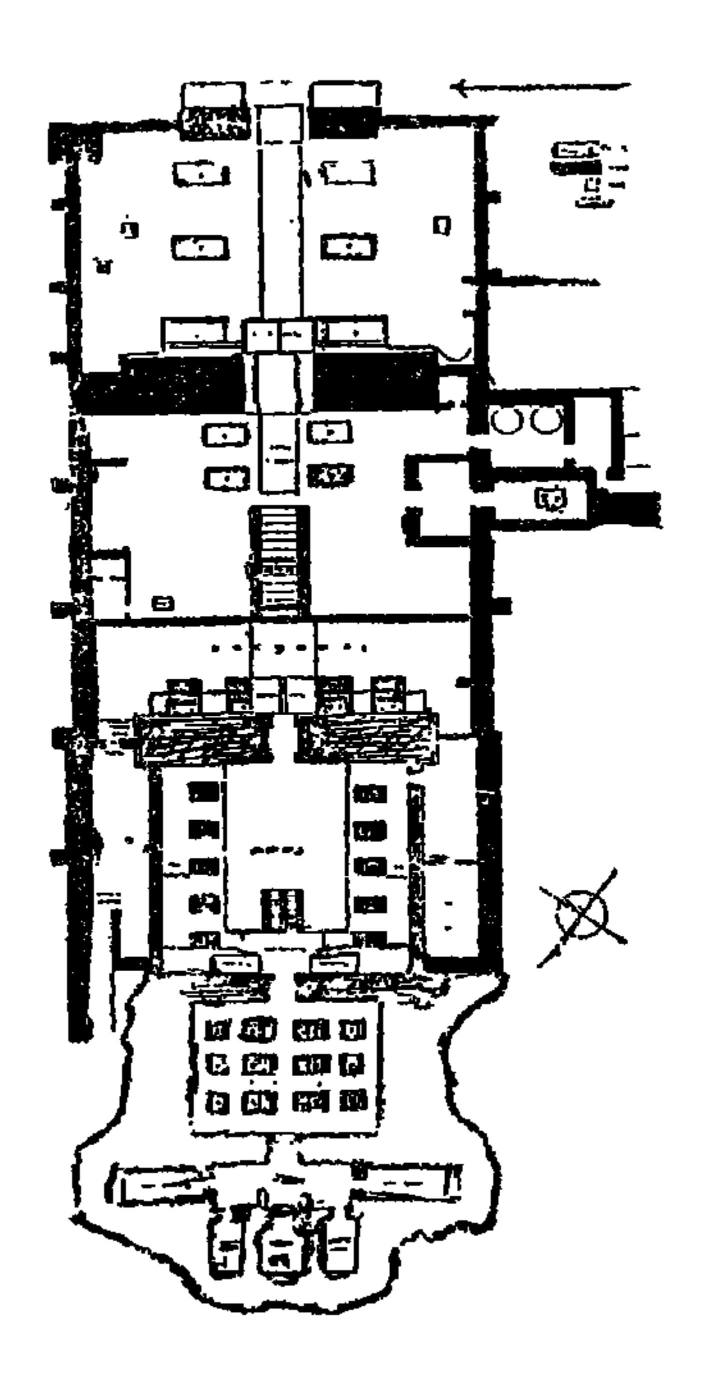
ويؤدى سلم الفناء الى شرفة علوية يقع ورائها الصرح المبنى بالحجر ولكنه مىء البناء وشبه مهدم ويبلغ عرضه ٨٠ قدما وارتفاعه ٦٥ قدمـا ولا يزال يحتفظ بلونه كاملا فى أحد البرجين والذى لم يبق غير اطـرافه فى البرج الثانى •

ويلاحظ ان طريقة صنع هذا الصرح هزيلة جدا ، وأن لحامات وصلات الحجارة المتلاصقة سيئة للغاية فهى عريضة وبها فجوات ، كان من المقرر فى الأصل معالجتها بالملاط حتى يكون سطحه مستويا •

ولكن رداءة الصنعة قد تكشفت الآن بشكل أوضح نتيجة لعمليات الترميم والتهذيب التى أجريت بعد ذلك لتجديد البناء • كان امام الصرح فى وقت ما أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس لا يزال احدها باقيا فى مكانه • وذلك بعد أن أعاده مسيو باراسانتى الى وضعه الطبيعى الأصلى وهو يحمل علم آمون — رع •

وهذا التمثال برأس كبش ، أما التمثال المطروح أرضا على يمين البوابة فيحمل رمز حار — آخت برأس الصقر ، وتظهر النقوش البارزة التى يصعب تبيانها على واجهة البوابة رمسيس وهو يذبح أعداءه فى احدى المعارك أمام الاله حار — آخت ومرة أخرى أمام آمون — رع •

وعندما تمر عبر البوابة التى عليها مشاهد قد تلاشت تقريبا ومعظمها مهشم وفى حالة سيئة ، حيث يظهر الملك فى بعض المشاهد مع آلهة مختلفة يصعب تمييز بعضها لكثرة التشويه فيها •



(شكل رقم ٣٩)

(رسم تخطيطي لمعبد وادى السبوع)

وفى سمك البوابة نشاهد مناظر اخرى له منقوشة أمام الاله آمون — رع وآلهة اخرى ٠ وبعد ان ندخل الى صالة مكشوفة تبلغ مساحتها ١٥ قدما مربعا نشاهد على كل جانب من جانبى الممر الذى يتوسطها خمسة أعمدة عليها تماثيل أشخاص أوزورية مشوهة بلا رؤوس ٠

وكان بين هذه الأعمدة والجدران الجانبية للصالة سقف ولذلك كانت الصالة مكشوفة فى الوسط فقط ، أما النقوش البارزة فهى من الأشياء العادية الرتيبة التى ليست بذات أهمية ٠

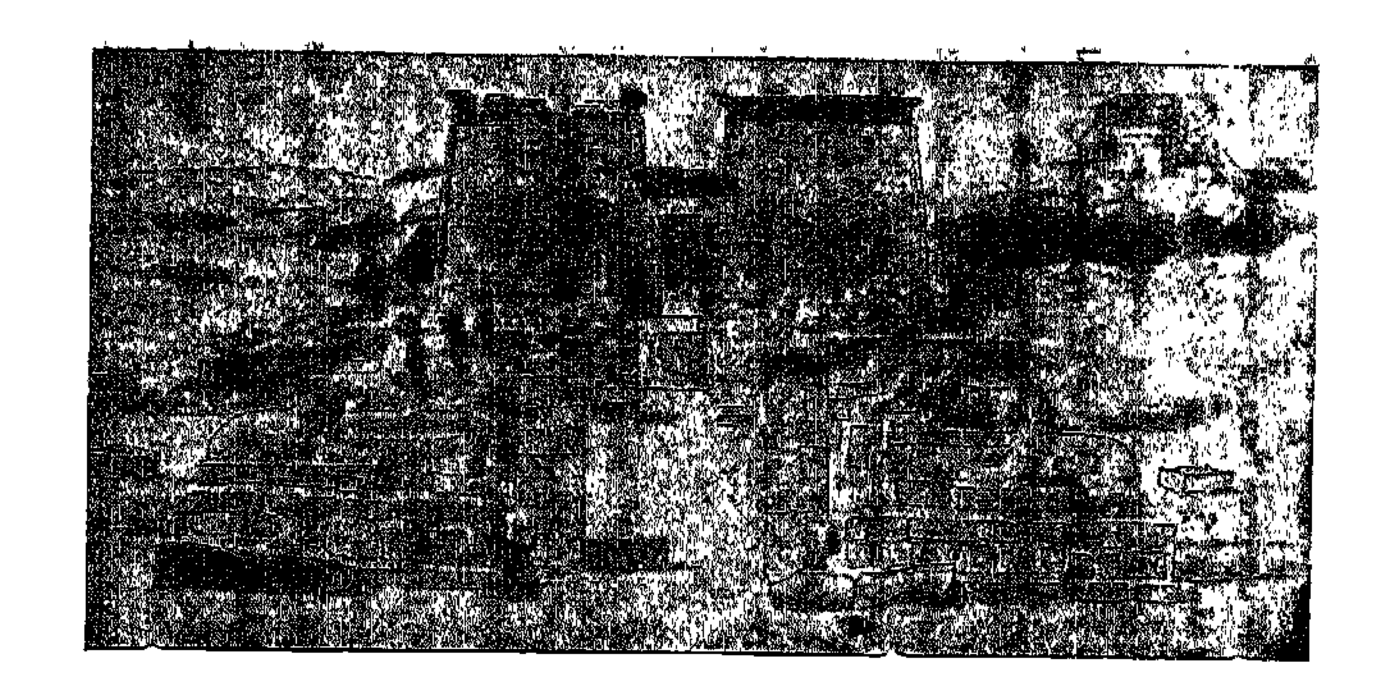
ويقع بين جدار الصالة والسور الخارجى الى اليسار حجرة الذبائح التى لا تزال تحتفظ بالحجارة المثقوبة التى كانت تربط اليها الحيوانات عند الذبح أو عند تقديم القرابين للآلهة ٠

وفى معبد وادى السبوع (١) عندما تصعد سلما طويلا يفضى بنا الى شرفة ضيقة تمتد وراءها الواجهة الصخرية لقاعدة الأعمدة التى كانت تتوسطها بوابة كبيرة بنى فيها المسيحيون بابا مزدوجا ذا قوسين (عقدين) مستديرين ٠

ومرة أخرى نصعد سلما يؤدى بنا الى شرفة ضيقة تمتد خلفها الواجهة

---

(١) فى المرحلة الثانية لانقاذ آثار معابد النوبة ساهمت حكومة الولايات المتحدة بمبالغ سخية فى انقاذ ثلاثة آثار هامة من معابد النوبة ، هى بيت الوالى ، ووادى السبوع ، ومقبرة بنوت وذلك بمبلغ مليون جنيه ، وقد عهدت مصلحة الآثار الى احدى الشركات العربية لتنفيذ هذا العمل الذى تم معظمه فى السنوات من ١٩٦٣ — ١٩٦٥ ، حيث تم فك هذه المعابد بنجاح ، وأعيد بناء معبد بيت الوالى فى منطقة كلابشة ، أما معبد أبو السبوع فقد تم نقله الى بعد أربعة كيلو مترات من موقعه القديم واعيد تركيبه وبنائه فى عام ١٩٧٢ فى المنطقة الثانية التى تسمى الآن بمنطقة وادى السبوع حيث أقيم المعبد شمالها واقيم بجواره معبد الدكة ومعبد المحرقة فى أماكنها الجديدة فوق منسوب بحيرة السد العالى ، أما النقوش المسيحية فى معبدى أبو السبوع فتم انقاذها بواسطة بعثة يوغوسلافية عامى ٦٣ — ٦٤ ثم رممت مصلحة الآثار هذه النقوش وعرضتها هى وغيرها من النقوش القبطية التى تم العثور عليها فى المتحف القبطى بالقاهرة ٠ المترجم



(شكل رقم ٤٠)

(معبد وادى السبوع فى موقعه القديم ، وقد تم فكه ونقله الى بعد)
(أربعة كيلو مترات من موقعه القديم وأعيد تركيبه عام ١٩٧٢ فى المنطقة)
(الثانية التى تسمى الآن بمنطقة وادى السبوع بجوار معبد الدكـة)
(ومعبد المحرقة بعيـدا عن منسوب المياه)

الصخرية لصالة الأعمدة ٠ وفى هذه الواجهة بوابة شغلها المسيحيون بباب مزدوج ذى اقواس مستديرة ٠ واذا مررنا بهذا الباب نجد انفسنا فى الصالة المنحوتة فى الصخر التى تبلغ ٤١ قدما × ٥٢ قدما × ١٩ قدما ارتفاعا ٠ وبها ستة أعمدة ذات تماثيل أوزورية لرمسيس تهشمت الآن ، وستة أعمدة اخرى مربعة الشكل خالية من الزخارف ، وقد تحولت هذه القاعة الى كنيسة مسيحية مازالت قبتها ومذبحها موجودين مع بعض حطام النقوش الهزيلة الذى زخرفت الجدران بها ، وتقع وراء هذه القاعة غرفة أخرى مستعرضة مع ملحقين احدهما الى الشرق والآخر الى الغرب ٠

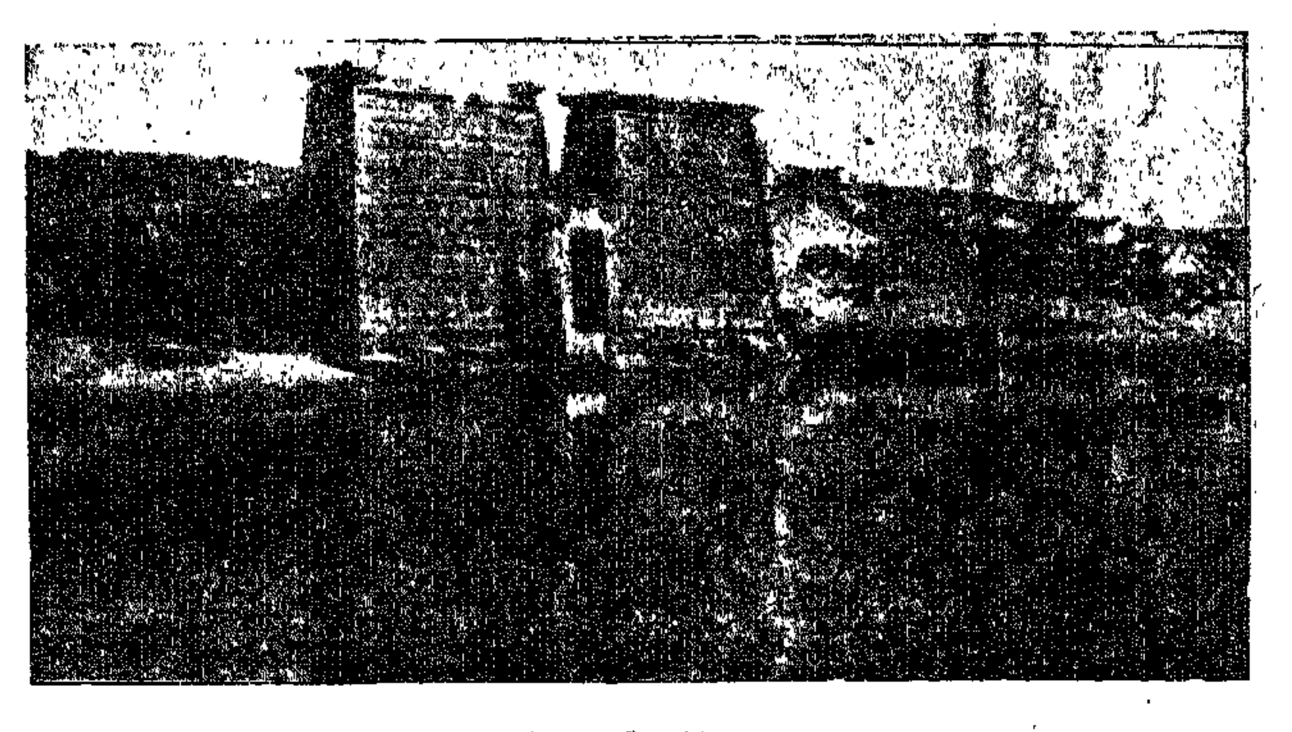
وتمثل النقوش البارزة رمسيس الثانى وهو يقدم القرابين الى آلهة اخرى مختلفة والى ذاته المقدسة ، وتنفتح من هذه الحجرة المستعرضة ثلاث حجرات مكشوفة ، استخدمت الغرفة الوسطى كمحراب مزخرف بمشاهد يظهر فيها الملك وهو يقدم زهورا الى مركب حار - آخت جهة اليمين ، والى مركب آمون - رع جهة اليسار ٠

وعلى الجدار الخلفى يمثل المنظر المتوسط مركب الشمس الذى يتعبد اليه الملك ومعه ثلاثة من القردة التى لها راس كلب ، كما يوجد تحت هذا المشهد مشكاة تضم الثالوث السماوى والتى أصابها تلف شديد ٠

وهذا الثالوث مكون من آمون ، ورمسيس الثانى ، وحار - آخت ، كما يشاهد رمسيس الثانى على جانبى المشكاة وهو يقدم الزهور ، وفوق هذه المشكاة وبينها وبين المركب المقدس المنقوش فوقه ، رسم بعض الرهبان المسيحيون بعض النقوش والرسوم المسيحية بمهارة وان كانت تمثل أكثر الفنون ماساوية ٠

وهذه النقوش المسيحية والرسوم تمثل القديس بطرس برسم الفنان سان بيتر وهو يجاهد فى شجاعة لحمل المفتاح الضخم الثقيل الذى لم يستطع أن يضعه فى قفل الفردوس او الجحيم ٠

ان هذا الفن الرفيع فى عصر الامبراطورية الحديثة ، كما ظهر فى



(شكل رقم ٤١)

(معبد وادى السبوع فى موقعه القديم ، وهو أحد معابد ستة من عهـد)
(رمسيس الثانى ، والمنظر أثناء تخزين مياه خزان أسوان وقد غمر)
(المعبد بالمياه)

معبد وادى السبوع ابعد ما يكون عن السمو والوصول الى المرتبة الأولى ولكن المقارنة بينه وبين جهد المسيحيين بقصد حسن الممثلة فى رسم القديس بطرس ، فرق كبير ماساوى وتدعو الى الحزن ٠

كما يبدو أن رمسيس الثانى فى صوره على جانبى المشكاة يبدو مثل شخص كريم الأصل ، بينما يبدو القديس بطرس مثل الكابوس ٠ وليست هناك بعد ذلك فى هذه المنطقة آثار أخرى تستلفت اليها النظر الا بعد ان نترك معبد وادى السبوع ونتجه الى منطقة كوروسكو ٠

الفصل الأربعون

(من كوروسكو الى ابو سمبل)

كانت منطقة كوروسكو فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر اسما مألوفا جدا لدى البريطانيين لأنها كانت مقر قيادة القوات البريطانية فى النوبة السفلى فى بداية الحرب العالمية الأولى ٠

ولكن بعد انتهاء الحرب والمعارك التى دارت بين الانجليز فى السودان ومعارك الخرطوم وأم درمان بين القوات المصرية السودانية والانجليز ، وبداية الثورة المهدية والقضاء على سلطة الخليفة فى أم درمان ، وضع حدا كبيرا لأهمية هذه المنطقة ٠

وأخذ هذا المكان ينزوى فى زوايا الاهمال والنسيان ، ولكن أهم ذكرى دائمة للماضى تتمثل فى تلك الجبانة الحربية العسكرية البريطانية الواقعة فى الوادى وراء المدينة وليست هناك فى هذه المنطقة آثار كثيرة تهم الزائر ، الا المرتفع الواقع وراء البلدة الذى يطل على منظر ساحر وجميل لوادى النيل ٠

فهناك على بعد حوالى ٥ر٩ ميل جنوبى كوروسكو يقع أثر هـام من أقدم آثار الاحتلال والاستيطان المصرى فى النوبة وهو معبد عمدا الذى سنشرحه بالتفصيل بعد ذلك ٠

(معبدا عمــدا)

يقع معبد عمدا على مسافة ١٥ كيلو مترا الى الجنوب من أسـوان ، ويعتبر من أقدم المعابد القائمة فى بلاد النوبة ، اذ يعود تاريخه الى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وقد أسسه تحتمس الثالث ، وقام بتكملته وزخرفته ابنه أمنحوتب الثانى (امنوفيس الثانى) ، وزاد فيه حفيده تحتمس الرابع الى توسيعه وتكملته •

وقد اعتدى على هذا المعبد وخربت ودمرت بعض أجزائه فى عصر اخناتون (امنوفيس الرابع) كجزء من الحملة التى أرسلها هذا الملك لتخريب كل المعابد التى خصصت لعبادة آمون — رع حتى تلك المشيدة فى بلاد النوبة السفلى والعليا •

أما التلف الذى أحدثه اخناتون وأعوانه فقد أصلح فيما بعد بقــدر الامكان على يد الملك سيتى الأول المتدين والمتعصب نظرا لأهمية النقوش التى على جدرانه • كما نرى ايضا النقوش والرسوم والخراطيش الكثيرة للملكة توسرت والوزير باى وخصوصاً النص الشهر الذى أمر بتسجيله الملك امنحوتب الثانى متفاخرا بشجاعته وقوته •

والمعبد فى جملته غير جذاب من الخارج رغم انه اقيم فى وســط بقعة رائعة مهجورة ، الذى تتناقص فيه العزلة الصحراوية الضفة الغربية التى يقوم عليها المعبد ، بالاضافة الى منظر الزراعة والأراضى الخضراء على الضفة الشرقية والذى يزداد سحرا وجمالا بفضل سلسلة التلال المسننة الرائعة التى تحيط بها •

وفى هذه المنطقة نلاحظ دلائل كثيرة على الفتوحات المصرية والغزوات والاستيطان المتقدمة داخل بلاد النوبة أقدم بكثير من تاريخ بناء المعبد • فعلى بعد حوالى ثلاثة أميال جنوبى المعبد هناك صخرة هائلة مغطاة بمخطوطات كثيرة للأسرة الثانية عشرة •

وهذه المخطوطات كتبتها البعثات المصرية التى أرسلت الى هذه المنطقة

اثناء حكم الملك سنوسرت الأول وسنوسرت الثالث وامنمحات الثالث من عصر الأسرة الثانية عشرة ولذلك نستطيع أن نستنتج أن ثمة احتمالا كبيرا أن تحتمس الثالث عند تاسيسه لهذا المعبد انما كان يعيد بناء معبد كان قائما قبل ذلك بخمسة قرون ٠

ان اسم سنوسرت الثالث مذكور بصفة خاصة في ذلك المعبد ، ولذلك فانه يمكن افتراض وجود علاقته وصلته بالمبنى الأصلى ٠ كما يمكن ادراك الاحترام الخاص الذى كان يحتفظ به امنوفيس الثانى لاسم والده ، على الأقل فى المرحلة الأولى من حكمه عندما كان مشغولا فى تاسيس معبد عمدا ٠

ويمكن ملاحظته فى ربط خرطوش الملكين بعضهما ببعض فى كل أنحاء المعبد ٠ فقد شوهدا معا وعلى جميع الجدران وفى كل مكان ، وأى ميزة هامة فى المكانة التى تضفى على أحدهما حيث كانت تتوازن وتتمتع بميزة مماثلة طل منها للآخر ٠

كان أمنوفيس الثانى فى ابان حكمه حينما عمد الى زخرفة معبد عمدا (١) (Amada) يمكن أن يكون كما ذكر السيد ويجال قد عرف أن اسم أبيه

---

(١) قامت الحكومة الفرنسية مشكورة بالاتفاق مع الهيئة العامة للآثار بمساهمة كبيرة عند القيام بمشروع انقاذ آثار النوبة فى انقاذ معبد عمدا وذلك خلال عامى ١٩٦٤ - ١٩٦٥ وقد اتخذت هذه المساهمة شكلين : أولهما أن الحكومة الفرنسية قد وضعت مشروعا لنقل الجزء الخلفى من معبد عمدا ككتلة واحدة ، بحيث يتم سحبه على قضبان حديدية ودفعه نحو الغرب لمسافة ثلاث كيلو مترات ، وذلك حرصا على عدم فك أحجار هذا المعبد لخطورة ذلك على طبقة الجص التى تعلوها والتى تحمل النقوش القديمة الملونة ، وكانت مصلحة الآثار قد قامت قبل ذلك بفك الجزء الأمامى منه ٠ أما الشكل الثانى للمساهمة الفرنسية فهو انها قد شملت اعادة بناء الجزئين معا على نفقتها ، وقد تم ذلك على خير حال ، وأصبح معبدا عمدا ذو النقوش الداخلية الملونة الدقيقة قائما الآن فى مكانه الجديد المرتفع عن منسوب المياه فى منطقة عمدا وتضم منطقة عمدا الآن بجانب معبد عمدا مقبرة بنوت ومعبد الدر ، وبذلك تصبح المنطقة الثالثة من مواقع تجميع آثار النوبة ٠ المترجم

شيء هام وجدير بالتقرب اليه ، بينما لم يكن اسمه هو شخصيا قد اكتسب الشهرة والنفوذ فى الميدان الذى كان مقصورا على الملك تحتمس الثالث .

وفى الوقت الذى سجل فيه المخطوط الطويل المنقوش على جدار المحراب الخلفى ، شعر انه فى مركز يسمح له بالتباهى والتفاخر الى حد ما بعمله بعد حملته السورية التى اعقبها بتقرير عن شيء من الخوف الذى لا يمكن للمرء ان يتصور ان تحتمس الثالث كان يتملكه الشعور به وبشعره انه مذنبا .

ولقد تحول ذلك المعبد فى عصور المسيحيين الأوائل الى كنيسة ، ذلك ان النقوش البارزة قد طليت بمادة بيضاء مثل الجير ورسم فوقها فى بربرية هوجاء ، ولكن لحسن الحظ أن الطبقة الجيرية حفظت الرسومات الأصلية .

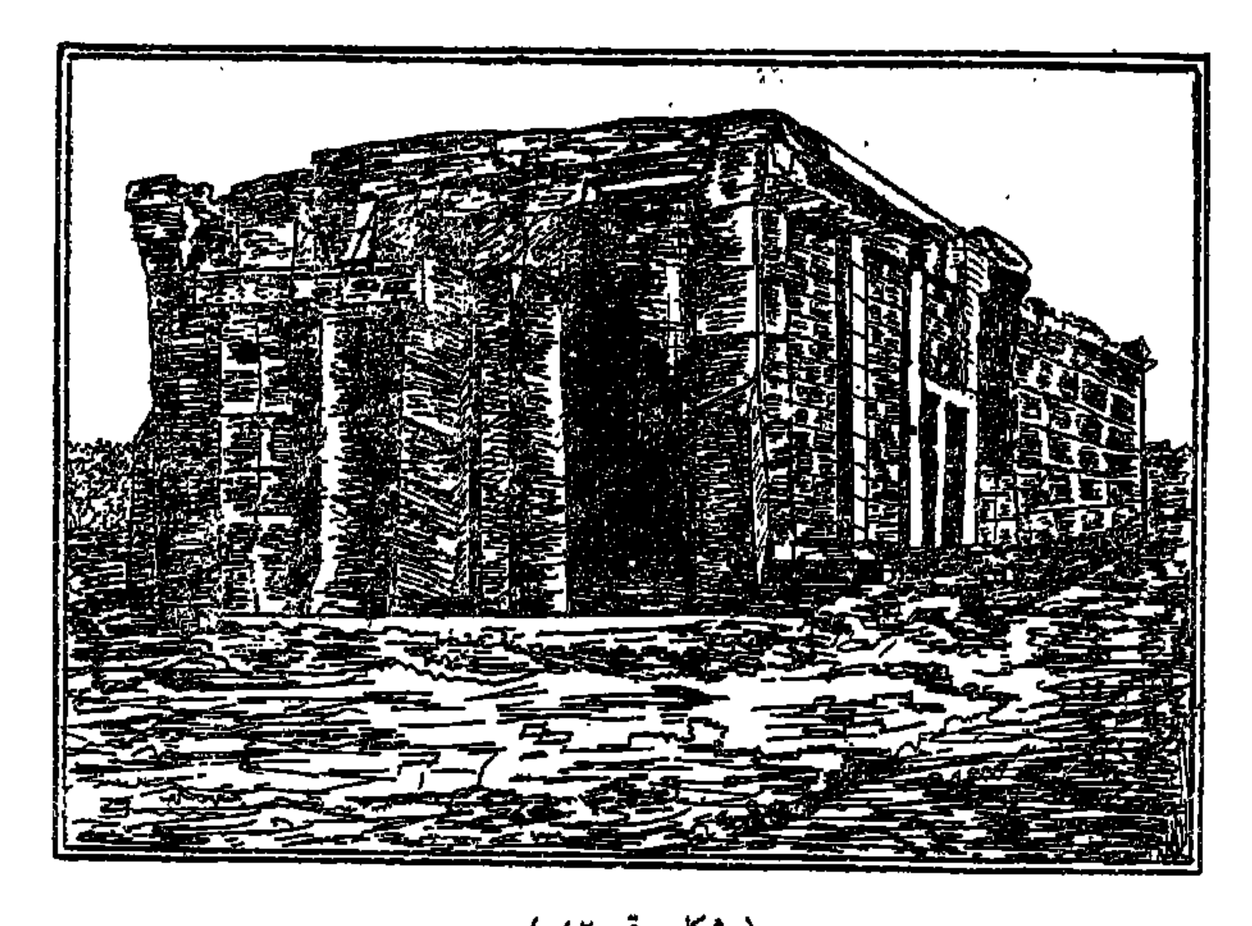
وعندما زالت هذه الطبقة واصبح فى الامكان رؤية النقوش والرسوم البارزة ظهرت الرسوم والألوان الجميلة مما لو لم يسبق تغطيتها بالجير أو الملاط .

كان هذا المعبد فى الأصل عبارة عن صرح ذو ابراج عالية عند البوابة الرئيسية الحالية ، ولكن بعد أن اختفى هذا الصرح اضفت على شكل المعبد المظهر المعزول الناقص وهو شكله الحالى .

حيث أن هذا الصرح قد فقد البرجين اللذين كان كل برج منهما شامخا على كل جانب ، واللذين كان يمكن ان يستكملا اولا انهما مبنيان من اللبن ، وهذا هو سبب اختفائهما .

وعلى الجهة اليمنى من البوابة فى الخرطوش رقم ٢ نشاهد تحتمس الثالث فى عناق مع حار - آخت التى تظهر هى الأخرى فى عناق مماثل على الجهة اليسرى فى الخرطوش رقم ١ مع امنوفيس الثانى ، وتحت هذين المنظرين نرى مخطوطات لنائب الملك الرميسى كوش فى عصر الزعامة .

وعلى كلا سمكى البوابة نجد خراطيش للملك سيتى الأول ، بينما نشاهد على الجانب الأيسر فى الخرطوش رقم ٣ منظرا باهتا لأمنوفيس الثانى برافقه حورس الى حضرة الاله حار - آخت .



(شكل رقم ٤٢)
(معبد عمدا – أقدم المعابد النوبية النائية – فى موقعه القديم ، ويرجع الى)
(عهد تحتمس الثالث – وقد قامت الحكومة الفرنسية بسحبه على قضبان)
(حديدية ونقله الى الغرب على بعد ثلاث كيلو مترات فى منطقة عمدا الجديدة)

وتحت هذا المخطوط المؤلف من ثلاثة عشر سطرا لمنفتاح (الأسرة التاسعة عشرة) يشير الى حملته ضد الاثيوبيين • وعلى الجدار الأيمن مخطوط آخر للأمير سيتاو حاكم كوش فى ظل حكم رمسيس الثانى ، يشير الى زيارة المعبد التى قام بها الأمير سيتاو •

كانت هذه البوابة عندما صممت فى الاصل تؤدى الى فناء أمامى لــه صف من أربعة أعمدة عند طرفه البعيد ويحيط به سور مبنى من الطوب اللبن •

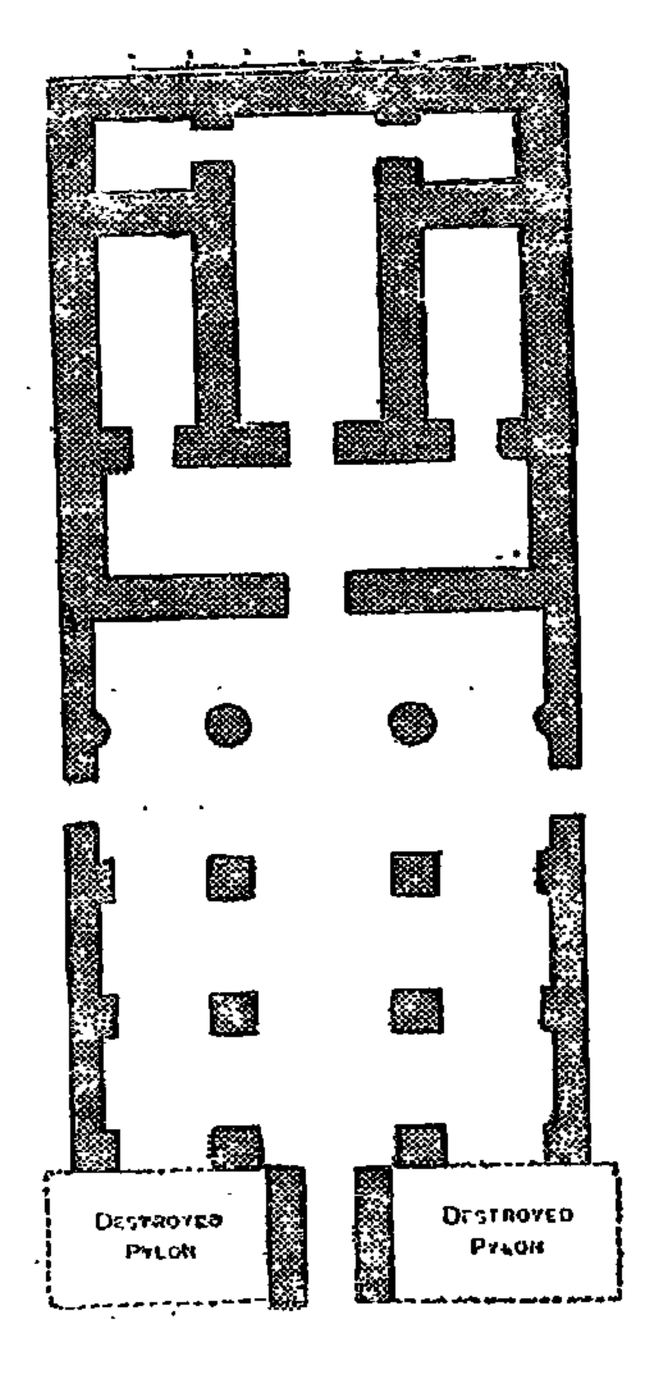
وقد ساهم تحتمس الرابع فى تجميل هذا المعبد بتحويل هذا الفنــاء الى قاعة أعمدة وذلك باضافة اثنى عشر عمودا مربعا تنتظم فى أربعة صفوف بين الأعمدة الأربعة والصرح ، وربط صفوف الأعمدة الجانبية بجدران جانبية •

وبذلك أصبح حجم الصالة ٥ر٣٢ قدم طولا وعرضها يتراوح بين ٢٦ ، ٥ر٢٨ قدم وارتفاعها ٥ر١٤ قدم وهى ماتزال فى حالة جيدة •

وعلى الجانب الأيمن من البوابة عند الدخول نشــاهد مخطوط مع خرطوش لتحتمس الثالث ، بينما يظهر على الجانب الأيسر للموازنة مخطوط آخر وخرطوش لأمنوفيس الثانى فى الخرطوش رقم (٤) الذى أزاله أخناتون ، وتم تحويله الى عا - خبرو - رع وهو الاسم الأول لأمنوفيس الثانى الذى لم يحمل هذا الاسم الكريه وهو آمون - رع ، ثم تولى سيتى الأول اعادة كتابته فى شكله القديم •

وعلى الأعمدة القائمة على جانبى البوابة نشاهد مناظر أخرى لحاكم كوش يتعبد أمام عدة خراطيش لرمسيس الثانى فى الخرطوش رقم (٥ ، ٥) الذى استطاع كالعادة أن يتبوأ مكانة بارزة فى مبنى ليس له فضل فيه ولم يعمل فيه شيئا •

وعلى صفى الأعمدة التى تشكل طريق القاعة الرئيسى عدة خراطيش لتحتمس الرابع الذى يشاهد فى عناق مع الآلهة انوقيت الهة الشــلال ،



(شكل رقم ٤٣)

(رسم تخطيطي لمعبد عمدا)

وآمون ــ رع ، وحار آخت ، وبتاح • وعلى الأعمدة والجدران الستائرية لجانب القاعة الأيسر نجد أولا فى المخطوط رقم (٦) مخطوطا يدعى فيــه تحتمس الرابع انه محبوب سنوسرت الثالث •

والذى يعتبر عموما الها فى المخطوطات النوبية فقط لأنه هو الذى فتح النوبة ، ويلى ذلك المخطوط رقم (٧) حيث نشاهد تحتمس الرابع الذى تقوم ساتت الهة الشلال الأخرى بتقديمه الى حار آخت ثم يصحبه الاله تحوت فى المخطوط رقم (٨) الى آمون رع حيث تتلقاه ايزيس بالعناق فى المخطوط رقم (٩) •

وعلى الجدران وأعمدة الجانب الأيمن نشاهد أولا فى المخطوط رقم (١٠) الملك ترضعه الهتين بحضور خنوم الهة الشلال ، وبعد ذلك فى المخطوط رقم (١١) نشاهد الاله تحوت يقوم بتسجيل سنوات حكم الملك (التى اتضح أنها قليلة) •

وفى مشهد آخر فى المخطوط رقم (١٢) نشاهد منظرا مشوها يظهر فيه الملك راكعا أمام الشجرة المقدسة وتعانقه الالهة حتحور ، الهة أبو سمبل الذى يبدو بالفعل أنه موقع مقدس ، أى قبل أن يتولى رمسيس الثانى نحت معبده العظيم هناك بحوالى قرنين من الزمان •

كان الجدار الخلفى لقاعة الأعمدة بمثابة واجهة المعبد الأصلى كما بنى فى الأصل • وتظهر النقوش البارزة على هذا الجدار وعلى الجانب الأيسر منه فى الخرطوش رقم (١٣) امنوفيس الثانى مع حورس واله آخر مع حار آخت وانوقيت •

وعلى الجانب الأيمن نشاهد تحتمس الثالث فى وضع عناق مع الاله خنوم ، وهو يتعبد أمام حار آخت ، ويرى أيضا فى وضع يعانقه فيه آمون ــ رع فى الخرطوش رقم (١٤) •

وعلى جانبى البوابة التى تؤدى الى الغرفة التالية نشاهد رسمان منقوشان لتحتمس الثالث وأمنوفيس الثانى فى الخرطوش رقم (١٥) وتحت

هذين الرسمين توجد مخطوطات يعود عهدها الى عصر (سبتاح) الأسرة التاسعة عشرة (حيث تبين الملكة تاوسرت والوزير باى) (Bay) حامل الختم مع خراطيش سبتاح ٠

ويقول المخطوط ان عمليات النحت قد اجريت بناء على أوامر الأمير بيتاى قائد قوات كوش ٠ وعندما ندلف من قاعة الأعمدة الى الغرفة المستعرضة أو الدهليز واذا اتجهنا لنرى المناظر على الوجه الآخر نشاهد النقوش البارزة على واجهة الجدار الداخلى الذى دلفنا منه لتونا ٠

حيث نشاهد امنوفيس الثانى أثناء قيام حورس اله ادفو وتحوت بتطهيره وذلك فى الخرطوش رقم (١٦) ، ونرى أيزيس وهى تعانق تحتمس الثالث فى الخرطوش رقم (١٧) بينما نشاهد امنوفيس وهو يقدم قرابين الى آمون — رع فى الخرطوش رقم (١٨) ٠

وعلى الجانب الأيسر فى المخطوط رقم (١٩) نشاهد امنوفيس وهو يرقص أمام آمون — رع وعلى الجانب الأيمن فى الخرطوش رقم (٢٠) نشاهد تحتمس فى وضع يعانقه فيه حورس اله ميام Maam وحار آخت ٠ وفى الجدار الخلفى للغرفة العرضية ثلاث أبواب ٠

يفضى الباب الأوسط منها الى المحراب ، بينما يؤدى البابان على الجانبين الأيمن والأيسر الى غرف أخرى ، وهذان البابان يحافظان على التوازن الدقيق فى التكريم بين صور تحتمس وابنه ٠

فقد نقش على الباب الأيسر اسم امنوفيس ونحت على الباب الأيمن أسم تحتمس ، أما الباب الأيمن فيحمل خراطيش تحتمس ، وعلى الجانب الأيسر من هذه البوابة فى الخرطوش رقم (٢١) حيث نشاهد امنوفيس فى عناق مع حار آخت وعلى الجانبين فى الخرطوش رقم (٢٢) ، (٢٣) نشاهد تحتمس أثناء قيام آمون — رع بعناقه حتى لا يؤذى شعور أحد ٠

واذا دخلنا الحجرة الواقعة على الجانب الأيسر نجد أيضا نفس التوازن الدقيق فى مجال الشرف والتكريم بين الفرعونين فى حضرة الآلهة — خراطيش

رقم (٢٤) ، (٢٥) ، (٢٦) وتعتبر الغرفة الواقعة على يمين المحراب ذات اهمية خاصة حيث نشاهد نقوشها البارزة وهى تبين الاحتفالات والاستقبالات المتصلة بتاسيس المعبد والقرابين والتضحيات الأولى التى قدمت فيه ، منها تحتمس وهو يقوم بعبادة آمون - رع فى المخطوط رقم (٢٧) ، ثم وهو يتعبد لآمون - رع ، وسنشات وآمون - رع فى الخرطوش رقم (٢٨) .

ومنظر آخر وهو يدق الأوتاد التى تحدد حدود وأساسات المعبد ويقف آمون - رع بينهما وفى الخرطوش رقم (٢٩) يعانق آمون - رع الملك أما فى الخرطوش رقم (٣٠) فنشاهد فى أسفله وهو يرقص أمام حار إخت ويمد الحبل (كوحدة قيـاس) وذلك يطابق وضـع حجر الأسـاس ، أمـام حار - آخت ٠

واخيرا يقدم القرابين الى رع ، ويأتى بعد ذلك دور أمنوفيس عـلى الجانب الأيمن فهو يأتى بالماشية والابقار لتقديم القرابين الى آمون - رع - فى الخرطوش رقم (٣١) ثم الى آمون رع وحار - آخت فى المخطوط رقم (٣٢) ٠

كما يرى فى الصف الأسفل يعانقه حورس وحار - آخت ، ويرقص امام حار - آخت ويقدم الصولجان لحار آخت ٠

وعنما ندخل الى المحراب نجد امنوفيس نشيطا كعادته للمحافظة على التوازن بينه وبين أبيه لأنه بينما يتكرر تمثيل الملك فهو يرى هنا واقفا امام حتحور وحار - آخت فى الخرطوش (٣٣) ويقدم القرابين لآمون - رع فى الخرطوش رقم (٣٤) ٠

ذلك لأن خراطيش أبيه قد نحتت على الجانب الداخلى من البوابة ، حيث قيل أن آمون - رع يحبه ويجل له الاحترام ، على أن أهم شىء فى هذا المعبد هو مخطوط لتمجيد امنوفيس ولنفســه فى الخرطوش رقـم (٣٥) ، (٣٦) ٠

وهذا هو المخطوط المؤلف من عشرين سطرا فى الخرطوش رقم (٣٧)

الذى تكرر كثيرا فى معبد ايليفنتين والذى تعرض أجزاء منه فى فينا والقاهرة ، ولقد نحت هذا المخطوط فى السنة الثالثة من حكم امنوفيس وهو يتحدث أولا بفخر فى أسلوب شعرى جذاب عن القوة البدنية للملك الشاب .

ولعل سبب ذلك يرجع الى أنه كان يعلم أن هذا هو الاحترام والميزة الوحيدة التى يمكن أن يقارن بها نفسه مع أبيه « أنه ملك حريص كل الحرص على سلاحه والتشبث به ، ذلك أنه ليس هناك أحد يستطيع أن يشد قوسه مثله من بين جنوده وشيوخ البلاد الجبلية الواقعة على المرتفعات » .

أو بين أمراء ريثينو Retenu لأن قوته أعظم بكثير من قوة أى ملك آخر قبله على الاطلاق فهو ملك (مهيب ذو قوة بدنية خارقة) كما (وصفه كارليل المستكشف) .

ويمضى امنوفيس فى وصف مجهوده فى تشييد المعبد : « أنظر جلالته ، كيف زخرف المعبد وجمله الذى بناه والده (من — خير — رع (تحتمس الثالث) لآبائه ، وجميع الآلهة — وقد بنى المعبد من الحجر حتى يكون عملا خالدا ، وبنيت جميع الجدران المحيطة به من الطوب اللبن ، والأبواب من خشب الأرز المجلوب من أحسن الربى .

والبوابات صنعت من الحجارة الرملية وذلك حتى يتسنى لاسم أبيه العظيم ، ابن رع (تحتمس الثالث) ان يبقى مخلدا الى أبد الآبدين !! . وعلى العموم فان القلق البالغ الذى كان يساور أمنوفيس لاستخلاص نصيب طيب من الفضل لأبيه فى معبد عمدا . حيث يعطى المرء صورة جميلة وانطباعا طيبا عن الخلق القوى الذى كان يتمتع به هذا الرجل .

ولكن لسوء الطالع أزيل ذلك الأثر والنقش مباشرة عند الفقرة الختامية للمخطوط التى تسجل وحشيته وقسوته فى معاملته للأسرى الآسيويين الذين أسرهم أثناء حملته على سوريا .

وحيث تقول تلك الفقرة : حينما عاد جلالته بقلب مفعم بالفرح الى أبيه آمون ذبح بسلاحه الأمراء السبعة الذين كانوا فى منطقة تيخسى وقد

علقوا من اقدامهم فى مقدمة سفينة جلالته الملكية . . وبعد ذلك علق ستة من هؤلاء الأسرى أمام أسوار طيبة من اقدامهم أيضا .

اما القتيل السابع فأرسله فى النهر جنوبا الى النوبة حيث علق على جدران نباتا لاظهار الانتصارات التى حققها جلالته الى أبد الآبدين فى جميع أراضى وبلدان الزنوج (١). ولم يكن باستطاعة تحتمس الثالث وهو جندى أعظم من ذلك بكثير أن يثنى قوس ابنه أو يردعه .

وان مجرد الشهوة الى اراقة الدماء عنده التى استمرت تتناقص عند ابنه اذا ما قورنت بالنزعة الى العفو عند الأب ، تعطيك فكرة عن كيف ان أمنوفيس بالرغم من احترامه لاسم أبيه ، كان دونه فى مجال العظمة الحقيقة .

فى نهاية المحراب فى معبد عمدا تنفتح غرفتان صغيرتان من المحراب ، وقد قسمتا بعناية بالغة فيما يختص بالمناظر والمشاهد التى تحتويهما ، وهكذا تمت المحافظة على الترابط والاندماج الدينى الى اقصى حد .

وهناك على سطح المعبد نشاهد مخطوطا يونانى ينطوى على بيان مزيف سرعان ما صححها زائر آخر ، حيث تقول هذه الرواية : « ان هيرودوتس هاليكارناسوس ينظر اليه بالاحترام والاعجاب » .

ويقول التصحيح : « لا لم ير ولم يعجب » والحقيقة ان هيرودوتس لم يقترب من معبد عمدا على الاطلاق .

وهناك بين المعبد والنهر اطلال قليلة لمعبد صغير يبدو انه كان معبدا مكونا من رواق ومذبح حيث كانت اجراءات التطهير تتم فيه قبل الدخول الى المعبد الكبير ، ويعود تاريخ هذا المعبد حسب تقرير جوتييه الى عام (١٩١٠) فى عهد الملك سيتى الاول . ويؤدى طريق صغير مبنى من اللبن يصل المعبد الى ما كان فى يوم ما رصيفا .

---

(١) (Breasted, Ancient Records, 11, 791 — 7)

وعلى أى حال يعتبر معبد عمدا على جانب كبير من الاهمية لما ينطوى عليه من نقوش ورسوم وخراطيش فى غاية الأهمية ، ومـا تراعيه هـذه الأعمال من التوازن الجميل فى مجال دعاوى تحتمس الثالث وامنوفيس الثانى والنقوش البارزة التابعة للأسرة الثامنة عشرة •

ان نحته ونقشه بصفة خاصة جديرة بالاهتمام ، حيث نشاهد نوعية هذه الصناعة اللافتة للنظر تجدد فى النفس التقدير والاعجاب بعد الأعمال الهزيلة التى رأينا منها الكثير •

(معبـد الدر)

على بعد مسافة صغيرة بالنهر جنوبى معبد عمدا ، وعلى الضفـة المقابلة التى سنواصل تسميتها بالضفة الشرقية رغم أنها تعتبر الضفة الجنوبية بسبب انحناء النهر عنـد هـذه النقطة تقع قريـة ومعبـد الدر El - Derr عند منعطف النهر ، وعلى مسافة ١٢٠ ميلا جنوبى أسوان ، ٧١٥ ميلا جنوب القاهرة ٠

وهو المعبد الرابع من الشمال الى الجنوب ، وقد نحت هذا المعبد فى واجهة صخرة ضخمة خلف القرية ، ولمـا كانت هذه الصخرة من نوع ردىء (١) ، فان حالة المعبد غير جيدة ٠

ويمكن القول بأن تدخل الانسان المستمر واحتلاله هذه القلعة هو الذى سارع فى عملية تخريبه ومن عوامل انهيار جدرانه ومبانيه فمن المحتمل أن المسيحيون الأوائل قد خربوا بعض نقوشه كما أن المبنى قد استعمل لعدة أجيال كمستودع للقمامة وسكنى للهوام والوحوش ٠

كانت الدر تقع فى منطقة مـن مناطق النوبة تعرف باسـم ميـام Maam التى كانت على ما يظهر مكانا مقدسا اذ أن اكثر من اله وعلى سبيل المثال حورس كان ينتمى اليها ، ثم أطلق عليها اسم « معبد رمسيس فى منزل رع » وقد تم وقف هذا المعبد للاله حور – آختى ، ورع ، آمون - رع ، ورمسيس نفسه والمعبد من عمل رمسيس الثانى ٠

بينما توضح منزلة الاله بتاح أيضا موضع التقديس ، كما أن له أيضا مكان فى المحراب ٠ ولكن ليس هناك اى دليل على وجود نقوش أو أعمال لأى فراعنة لاحقين ، كما يبدو أن تاريخ المعبد بدأ وانتهى بحكم رمسيس الثانى ٠

لقد اختفى الصرح والفناء الأمامى اللذان كانا قد بنيا من الطوب

---

(١) نظفت جدران هذا المعبد فظهرت الوانه زاهية وبعدئذ قطعت احجاره واعيد بناؤه بجوار معبد عمدا ٠

اللبن ، ولذلك فان ما نشاهده الآن فقط هو الأعمدة الأولى وصالة الأعمدة الثانية أو الدهليز والمحراب بغرفتيه الجانبيتين ٠

ان الباب الجانبى الذى اعتاد أن يدخل منه الزوار ، قد أغلقه مسيو باراسانتى اثناء اعمال التنظيف والتقوية التى قام بها ، ويتم الدخول الآن من المدخل الرئيسى ٠

اننا عندما ندخل الآن الى صالة الأعمدة الكبيرة التى فقدت سقفها ومعظم الأجزاء العليا من جدرانها التى نحتت من الصخر مثل أجزائها الباقية ، ويرتكز السقف على اثنى عشر عمودا فى ثلاثة صفوف ، وكانت الأعمدة الأربعة الأخيرة ذات أشكال أوزورية وقد دمرت وتهشمت عن عمد ، بحيث لم يبق منها سوى أقدامها ٠

كان هذا الصف من الأعمدة يشكل فى وقت ما رواقا للقاعة الخلفية ، وعلى الأجزاء المتبقية من الجدران نشاهد نقوش بارزة لها بعض الأهمية ، فعلى الجدار الشرقى (على الشمال عندما نتجه نحو المحراب) سلسلة متعاقبة من مشاهد لمعارك حربية ٠

فأولا نرى مشهدا كاد أن يتلاشى الأسرى يساقون الى حضرة رمسيس (١) ويلى ذلك الملك نفسه حيث يشاهد مندفعا فى عربته الحربية بينما نشاهد اعداءه يفرون من أمامه أو يداسون تحت سنابك خيله (٢) ٠

ثم نشاهد الملك مرة أخرى يخرج من عربته ويمسك أربعة من أعدائه من شعورهم (٣) وأخيرا يقود أسراه أمام الاله حار ــ آخت (٤) ٠ ويبين الصف الموجود فوق هذه المناظر مشاهد المعارك الحربية والملك رمسيس الثانى أمام عدد مختلف من الآلهة التى لم يبق واضحا منها سوى الاله آتوم اله هيليوبوليس ٠

وعلى الجدار الغربى لم يتبق سوى مشهد واحد واضح حيث يرى فى هذا المشهد رمسيس وهو فى عجلته الحربية مندفعا وسط الجيش الهارب (٥) ٠ ويرى رماة السهام الزنوج يفرون الى معسكرهم الواقع بين التلال والأشجار ٠

وكان بعض هؤلاء يحمل الجرحى منهم وآخرون ينصحون النساء بالهرب . ثم يأتى بعض الضباط المصريين بالأسرى ومن بينها احدى العائلات من الأعداء تنتظر مصيرها فى خضم المعركة ووسط ماشيتها .

وفى الصف الأعلى نشاهد مناظر مهشمة تبين رمسيس فى عربته مع أسده الأليف وهو يستعرض أسراه أمام آمون - رع ويقدم له الضحايا . وعلى الطرف الشرقى من الجدار الشمالى (المدخل) كانت هناك فى وقت مـا مشاهد حربية ، ولكنها اختفت الآن تقريبا .

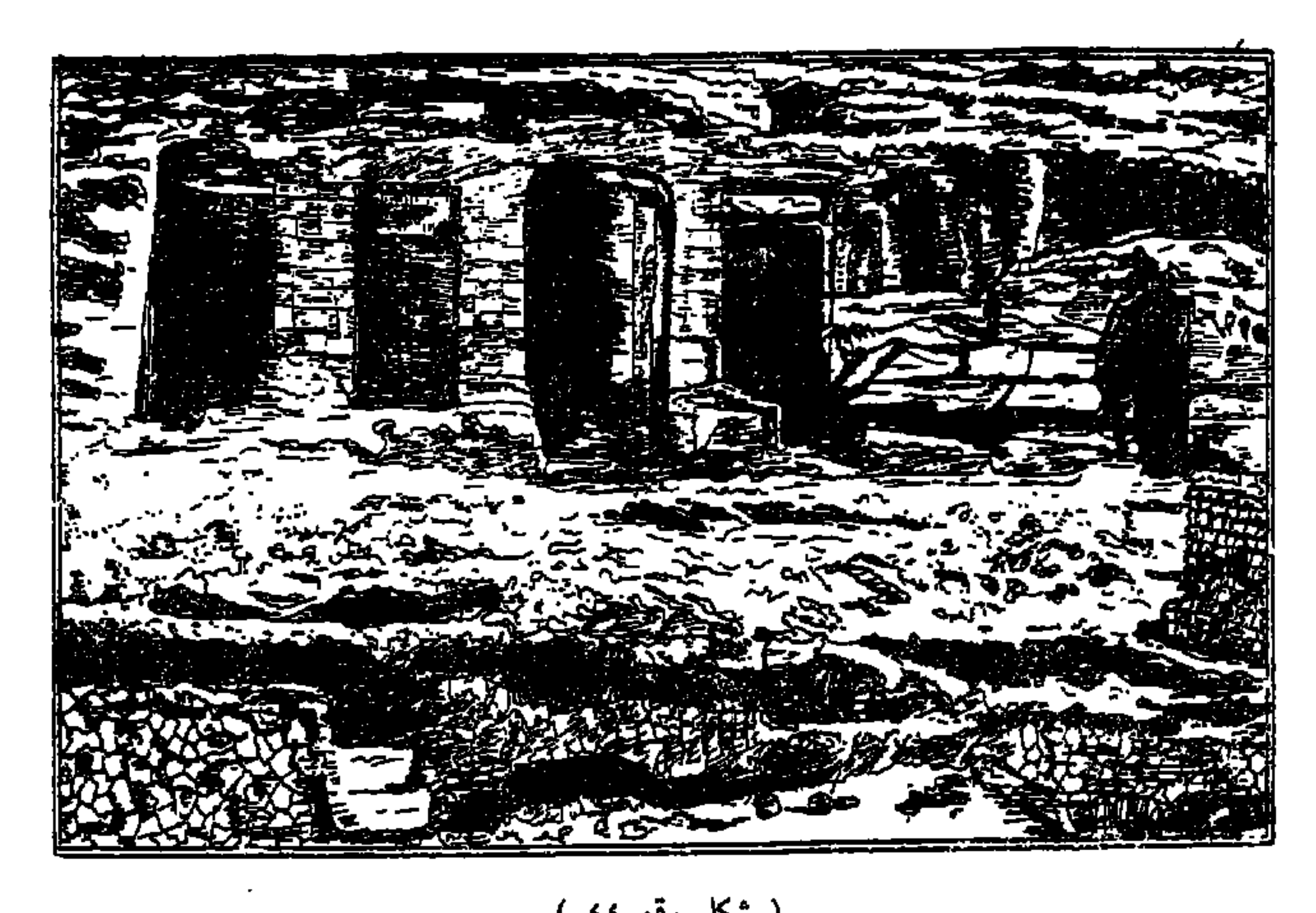
وعلى الجدار الخلفى (الجنوبى) تمثل المناظر على يمين البوابة (٦) رمسيس وهو يذبح أربعة أثيوبيين أمام آمون - رع بينما يظهر أسده الأليف الى جانبه ، كما يظهر رمسيس أمام بتاح وتحوت ، وعلى يسار البوابة (٧) يرى أيضا وهو يذبح أربعة آسيويين أمام حار آخت .

ومنظر آخر وأسده يمسك باحد الأسرى ، كما يشاهد الملك أمام الاله خنوم . وتحت هذه المشاهد وعلى يمين البوابة نشاهد ٩ بنات من بناته العديدات اللائى لا يقعن تحت حصر ، وعلى اليسار يظهر ثمانية من أبنـــائه .

وهو نوع من اختيار تمثيلى لأسرته الكبيرة لأن جعبة رمسيس مليئــة بشكل يسترعى الالتفات ، ويشاهد الملك على الأعمدة منقوشا أمام آلهة أخرى متنوعة ، ولقد دمرت الثلاثة الصفوف الأمامية من الأعمدة فى هذه القاعة ولم يبق منها سوى قواعدها والأعمدة الأوزورية المشوهة فى الصف الثالث .

أما الصالة الثانية التى ندخلها الآن فهى منحوتة كلها من الصخر ، وهى قاعة مربعة الشكل ذات ستة أعمدة . أما النقوش البارزة فى هــذه القاعة وعلى الأعمدة فليست جذابة كتلك التى فى القاعة الأولى فهى جميعا ذات صبغة دينية وتقتصر على اظهار الملك أمام آلهة مختلفة أو وهو يقدم القرابين للمراكب المقدسة .

وهذه الموضوعات لا يلبث الزائر أن يشعر منها بالملل لكثرة تكرارها



(شكل رقم ٤٤)
(معبد الدر الذى يرجع الى عهد رمسيس الثانى - فى موقعه القديم - وقد)
(تم فك هذا المعبد ونقل وأعيد تركيبه فى المنطقة الثالثة من مواقع تجميع)
(آثار النوبة فى عام ١٩٧١ بجوار معبد عمدا ومقبرة بنـوت)

وعلى جدار المدخل من ناحية اليسار (٨) يتولى الاله حارسيزيس Harsiesis واله آخر تقديم رمسيس الى حار — آخت والهة أخرى ٠

وعلى الجدار نفسه من ناجية اليمين (٩) يشاهد وهو يقدم القرابين الى الالهة نيت Neith ويتولى حار سيزيس وربما الاله تحوت مســح جسمه بالعطور ٠ كما يشاهد على الجدار الغربى (الأيمن) وهو يقدم القرابين الى مركب حار آخت ويباركه (١٠) ، (١١) آمون — رع الذى تصحبه زوجته منوت ٠

فى حين يشاهد ثلاثة أتباع للملك وهم تحوت ، ومونتو ، وحورس يحمل كل واحد منهم علامة الأعياد الخمسينية ٠ وعلى الجدار الشرقى (اليسار) يشاهد وهو يقدم قرابين الى قارب مقدس (١٢) ٠ ثم وهو يتعبد لآمون — رع وايزيس (١٣) ٠

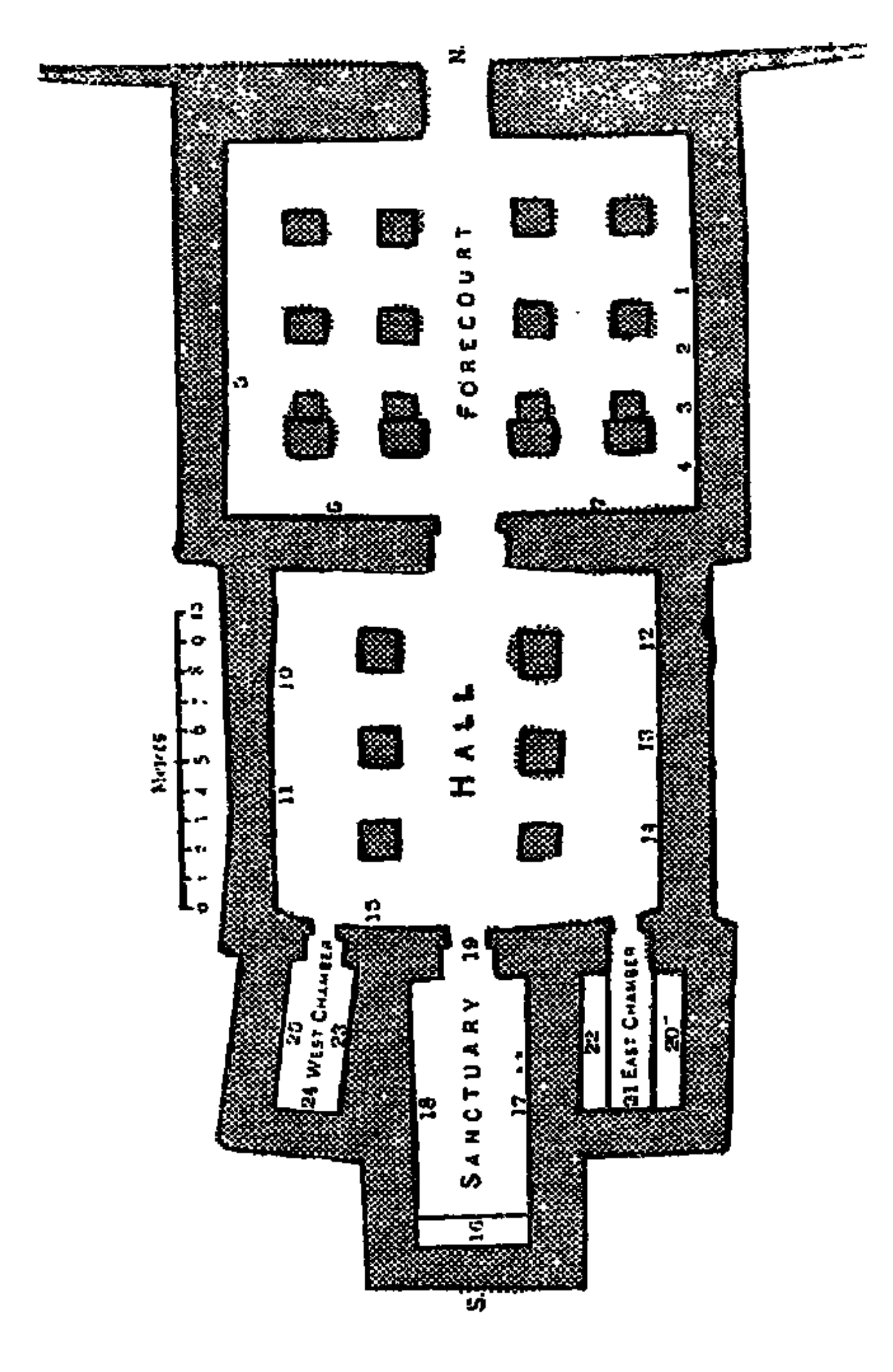
وأخيرا وهو واقف بجانب الشجرة المقدسة فى حضرة الاله بتاح وسخمت وتحوت (١٤) ٠ وعلى الجدار الجنوبى أو الخلفى (الجانب الشمالى) يرى متعبدا أمام حار — آخت وحتحور ، وعلى الجانب الأيمن (١٥) يظهر أمام كل من آمون — رع ، وشخصه فى هيئة تعبد ٠

وكان السقف فى ذلك المعبد أصلا مزخرفا بنقوش تمثل الجوارح من الطير وعدة خراطيش مختلفة ، ولكن هذه الزخارف قد تهشمت واختفت تماما ٠

وفى المحراب نشاهد أربعة تماثيل فى الطرف الجنوبى ولكنها أصيبت بتلف شديد (١٦) ٠ وهى لشخوص لبتاح وآمون — رع ورمسيس نفسه وحار آخت وعلى الجدار الشمالى (١٧) يشاهد الملك وهو يقدم قرابين الى المركب المقدس ٠

كما يرى وهو واقف أمام الاله بتاح ، وعلى الجدار الأيمن (١٨) يرى مرة ثانية وهو يقدم القرابين للمركب المقدس وحار آخت ، ويرى فى سمك البوابة (١٩) واقفا أمام حار آخت ، آمون — رع ٠

وتضم الحجرتان الجانبيتان مناظر من زخارف متشابهة ، ففى الغرفة الواقعة على الشمال (الشرقية) يظهر رسم لرمسيس أمام الاله آتوم ، وآمون



(شكل رقم ٤٥)
(رسم تخطيطى لمعبد الدر)

- رع ورسم آخر مجسم سماوى بشكل الهى للملك نفسه له رأس صقر (٢٠) وأمام حار آخت وآمون - رع (٢١). ومنظر آخر أمام تحوت وموت (٢٢) ثم يشاهد أيضا وهو يرقص أمام نفس المعبودة فى المركب المقدس ٠

وفى الحجرة اليمنى (الغربية) ، يظهر أمام بتاح وآمون وحار آخت (٢٣) ثم وهو يقف أمام ذات المعبودة فى وضعين مختلفين ، وكما ظهر قبل ذلك (٢٤) وراقصا أمام أوزوريس وايزيس وحورس ويتعبد أمـام حار آخت (٢٥) ٠

وعلى بعد مسافة صغيرة الى الشمال من معبد الدر توجد لوحة بالية متآكلة يعود تاريخها الى العصر الرميسى ولوحة أخرى عليها رسم منقوش لحاكم اثيوبيا المسمى « امن - أم حاب » وهو يتعبد لحورس اله ميعام (Maam) وهذه اللوحة يعود تاريخها الى عهد رمسيس الثانى كما يتضح من الخرطوش الموجود أعلاها ، كما نشاهد هناك بالقرب منها رسومات بارزة لغزلان وسفن وزراف وخلافه ٠

ليس هناك بعد معبد الدر (١) ما يستلفت الانظار اللهم سوى بعض المخطوطات الصخرية وراء قرية توماس Tomas ٠ وهذه المخطوطات بالغة القدم اذ يرجع تاريخها الى عهد الدولة القديمة (الأسرتان الخامسة والسادسة) ٠

---

(١) فى عام ١٩٥٩ اتخذت مصلحة الآثار خطوات كبيرة وفقا لأهداف تحددت على ضوء مشروع انقاذ آثار النوبة وشملت هـذه الخطة مراحـل مختلفة من حفائر ومسح أثرى وتسجيل ونقل للمعابد من أماكنها قبل أن تغمرها مياه السد العالى التى بدأت فى الارتفاع عام ١٩٦٥ ، فعملت هيئة الآثار بالاشتراك مع الدول الأجنبية على فك هذه المعابد واعادة تركيبها فى مناطق عالية مجاورة وبعيدة عن منسوب المياه ومن ضمنها معبد الدر الذى تم فكه بنجاح ونقل واعيد تركيبه فى المنطقة الثالثة من مواقع تجميع آثار النوبة فى عام ١٩٧١ وبذلك تضم هذه المنطقة (منطقة عمدا) معبد عمدا ومقبرة بنوت ومعبد الدر ٠ المترجم

كما نشاهد أيضا مخطوطات اخرى يعود تاريخها الى عصر الدولة الحديثة منها اثنتان للأمير سيتاو حاكم اثيوبيا تحت حكم رمسيس الثانى وهو موظف سبق أن التقينا به قبل الآن ۰ كما نشاهد على الضفة المقابلة وعلى مسافة قليلة الى الجنوب قليلا حيث وجد السيد ويجال المستكشف لوحة جميلة تحمل رسما منقوشا لحورس اله ميعام جالسا ۰

كما يشاهد رمسيس وهو يقدم له اناثين مملوئين بالدهون ، ويشير المخطوط الى الهدايا والقرابين المقدمة من الملك تحتمس ، أمير ميعام ، إلى تمثال رمسيس ، ومع رسم سيتاو الذى يرى وهو يتعبد فى أسفل اللوحة مما يدل على أنه هو الذى قام بعمل هذا الأثر ۰

(معبد الليسـيه)

على بعد حوالى نصف ميل تقريبا من النهر ، ووراء الجزء الشمالى من قرية ابريم يقع معبد الليسيه أو (مقصورة الليسيه الصغيرة) المنحوت فى الصخر الذى يعود تاريخه الى السنة الثالثة والأربعين من حكم تحتمس الثالث ٠

وهو معبد صغير جدا يتالف من غرفة واحدة فقط مستعرضة لها مشكاة صغيرة ، وقد زينت واجهته بمخطوطـات كثيرة بجانب لوحـة لتحتمس الثالث التى تذكر نفس التاريخ الذى تقدم ذكره ٠

ويظهر تحتمس الثالث على هذه اللوحة وهو يتعبد للاله حورس اله ميعام وساتت ، كما ترك الأمير سيتاو النشط بصمته هنا أيضا ٠ ذلك أن رسمه وهو يتعبد راكعا حيث يظهر فى أسفل اللوحة التى يبدو فيها رمسيس الثانى وهو يقدم القرابين لآمون رع وحورس ، اله ميعام ٠

ويوجد خرطوش تحتمس الثالث فوق البوابة ، حيث كانت هذه الغرفة فى وقت من الأوقات مزخرفـة بنقوش جميلة بارزة أصبحت الآن مهدمـة ومطموسة وغير واضحة ٠

ويظهر الملك فى هذا الخرطوش وهو يقدم القرابين للاله حورس ويعانقه مع وجود الاله ددوين وهو أحد آلهة النوبة ، ويقف أمام سنوسرت الثالث المؤله وآلهة أخرى مختلفة ٠

وفى المشكاة ثلاثة تماثيل محطمة يحتمل أن تكون لتحتمس الثـالث وهو واقفا بين حوس ، اله ميعام والها آخر غير واضح المعالم ، كما يـرى على جدران المشكاة وهو واقفا امام حورس ، اله ميعام وآمون – رع ، وساتت وتحوت ٠

وعلى بعد زهاء ميلين جنوبى معبد الليسيه (٢) ووراء قرية ابريم ، اكتشف السيد ويجال مخطوطين نادرين منحوتين فى الصخر عن ملكين مجهولين باسم كا – رع ، وسن – رع برفقة فرعون لابسا التاج المزدوج ٠

وعلى ضفة النيل الغربية ، وقبالة قرية ابريم ، توجد قلعة كارانوج المخربة التى يعود تاريخها الى القرن الثالث أو الرابع الميلادى من عصرنا هذا ، ويمكن أن نشير اليها نظرا لأهميتها التاريخية لأنها مازالت قائمة وشامخة بارتفاعها الكبير وقوة بناءها ٠

ويحتمل أن تكون هذه القلعة قد بنيت على أساسات أثيوبية أو رومانية متقدمة ، وقد قام كل من السيد / راندال ما كفلر ، وس٠ل٠ وولى المستكشفان بعمليات بحث وحفر فى سنتى ١٩٠٩ – ١٩١٠ ٠

وكذلك فى منطقة المقابر الهرمية المبنية من اللبن الموجودة فى الصحراء وراء مخطوطات قلعة كارانوج ومنطقة عنيبة حيث وجدت نقوش مما يدل على أن ذلك المكان كان مركزا للمنطقة المعروفة بمنطقة ميعام التى تكرر ذكرها فى الصفحات السابقة ٠

---

(١) فى بداية مشروع انقاذ آثار النوبة ونظراً للمساعدات القيمة التى قدمتها ايطاليا تم فك ونقل معبد الليسيه بعيدا عن منسوب مياه السد العالى ونقله الى أسوان ، ثم قامت هيئة الآثار بعد ذلك باهداء معبد الليسيه الى ايطاليا التى نقلته وقامت بتركيبه وترميمه بجوار متحف تورينو ، وتم افتتاحه يوم ٤ سبتمبر ١٩٧٠ فى حفل القيت فيه كلمة تقدير لما بذل من مجهودات لانقاذها ذلك المعبد واعادة بناءه فى متحف تورينو وذلك تقديرا لجهودها فى معاونتنا على الحفاظ على هذا التراث العظيم ٠ المترجم

(مقبرة بنوت)

ومقبرة بنوت Pennut تعتبر أهم أثر من عصر الأسرات فى منطقة عنيبة قد نحتت فى الصخر فى جانب التل وعلى بعد حوالى نصف ساعة بجـانب النهر .

وعلى مسيرة حوالى ربع ساعة مشيا وراء منطقة المقابر الهرمية المبنية باللبن التى تخص أعضاء أسرة بنوت ، كان بنوت موظفا فى ظل حكم الملك رمسيس السادس ، وكان يتقلد منصب ملاحظ عمال والمشرف على معبد حورس ، اله ميعام ، أما زوجته فتدعى تاخا وهى مغنية فى المعبد .

وقد حرص بنوت مثل جميع المصريين الطيبين على أن تقتفى أسرته أثره وتقتدى به فى أعماله وحياته ، وقد تقلد أعضاء أسرته مناصب هامة مثل ملاحظ الخزانة فى النوبة السفلى . وكاتب الخزانة ، وكبير كهنة ايزيس . وكان له حفيد يحمل نفس اسمه وقد تزوج سيدة تدعى باك ساتت .

وصف المقبرة :

تتكون مقبرة بنوت من غرفة مستطيلة واحدة لها مشكاة صغيرة تحتوى على ثلاثة تماثيل محطمة ومهشمة منحوتة فى صخرتها الخلفية قبالة المدخل .

وتعتبر المشاهد المنقوشة فى الغرفة عملا جميلا متقنا مازالت تحتفظ بألوانها . ولكن المقبرة أصابها تشوه وتلف شديد . وهناك على شـــمال البوابة رسمان منقوشان لبنوت (١) وتاخا مع مخطوط آخر لهما .

---

(١) عند تنفيذ المرحلة الثانية لانقاذ معابد النوبة ساهمت حكومـة الولايات المتحدة الأمريكية فى انقاذ ثلاثة أعمال من أهم آثار النوبة وهى معابد بيت الوالى ، ووادى السبوع ومقبرة بنوت وقد أسهمت فى هذا العمل بحوالى مليون جنيه ، وقد تم فك هذه الآثار بنجاح كبير وأعيد تشييد مقبرة بنوت فى منطقة عمدا وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات الى الداخل من الموقع القديم لهذا المعبد ، وتضم منطقة عمدا الآن بجانب معبد عمدا مقبرة بنوت ومعبد الدر ، ذلك لأن مقبرة بنوت تعتبر المقبرة الوحيدة المنحوتة فى الصخر . المترجم

وعلى الجدار الغربى على الطرف الشمالى نشاهد مخطوط يتحدث عن الأراضى التى حولها بنوت الى مخازن ومساكن لاقامة الكهنة بامر الملك واستراحات لاستقبال الزائرين وتخزين القرابين التى تقدم للتمثال الملكى والآلهة فى معبد ميعام ٠

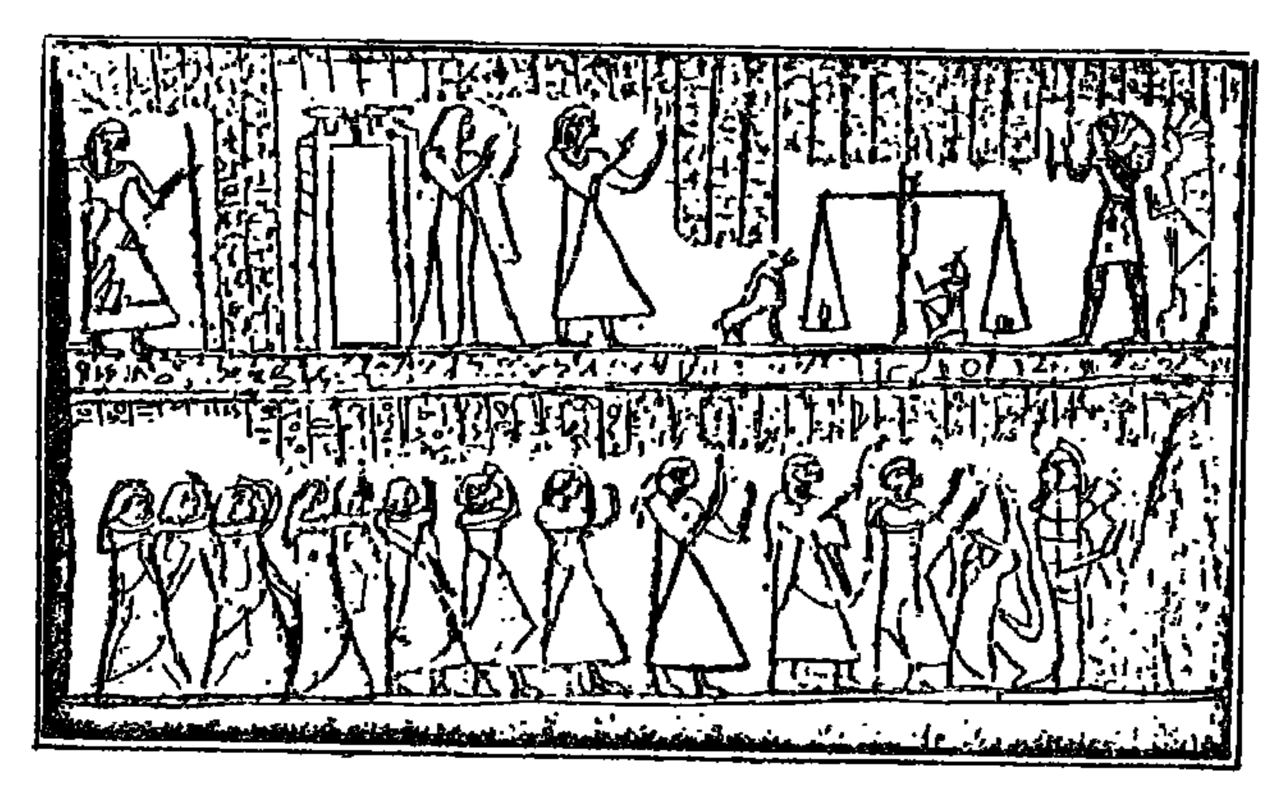
وتقع على جانبى المخطوط عدة شخوص الهية لكل من بتاح وتحوت وآمون ـ رع وموت ، وخونسو ، وعلى الجدار الشمالى يرى حاكم اثيوبيا فى الصف الأعلى يقدم فروض الطاعة والولاء لرمسيس السادس الجالس على عرشه فى سرادقه الملكى ، ويخبره عن العطايا والهدايا التى قدمها بنوت ٠

ويتلقى بنوت وعائين من الفضة ، كما يبدو انه على وشك استلام تمثال فضى للملك حيث يقوم الحاكم بفحصه ٠ ونشاهد كذلك تجمع الأسرة تحت هذا المشهد ٠

وعلى الجدار الخلفى الى شمال المشكاة يرى بنوت وتاخا بصحبة ابنائهما الستة ، واقفين أمام الرسم المنقوش المتوج لحار ـ آخت ، وعلى الجانب الجنوبى يرى بنوت وتاخا واقفين أمام خبرى ٠

ويظهر بنوت بعد ذلك راكعا أمام حتحور التى تبدو فى صورة بقرة خارجة من الجبل الغربى ، بينما تحمل الآلهة تاورت جعلا بيد وصولجان باليد الأخرى ٠ ويرى بنوت وزوجته تاخا فى السجل الأسفل أمام بتاح ـ سوكار ٠

ويظهر حار ـ آخت متوجا ، بينما يتولى أنوبيس وتحوت تطهير بنوت كما يظهر بنوت أمام أوزوريس ، وعلى الجدار الجنوبى ، فى الصف الأعلى نشاهد انوبيس واقفا بجانب سرير بنوت ، بينما نشاهد ايزيس المرتدية الملابس البضاء ، ونفتيس المرتدية الملابس الحمراء يندبانه بعد موته ٠



(شكل رقم ٤٦)

(منظران من مقبرة بنوت الصخرية بالنوبة ، يمثل المنظر السفلى)
(مجموعة من النساء المنتحبات أمام جثة بنوت ، التى يتولى الكهنة)
(القيام بالشعائر الدينية الخاصة بها ، أما المنظر العلوى فيمثل)
(صاحب المقبرة ومن خلفه زوجته أمام الميزان وقد وقف الاله نحوت)
(كاتب الاله يعدد الأعمال الطيبة لصاحب المقبـرة)

ويقوم حورس بمصاحبة بنوت وتاخا الى عرش أوزوريس وعلى الصف الأسفل حيث نشاهد الحقول الفردوسية ، ويرى بنوت وزوجته تاخا .

وهما فى مركب يسير فوق احدى القنوات ، وهما يتعبدان لحار — آخت وأتوم وخبيرى ويحصدان فى الحقول السماوية .

وعلى النصف الجنوبى من الجدار الغربى مشهد لوزن القلب والعقاب ، واخيرا نشاهد جنازة بنوت ومومياؤه وهى منصوبة أمام باب المقبرة .

كما نشاهد الكهنة وأهل بيته والأصدقاء وهم يودعونه فى المراسم الأخيرة ، بينما تبكى النساء وهن يندبن ويبكين حزنا على المتوفى الراحل .

(قلعة قصر ابريم أو قلعة عنيبة)

على الضفة الشرقية لنهر النيل ، وقبالة بلدة عنيبة وعلى مسافة صغيرة جنوبها ، تطل على النهر ثلاث مرتفعات صخرية عالية ضخمة . حيث تقع على المرتفع الأوسط خرائب بلدة وقلعة قصر ابريم أو عنيبة .

وهذه القلعة الضخمة تشرف أيضا على الوادى لمسافة ٢٣٥ كيلو مترا الى الجنوب من سد أسوان ، وتمتاز بأنها مشيدة على ربوة عالية صخرية جعل موقعها يشتهر بمناعته .

ونحن لا ندرى متى بنيت هذه القلعة ولا نعرف على وجه التحديد أنها لعبت دورا كبيراً فى العصر الرومانى ، وفى الحروب الطاحنة التى قامت بين الرومان والنوبيين .

وهذه القلعة تسيطر بموقعها الممتاز على الوادى على مسافة عدة اميال من جميع الاتجاهات وتمثل علامة رائعة ، وكانت أثناء الاحتلال الرومانى تسمى بريميس بارفا أو قلعة ميعام . حيث كان أول ظهورها فى التـاريخ أثناء التمرد الأثيوبى .

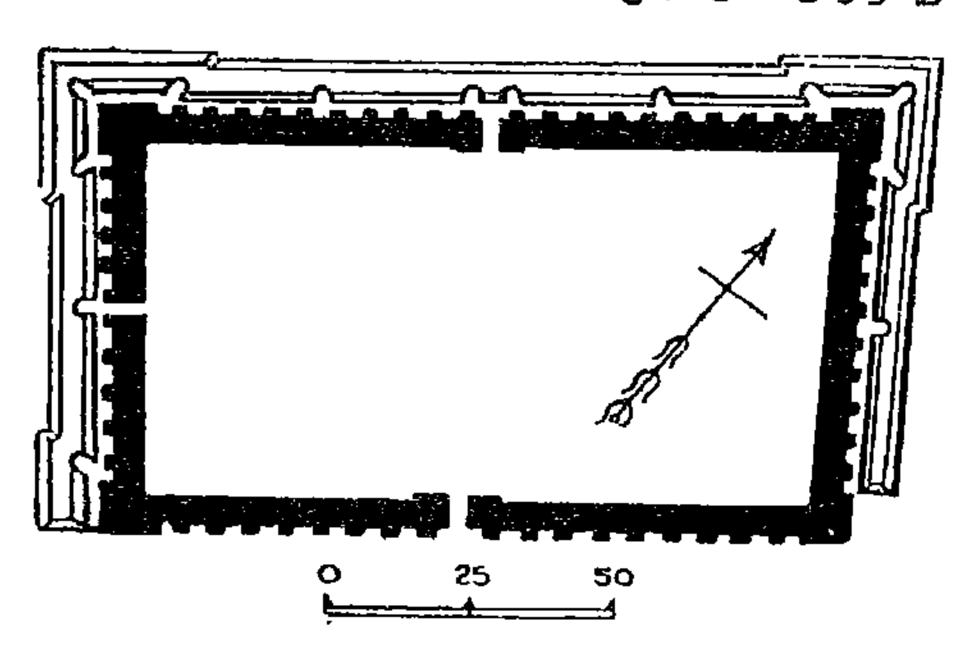
حينما قام الأثيوبيين تحت حكم الملكـة كانديس بمهاجمة المقاطعـة الرومانية وجدير بالذكر أن الامبراطور بترونيوس هزم الملكـة الأثيوبيـة وجيشها المضطرب فى الدكة . ثم واصل انتصاراته باقتحام قصر ابريم حيث كان الأثيوبيين يحتفظون به ويسيطرون عليه .

وفى أوائل القرن السادس عشر الميلادى احتل السلطان سليم الأول هذه القلعة وترك فيها حامية من جنود البوسنة ، ولكنه فيما يبدو نسى اين وضع الحامية واسدل عليهم النسيان ومكث فيها الجنود وواصلوا الحيـاة هم وخلفاؤهم فى ذلك المكان وتركوا لأمرهم .

ثم تزاوجوا من أهل المنطقة واستقروا فيهـا ونسى أحفـادهم لغتهم الأصلية وتحدثوا باللغة النوبية ، ولا تزال فى هذه القلعة بقايا وآثار مسجد تهدمت معظم أجزاءه حتى القرن التاسع عشر ٠

وقام المماليك الفارين من حكم محمد على بطرد الحامية البوسنيين واحتلوا القلعة لفترة قصيرة ولكن ابراهيم باشا ابن محمد على قـــام بطردهم منها ففروا مرة أخرى الى الصعيد حيث تعقبهم هناك ٠

يمكن الوصول الى القلعة من الناحية الجنوبية ـ الغربية بواسطة طريق قديم تتخلله على أبعاد متفاوتة درجات منحوتة فى الصخر ـ غير أن البوابة الوحيدة تقع على الجانب الشمالى ـ الشرقى حيث توجد بوابة مصرية غربية رائعة مبنية من الحجر المنحوت فى الصخر ويتوجها افريز مزخرف بحليات معمارية وقرص شمس مجنح ٠



(شكل رقم ٤٧)

(رسم تخطيطى لقلعة قصر أبريم أو حصن عنيبة)

ولا تزال الجدران على الجانبين الجنوبى والغربى قوية ومتماسكة وكذلك الجانب الشرقى . ان الأجزاء الجيدة البناء هى الأقدم عهدا ، حيث أضيفت مجموعات كبيرة من الأحجار التى يبدو أنها قد استقطعت من مبنى قديم ، يحتمل أن يكون معبدا .

وقد توجت باعمال اقل اتقانا فى اوقات متاخرة استخدمت فيها حجارة أصغر حجما فى عمليات البناء .

وتقع بلدة بوسنة داخل أسوار هذه القلعة ، وهى عبارة عن مجموعة مشوشة من المنازل المبنية من جميع انواع الحجارة ، مع تحويل مجمعات قديمة كثيرة ، بل وأجزاء من أعمدة مختلفة الى استخدامات جديدة .

أن مثل هذه الأسس والقواعد المختلفة فى نوعيات البناء تبين نماذج مختلفة لشوارع ودروب كثيرة تتجه جميعا الى قمة التل ، حيث كانت تقوم فى هذه المنطقة كنيسة حولت فيما بعد الى مسجد .

وهذا المبنى استخدمت فيه حجارة كثيرة مختلفة الأحجام وما زالت ثلاثة من جدرانه قائمة . حيث يقع المذبح فى فجوة أو مشكاة نصف دائرية عند الطرف الشمالى الشرقى . كما يوجد طريق مقنطر تعلوه ثلاث قباب جيدة البناء .

ويتجه هذا الطريق مع الجانب الجنوبى - الشرقى ، وهناك طريق آخر مقنطر مثل الطريق السابق ذكره فى الجانب المقابل . وتوجد فى الركن الشمالى - الغربى من القلعة بقايا قليلة من خرائب معبد مصرى قديم مهدم وغير مزخرفة وليس به اية مخطوطات .

كانت امدادات المياه لأفراد العائلة وعائلاتهم ترد من النهر ، وقد نحتت درجات فى الصخر على الجانب المنحدر للتل تسهيلا لعملية نقل الماء . وهناك خزانات وصهاريج عديدة نحتت أيضا فى الصخر لتخزين كميات كبيرة من الماء .

وهناك وباسفل القلعة فى واجهة الجبل نحتت خمسة مقاصير صغيرة فى الصخر ، قبالة المرتفعات وعلى ارتفاع فوق ضفة النهر ، وقد قام بنحتها بعض حكام بلاد النوبة من عصر الدولة الحديثة ، ونقشوا على جدرانها بعض النقوش والرسوم التى تمثل ملوكهم وحكامهم وهم يتعبدون للآلهة .

كما سجلوا أسماءهم على الجدران ، وهذه المزارات صعب الوصول اليها . نظرا لارتفاعها ، ولكنها تستحق الفحص والدراسة لأن بعضها يحمل مناظر جميلة ذات أهمية كبيرة ، كما أن سقوفها مزخرفة وجديرة بالمشاهدة .

تقع المقصورة الأولى فى أقصى الجنوب وقد بناها نيهى Nehi حاكم أثيوبيا أثناء حكم تحتمس الثالث وتشاهد خراطيش تحتمس على الجانب الخارجى من البوابة ، ونقشت كذلك القاب الحاكم نيهى ، ولكنها ليست واضحة .

ويبين الجدار الجنوبى داخل المقصورة الملك تحتمس الثالث مع مين اله قفط وهو أحد الآلهة المعبودة ، ثم يظهر خلفه أيضا ، بينما نرى أمامه شخوص تالفة ومخطوط يعدد أسماء والقاب نيهى بالاضافة الى الاشارة الى احضار الجزية المفروضة على الجنوب من الذهب والعاج والأبنوس فى السنة الثانية والخمسين من حكمه .

وعلى الجدار الشمالى نشاهد شخوص للالهتين أنوقيت وساتت ، الاهتى الشلال ، وحورس ، اله باكى ، وحتحور ، وحورس سيد بوهن وحورس اله ميعام وآمون .

وقد أزيل اسم آمون ثم أعيد كتابته من جديد ، الأمر الذى يدل على مدى الالحاح والتصميم على التخلص من اسم آمون فى عهد اخناتون ، لئلا يكتب البقاء لهذا الاسم الكريه ٠

وحتى حينما جرى السعى لتعقب مزار مهمل فى أعماق النوبة ٠ وهناك فى مؤخرة المقصورة ثلاثة تماثيل مشوهة ومهشمة التى ربما كانت تمثل تحتمس الثالث جالسا بين ساتت وحورس ٠

والمقصورة الثانية تعرفنا بصديقنا القديم سيتاو حاكم اثيوبيا ، أثناء حكم رمسيس الثانى ، ولما كان رمسيس الثانى نفسه لم يدع فرصة تفوته للاعلان عن أمجاده وأفضاله الرائعة الا وعمل بها ، فان المسؤولين والموظفين فى عهده تملكتهم الرغبة فى تقليده فى تخليد وذكر أعمالهم وأمجادهم التى تاثروا بها ٠

فمنهم سيتاو الذى كما راينا بالعقل كان بالغ النشاط فى تخليد ذكراه وذكرى سيده ، وتعتبر المشاهد المنقوشة على جدار المقصورة بمثابة اعلانات وتاييد كبير عن ولاء سيتاو وموظفيه لفرعونهم العظيم ٠

ذلك الفرعون الذى يشاهد جالسا على العرش بينما نرى الحاكم الطيب مع الكاتب حار – أم – حاب ومسجل المعابد امن – ام ٠ ادبت ، والمسجل حار – ناخت ، والمسجل بسيور ٠

وكذلك مسجل صوامع الغلال حار – حتب الى جانب كهنة آخرين طمست أسمائهم ودمرت ، وهم يقدمون له التقارير وفروض الولاء والطاعة ٠

وهناك فى آخر المقصورة نشاهد ثلاثة تماثل مشوهة تمثل رمسيس الثانى بين الهين ٠

وتوضح المقصورة الثالثة كيف كان الحقد منتشرا فى مصر القديمة ٠ لأن هذا المزار فى الأصل كانت توجد به خراطيش تحتمس الثالث والملكة حتشبسوت ، ويعود للحكم المشترك بين الملكين ٠

ولكن خرطوش حتشبسوت قد أزيل من كل مكان نقش فيه ، حيث كان هذا العمل يتطلب مشقة بالغة لتحقيق الغرض منه ، وهو القضاء على كل أثر للمنافس الذى قبله ٠

ولم يكن لتحتمس الثالث أى ذريعة لحماسه الدينى الذى قاد اخناتون الى محو اسم آمون ، ان التماثيل الاربعة المهشمة القصيرة والبدنية التى أصابها الآن تلف شديد والتى تحتل الجدار الخلفى لا تحكى لنا شيئا 'لا التخريب والدمار المتعمد لهذه التماثيل ٠

وهذه التماثيل تمثل حتشبسوت وتحتمس الثالث بصحبة حورس اله ميعام وساتت اله ايليفنتين ٠ وجدير بالذكر أن الوان هذه المقصورة مازالت بحالة جيدة ، وخاصة فى رسومات السقف ٠

أما المقصورة الرابعة فتعتبر أهمها جميعا ، حيث توجد فوق البوابة من الخارج خراطيش للملك امنوفيس الثانى ومخطوطات أخرى بأسفل الأكتاف تشير الى « الابن الملكى ، أوسر ـ ساتت » ٠

ويرى على الحائط الجنوبى للمقصورة أمنوفيس جالسا على العرش ومن خلفه حامل المروحة والإلهة ساتت سيدة ايليفنتين بجانبه ، وهناك موظفان يحملان المراوح والأقواس أمامه ٠

ويوجد مخطوط تالف يشير الى جزية الحيوانات التى يظهر بعضها على الحائط ويرى على الجدار الشمالى امنوفيس مع حورس اله بوهن فى حضرة ثالوث الشلالات المؤلف من خنوم وساتت وانوقيت ٠٠ ونخ ابت وسوبد وحتحور إلهة ايليفنتين ٠

وهناك على الحائط الخلفى كالعادة ثلاثة تماثيل محطمة تمثل امنوفيس بين اله والهة ، وعلى جانبى المشكاة التى تضم التماثيل رسم باهت بالزيت للفرعون ٠

أما المقصورة الخامسة فى هذه المجموعة فهى خالية تماما من أية أعمال نقش أو نحت أو تماثيل أو أية خراطيش ٠

وعند المرتفع الصخرى الثالث من المجموعة عند قصر ابريم والواقع جنوبى القلعة لوحة ضخمة للملك سيتى الأول منحوتة فى جانبها الأملس ، وعليها سجل حافل لانتصاراته بيد أن الجزء العلوى من اللوحة قد أصابه الدمار ولم يبق من نقوشها سوى مشهد واحد ٠

ان هذا المشهد المنقوش على الجزء الأسفل يبين سيتى الأول مع عربته الحربية وهو يذبح أسيرا فى حضرة أحد الآلهة ٠ وهناك تحت هذا المشهد اثنا عشر سطرا افقيا وثلاثة أسطر راسية لمخطوط مكتوب باللغة الهيروغليفية ٠

وهذه المخطوطات مع رسم منقوش صغير لنائب الملك سيتى فى اثيوبيا وهو امن ـ ام ـ حات ، وتشاهد أيضا رسومات قديمة مهملة ومشوهة على بعد قليل من اللوحة لمجموعة من الفيلة والزراف وحيوانات أخرى ٠

وينبغى عدم الوصول الى هذه اللوحة من جهة الجنوب ، حيث يوجد طريق جيد من جهة الشمال ويعتبر أكثر ملائمة وسهولة حيث يستطيع المرء الوصول اليها بعد زيارته لقصر ابريم ٠

وعلى بعد زهاء ثمانية أميال جنوبى قصر ابريم ، وعلى الجانب الجنوبى ـ الغربى من أحد التلين اللذين يرتفعان من هضبة صخرية عالية ، توجد سلسلة من الصخور داخله فى البحر يقع وراءها سفح تل صخرى جرى تهذيب واجهته بشكل أملس نشاهد على هذا السفح مشهدا صغيرا ملون يبين الفرعون سنوسرت الثالث اثناء قيامه بذبح زنجى ٠

والمعروف عن الفرعون سنوسرت الثالث أنه مشهور فى التاريخ المصرى بانه أعاد تاكيد السلطة المصرية فى أثيوبيا بعد فترة من الزمان كان فيها الزنوج مصدر اضطرابات وقلق لمصر ٠

ولذلك كان سنوسرت الثالث موضع تقديس وتكريم ، وخاصة فى منطقة كوش المصرية ، كاله محلى ، على أن من المحتمل أن يكون له أعمالا ناجحة حتى اتخذ رمزا لهذه العبادة .

ومازالت بعض الألوان الأصلية باقية على رسومات الشخوص وذلك نظراً لوجود أعمال النحت من عصر الأسرة الثانية عشرة ، حيث نشاهد منظرا قوامه شخوص ومخطوطات عديدة قد نحتت فى عصور الأسرة الثامنة عشرة على صخرة قريبة ايضا .

ان الكائنات الالهية التى تشاهد على أحد أطراف هذا المشهد هى للاله حورس اله ميعام ، وسنوسرت الثالث ، وريشيب اله الحرب السورى الأصل . كما نجد سنوسرت لابساً تاج مصر العليا ويحمل لقب « الملك القوى الخالد الى الأبد » .

ويلبس حورس التاج المزدوج ويحمل صولجان الاله ، ويلبس ريشيب تاج مصر العليا ويلوح بدرع وصولجان . ويقف أمام هذا الثالوث خمسة شخوص من البشر .

أولا يتقدم رجل يدعى نيبسى حاملا القرابين الى الثالوث وتتبعه زوجته تابا وأما الشخص الثالث فهو ابن الزوجين الأولين الذى تقلد منصب (صياد الملك) ويحمل قوسه ونباله ويمسك بغزال اصطاده ليقدمه قربانا .

كما يتبعه ابن آخر لنيبسى الذى يتقلد منصب « حارس ماشية حورس » ، اله ميعام ويدعى سن - نوفر ، ويليه شخص آخر يوصف بـ « خادم الملك » « وحارس الابوام الملكية » والذى يحمل عصاتى الرمى .

ونشاهد تحت هذه السلسلة من الشخوص أعمال نحت ، حيث يمثل الكبش المقدس وهو يلبس قرصا بين قرنين ، ويتغذى من مذبح ، كما يشاهد مخطوطات أخرى لآلهة النوبة السفلى . حيث تمتاز هذه الأعمال بفن واتقان كبير .

ولابد أن نيبسى كان قادرا على الاستفادة من خدمـات نحات مـاهر لا يتوقع الانسان ان يجد مثله فى مكان من هذا القبيل حيث يعتبر المشـهد كله مثلا رائعا مجسما للتدين والورع والاخلاص ، ومن هنا اكتسب أهمية تاريخية كبيرة وحرصا هاما على زيارته ٠

وعلى بعد حوالى ميل من هذا المكان نشاهد هناك مخطوطات وشخوص وتماثيل مهشمة عديدة أخرى ، يعود تاريخ بعضها الى عصور قديمة جدا ٠ حيث تصور بعضها زنجيا حاملا قوسا ونبالا وقوارب مختلفة وحيوانات ٠ وثمة مخطوط آخر متأخر يتحدث عن القاب الملكين كا ـ كارع ، سن ـ رع ٠

ووراء قرية توشكا نشاهد ثلاث مقابر صخرية منحوتة فى مرتفع صخرى منعزل ٠ وهذه المقابر قد اصابها تلف بالغ من الدمار مما جعلها عديمـــة الأهمية ، وان كانت توجد بها علامات تبين أنها فى فترة ما قد كسيت بطبقة من الملاط توطئة لدهانها وتلوينها ٠

وهذه المقابر خالية من أى أعمال نحت أو نقش أو مخطوطات ، وقد كشف يونكر المستكشف مقبرة نوبية من عهد الأسرة الوسطى بالقرب من قرية توشكى فى عامى ١٩١١ ـ ١٩١٢ ، وقد كشف كذلك عن جــزء من جبانة مسيحية كبيرة ، كانت منطقة توشكا اســما مألوفا لفترة طويلة من الدهر أثناء المراحل الأولى من الصراع مع الخليفة فى السودان حينما زحف « واد النجومى » ، قائد قوات الخليفة فى دنقلة ـ شمالا فى محاولة لغزو مصر ٠

وقد واجهته القوات المصرية بقيادة سير فرانسيس جرينفيل والضباط البريطانيين على الجانب الغربى من النهر وقضى عليه وعلى جيشه فى معركة طويلة على بعد زهاء سبعة أميال وراء نصف قرية توشكى الواقعة عــلى الضفة الغربية ٠

وعلى بعد حوالى ثلاثة أو أربعة أميال جنوبى توشكا وبين تلك القرية وأرمينا اكتشف السيد ويجال مخطوطا هاما يعود تاريخه الى الفترة التى شهدت نشوب الحرب ضد الهكسوس حيث تلقى ضوءا هاما على تلك الفترة من الصراع تختلف نوعا ما عن ذلك الصراع الذى نراه مألوفا عادة .

ويقول المخطوط : « ملك مصر العليا والسفلى وازت — خبر — رع ابن الشمس ، كاموزا ، قد أعطى الحياة ، ملك مصر العليا والسفلى ، نب — بحتى — رع ، ابن الشمس ، احمس ، قد منح الحياة ... تينى ، الابن الملكى ... » .

ولعلنا نستطيع ان نفهم وجود احمس هنا ، ولكن احدى شكاوى كاموزا الواردة فى مخطوط اللورد كارنارفون (١) تفيد ان « هناك أميرا » جالسا فى أفاريس وآخر فى كوش ، بينما أجلس انا بين آسيوى وزنجى .

ويتبين من هذا المخطوط النوبى أما أن تكون الأمور ليست من السوء كما قال كاموزا ، أو انه قد أصاب نجاحا فى اسقاط الزنجى عن كرسيه لأن مخطوطا من هذا القبيل يفيد بان حملته قد وصلت الى نقطة معينة ليست بعيد عن متناول حدود سنوسرت الثالث .

---

(١) يؤكد لنا اللوح الذى عثر عليه « اللورد كارنارفون » بالأقصر عام ١٩٠٨ أن حرب التحرير التى بدأها العاهل المصرى « سقنن رع » قد استؤنفت مرة أخرى ابان حكم ابنه الأكبر كامس وأخوه أحمس الذى خلف أباه كحاكم للبلاد وقائد للجيش ، وقد نشر نص هذا اللوح فى مذكرات « اللورد كارنارفون » عن الحفائر التى قام بها وقتئذ ، وكان هذا اللوح موضع دراسات كثيرة قام بها علماء الآثار . ويشير هذا اللوح الى أن الملك المصرى سقنن رع كان يخشى خطر الهكسوس الذى كان يهدد ملكه من الشمال كما أن الدسائس التى وضع الهكسوس بذورها فى الجنوب أشعلت ثورة النوبيين فأوجدوا بذلك خطرا يهدد ملكه من ناحية الجنوب .. وزاد على ذلك قيام الدسائس التى كان الهكسوس يبثونها لاثارة القبائل فى الواحات التى تقع فى الناحية الغربية وهذا ما دعا الملك المصرى فى اتخاذ خطوة ايجابية لضمان سلامة البلاد ، ولكنه قتل فى أولى معاركه مع الهكسوس وتولى بعده كامس ثم أحمس حتى استطاعا القضاء عليهم وطردهم من البلاد . المترجم .

ويرجع السبب فى وجود هذه المقابر والمخطوطات بكثرة فى هـــذه المنطقة أن عاصمة بلاد النوبة ابان عصر الدولة الحديثة كانت تبعد عنه بضعة كيلو مترات الى الشمال ، وهى العاصمة « ميعام » والمعروفة الآن باسم « عنيبة » ٠

ومن الطريف أن نعلم أن حكام النوبة الذين استقروا فى هذه العاصمة لفترة طويلة يشرفون منها على شئون الجنوب ويديرون دفة الحكم فيها لم يختاروا جبانتها لتشييد مقابر لهم فيها ٠

والسبب فى ذلك أن المصرى كان يهتم اهتماما كبيرا بأن يحظى بمقبرة فى مكان آمن وجبانة لها قدسيتها يدفن فيها بعد أن تقام لجثته المحنطة عدة طقوس هامة منها زيارة معبد الاله أوزوريس فى أبيدوس ٠ ومن أجل هذا لم نعثر الا على مقبرة واحدة هامة لأحد هؤلاء الحكام وهو بنوت الذى عاصر رمسيس السادس وسبق الكلام عن مقبرته ٠

ليس هناك بعد زيارتنا لهذه المنطقة شىء آخر ذو أهمية بدءا من هذه النقطة وبعدها ببضعة أميال ٠ الا بعد مسافة طويلة من قناطر خزان أسوان وعلى بعد ١٦٦ ميلا ، حيث نصل الى أهم معبدين من أعظم آثار النوبة وهى معابد أبو سمبل الصخرية التى سوف نقوم بزيارتها الآن ٠

الفصل الواحد والاربعون

معبد أبو ســـمبل الكبير

يعتبر معبدا أبو سمبل الصخريان ، وبخاصة أكبرهما ، من أعظم وأجمل وأضخم وأروع عمل انجزه مهندس معمارى مصرى عبر التاريخ .

وهذان المعبدان قد نحتا فى الصخر من واجهة سفحى ربوتين من الحجارة الرملية منحدرين الى ضفة النهر عند نقطة تبعد حوالى ١٦٦ ميلا جنوبى خزان أسوان .

والمعبدان للملك رمسيس الثانى وينفصلان عن بعضهما البعض بواسطة واد ضيق يتدفق منه شلال دائم من الرمال ، وحينما رآهما المستكشف بلزونى لأول مرة عند زيارته الأولى لهذه المنطقة ، كان المعبد الكبير مطمورا فى الرمال الى حد لم يكن يظهر منه سوى رأس أحد التماثيل الضخمة فوق الرمال التى كانت تغطى البوابة والواجهة التى فوقها .

وكان تمثال حور آختى المنقوش باعلى البـاب مدفونا كـذلك حتى الرقبة (١) ، بيد أن المستكشف العظيم نجح فى رحلته الثانية التى قام بها فى عام ١٨١٧ ، فى تطهير واجهة المعبد بحيث سهل دخوله الى الغرف الداخلية .

وبذا كان أول الأوروبيين ممن نفذوا الى داخل المعبد ، لأن المستكشف بيرخاردت (Burkhardt) الذى كان أول من لفت الانظار اليه بعد زيـارته فى عام ١٨١٢ ، لم يستطع أن يرى أكثر مما رأى بلزونى عند زيارتـه الأولى (١) .

---

(١) Belzoni, Narrative, pp. 79, 8 0

(٢) Belzoni, Les Temples Immeres, pp 137 — 70

ومنذ أيام بلزونى جرى تطهير المعبد العظيم مرارا وتكرارا بصورة حاسمة على يد لبسيوس أثناء بعثته الكبيرة التى قام بها فى سنوات ١٨٤٢ — ١٨٤٥ ، وعلى يد ماريت فى عام ١٨٦٩ وأخيرا بارسانتى فى عام ١٩١٠ (١) ٠

كـانت عملية التنظيف الأخيرة هى أكملها حيث نتج عنها اكتشـاف مقصورة فى الجانب الشمالى من الواجهة لم يسبق معرفتها من قبل ٠

وقد قام السيد بارسانتى بحماية المعبد مما كان يتهدده من سيل الرمال المستمر والتى لا تهدأ ، وذلك بأن قام ببناء أسوار عالية فوق الهضبة المرتفعة التى يبدأ منها تدفق الرمال بغية حجز التيار الرملى الجـارف وتحويل مجـراه ٠

ولكن يخشى أن يحارب الانسان هنا ، كما حدث فى كل مكان معركة خاسرة فى النهاية ضد الطبيعة وأن تكون نهاية المعبد أن يدفن تحت الرمال ، على أن تحقيق هذا المصير لن يأتى الا بعد أن يتوقف الانسان عن تقييم واحد من أعظم الأعمال الفنية والأثرية العظيمة التى خلفها الماضى ، تقديرا كافيا بحيث يعتبره جديرا بالحماية والمحافظة على ذلك التراث العظيم الشامخ ٠

ويعتبر المعبد الأول من أضخم وأهم المعابد التى شيدت فى عصر الدولة الحديثة بل ويعتبر النموذج الوحيد من نوعه فى فن العمارة البشرية ، ونكاد نعتقد أن رمسيس الثانى قد ميز منطقة « أبو سمبل » على غيرها من المناطق الأخرى التى شيد بها معابده ٠ حيث كانت تلك المنطقة تعتبر من أهم المناطق المقدسة قبل خمسة قرون مـن تفكيره فى تنفيـذ هـذا المشروع العظيم ، كما يدل على ذلك وجود مخطوطات من أواخر الدولة الوسطى ٠

ومن المحتمل أن صفتها المقدسة أقدم من ذلك بكثير ، ويحتمل أن

---

(١) Les Temmples Immerge's pp. 173 - 70 —

يعود تاريخها الى عصر الدولة القديمة ، كانت الآلهة المشهورة للتلال الغربية التى تسمى « حاتحور سيدة أبشك » هى مصدر تقديس ذلك المكان .

ولما لم يكرس المعبد العظيم ويكون موقوفا لها وانما الى آمون - رع رب طيبة ، وبخاصة حور آختى حيث كان المعبد الأصغر القريب منه قد كرس لتكريمها فقط .

وكلا المعبدين من عمل رمسيس الثانى ويمكن القول إنه اذا كان قد ترك على الدوام بصماته على أعمال عظيمة ورائعة مثل تلك الموجودة فى أبو سمبل ، لكانت شهرته اليوم أعظم بكثير بحيث تتناسب مع أطماعه .

وبداخل المعبد نقش مؤرخ فى السنة الخامسة والثلاثين من حكمه الطويل ، ولا بد أن المعبد كان حينذاك فى حالة تكاد تكون تامة ، وعليه يمكن ارجاعه الى سنة ١٢٥٧ ق.م تقريبا وبعد خمسين سنة من ذلك ، فى حكم سيتى الثانى نجد أن الطبيعة قد بدأت فعلا حربها الطويلة ضد هذا الأثر الذى يمثل الكبرياء الانسانى .

فقد قام هذا الملك بترميم أول التمثالين الى الشمال من الباب وكانت تظهر عليه بوادر التداعى ، ولا يمكن تحديد الوقت الذى سقط فيه الجزء الأعلى من التمثال المقابل الواقع الى الجنوب ويحمل الساق الأيسر من هذا التمثال المشوه النقش اليونانى المعروف الذى كان الاسهام الثانى فى تاريخ هذا المعبد العظيم (١) .

---

(١) اقتضى عملية انقاذ معبدى أبو سمبل تكاليف باهظة قدرت بحوالى ستة عشر مليونا من الجنيهات تحملت مصر منها ثلث ذلك المبلغ وتبرعت الولايات المتحدة مشكورة بالثلث أيضا ، وساهمت حوالى خمسين دولة فى الثلث الباقى منها فرنسا وايطاليا والسويد وهولندة . وكان لمعارض الآثار التى ارسلت للخارج نصيب فى تحمل جزء آخر ، وقد وقعت مصر عقدا لتنفيذ هذا المشروع مع مجموعة الشركات العالمية التى تكونت من شركات المانية وعربية وفرنسية وايطالية وسويدية وعهد الى شركة هوختيف الألمانية بادارة العمل نيابة عن المجموعة .

وقد كتب هذا المخطوط (١) فى عهد بسماتيك الثانى من الأسرة السادسة والعشرين (حوالى ٥٩٣ - ٥٨٨ ق٠م) حيث يقول المخطوط :

« عندما حضر الملك بسماتيك الى اليفنتين ، هكذا كتب الذين صحبوا بسماتيك بن ثيوكليس ، وواصلوا التقدم مارين بميرس الى المدى الذى سمح به النهر وكان ويناسمتو قائدا للأجانب وأحمس (اماسيس) قائدا للمصريين ٠

كتب هذا « أرجون بن أموبيخوس وبليكوس بن أودامس » وبعد مضى حوالى ٢٥٠٠ عام مرت بهذا الطريق حملة عسكرية أخرى يقودها وينتظم فيها أجانب مثل الحملة السابقة وتركت لوحتها التذكارية عن معركة توشكا الانجليزية الغربية لتكون مصاحبة لنص أرمون وبليكوس ومن حسن الحظ أن الكتاب المحدثين كانوا يتمتعون بظروف أفضل ممن سبقوهم فلم يكتبوا بيانهم على التماثيل التى أحتملت طويلا بل نقشوه على لوحة من الرخام ثبتت على المقصورة الصغيرة التى كشفت فى ١٨٧٤ ٠

ومع ذلك فمن العسير أن نرى صلاحية وضع لوحة تذكارية عن معركة حديثة يمكن القول عنها دون حرج بأنها لا تذكر بجانب سجل انتصارات رمسيس الذى يرجع تاريخه الى ثلاثة آلاف سنة ٠ وربما لم تكن معاركه محكمة مثل معركة توشكا ولكنه نجح فى جعلها أكثر اثارة بحيث تصبح المقارنات غير عادلة ٠

وقد قام بارسانتى باعداد طريق متقن للوصول الى المعبد من النهر لم يراع فيه تماما ملائمته مع الآثار الواقعة خلفه ، ولكن اعتبارات الصيانة يجب أن تجىء فى المقدمة ٠

---

(١) ان الملك الذى قام بهذا الترميم هو الملك (أمن - مسى) حيث اغتصب الملك من سيتى الثانى ، ولما مات محى هذا الملك الآخر اسم سيتى الثانى من كل مكان وجد فيه ونقش اسمه بدلا منه ٠

فقد كسا الجسر المنحدر بالحجارة والصخور كما أقام درجا يصعد الى الساحة الامامية الواقعة أمام واجهة المعبد المحاطة من الجهتين الشمالية والجنوبية باسوار قديمة من اللبن رممت فى السنوات الأخيرة وينفذ فى الجدار الطويل الواقع الى الشمال بالقرب من النهر بوابة من الحجر من عهد رمسيس .

ويقوم خلف الفناء واجهة المعبد التى تعتبر من أروع الأعمال فى ذاتها ، وفى ارتباطها العجيب ببيئتها التى كان على العمارة المصرية أن تبرزها ، وأمام الواجهة شرفة يرقى اليها بواسطة درج قديم يتوسطه طريق منحدر .

وعند زاويتى السلالم الأولى لهذا الدرج كوتان أو مشكاوتان صغيرتان ربما استعملتا لأغراض التطهير وعليها نقوش ومناظر ، فعلى الكوة الأولى إلى اليمين منظر لرمسيس الثانى يقدم البخور والزهور الى آمون رع وحور آختى بينما نشاهد على الكوة الثانية الى اليسار منظر للملك يقدم لآمون وبتاح وسخمت .

ولواجهة الشرفة كورنيش مقعر وقد زينت بصفوف من الأسرى كما توجت بدرابزين يقوم خلفه صف من الصقور وتماثيل للملك على هيئة أوزوريس وخلاف ذلك .

وقد شغلت مقدمة القسم من الشرفة ببقايا الجزء الأعلى من التمثال الذى تحطم نتيجة لسقوطه لدرجة أن باراسانتى لم يحاول اعادته الى موضعه الأصلى فى عام ١٩١٠ خوفا أن يتفتت الى ذرات من الرمل أثناء العملية .

وهذه الواجهة على هيئة صرح ضخم ارتفاعه أكثر من مائة قدم ويبلغ عرضها الفعلى ١١٩ قدما ، ويحتل معظم هذه المساحة بطبيعة الحال أربعة تماثيل ضخمة تمثل رمسيس الثانى على عرشه - وقد نحتت هذه التماثيل كبقية المعبد من صخور حية .

وهى تعتبر من أضخم التماثيل التى نحتها الفنان المصرى ، اذ يبلغ ارتفاع الواحد منها الى أكثر من ٦٥ قدما ، وهذا يجعلها من نفس حجم تمثالى ممنون الموجودة فى الأقصر لأمنوفيس الثالث الضخمة ٠

والتى كانت تبلغ نفس هذا الارتفاع ، على أن اجراء أية مقارنات فى جوانب أخرى يعتبر أمرا مستحيلا لأن تمثالى ممنون الضخمة قد أصابتها عوامل تعرية وتقلبات جوية أكثر مما أصاب التماثيل فى ابو سمبل (١) ٠

ويبلغ مقاس تماثيل أبو سمبل من الكتف حتى المرفق ٥ر١٥ قدم ، أى نفس مقاس تمثالى ممنون تماما وان كان طول الكتفين لهذه التماثيل يبلغ ٢٥ قدما أى بزيادة ٥ اقدام عن تمثالى ممنون ، أما مقاس الأذن فيبلغ ٥ر٣ قدم ٠ وهو نفس مقاس أذن تمثال رمسيس الضخم المحطم فى الرمسيوم ٠

وقد انقسمت الآراء فيما يختص بالقيمة الفنية لهذه التماثيل ، فقد كان النقد القديم بطبيعة الحال واقعـا تحت التاثير العام بنوعيـة العمل الفنى ، الى حد يستبعد نقد التفاصيل ٠ وأن التقديرات التى قيمت بها نوعية التماثيل أكبر مما هو اليوم ٠

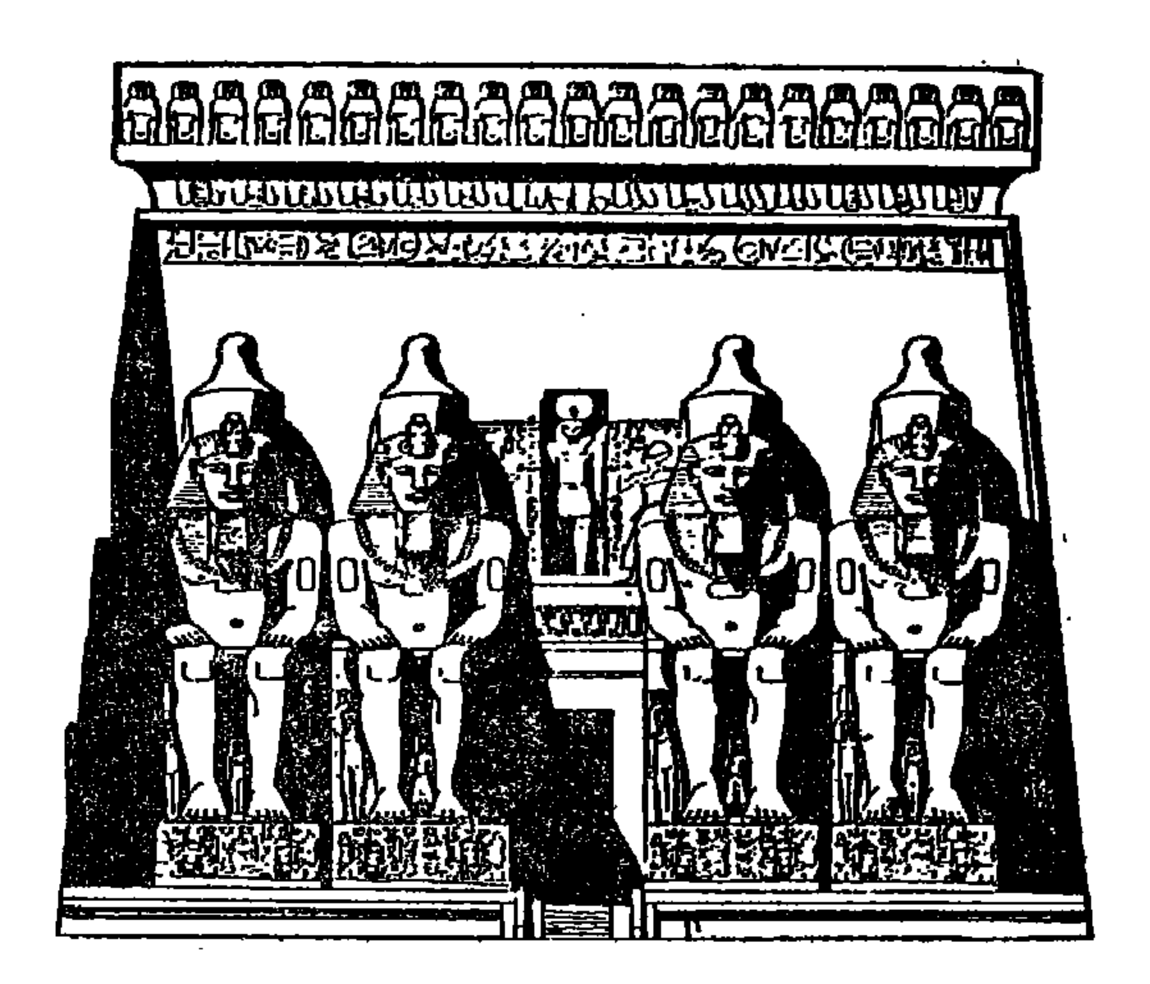
ان بعض النقاد لم يترددوا فى الحديث عن فظاعة وشناعة تمـاثيل أبو سمبل (٢) على أن هذا يعنى الحكم على التماثيل الضخمة بقسوة بالغة وتجاهل ، ناسين حقيقتين عن تكوينهما ٠

أولا : أن المادة التى صنعت بها هذه التماثيل تستبعد امكانية الرقة

---

(١) ان عمليات انقاذ معبدى ابو سمبل تعد اعظم عمل ثقافى تم فى مجال الآثار فى العصر الحديث ، بل أن نقل المعبدين ثم اعادة تركيبهما فوق هضبة أبو سمبل بدقة متناهية ، لتعتبر عملا هندسيا معماريا لم يسبق لـه مثيل ، وجدير بمعبدى أبو سمبل اللذين يعتبران درة من درر العمـارة المصرية القديمة ٠

(٢) Arts and Grafts of Ancient Egypt, p. 28.



(شكل رقم ٤٨)

(واجهة معبد أبو سمبل الكبير بتماثيله الأربعة الضخمة)

فى التقدير . ولم يكن ذلك ممكنا فى حالة الاحجار الرملية الخشنة اللهم سوى المعالجة الجريئة ، ولذلك فان المثال قد عمد فى اطار هذه القيود على الأقل الى التعبير الرائع مع الاهتمام بابراز الوجه الملكى .

وذلك الاهتمام يتجلى عن انطباع لهيبة كبيرة ، وهو الشىء الرئيسى الوحيد الذى كان يستهدفه . ان حكم سير فلندرز بيترى المستكشف لم يخطىء فى غمرة حماسه ، ولكنه ربما يكون أقرب الى الحقيقة من الاستخفاف المفرط الزائد الذى شاع أخيرا بقيمتها .

لقد عبر الوجه بصورة جيدة بالقدر الذى تسمح به عمليا مثل هذه المادة (١) وينبغى الا يغرب عن البال أن هذه المجموعات الضخمة من التماثيل الملكية التى كان الهدف من صنعها أن تبقى الى الأبد أمام المعابد العظيمة .

ولم تكن تعتبر بمثابة صورا شخصية للملك بالمعنى الدقيق ، بقدر ما كانت أجزاء من مشروع معمارى وهندسى رفيع . انه لضرب من الغباء أن ينظر اليها فى اطار التهذيب أو التنقية من حيث التصور والتنفيذ .

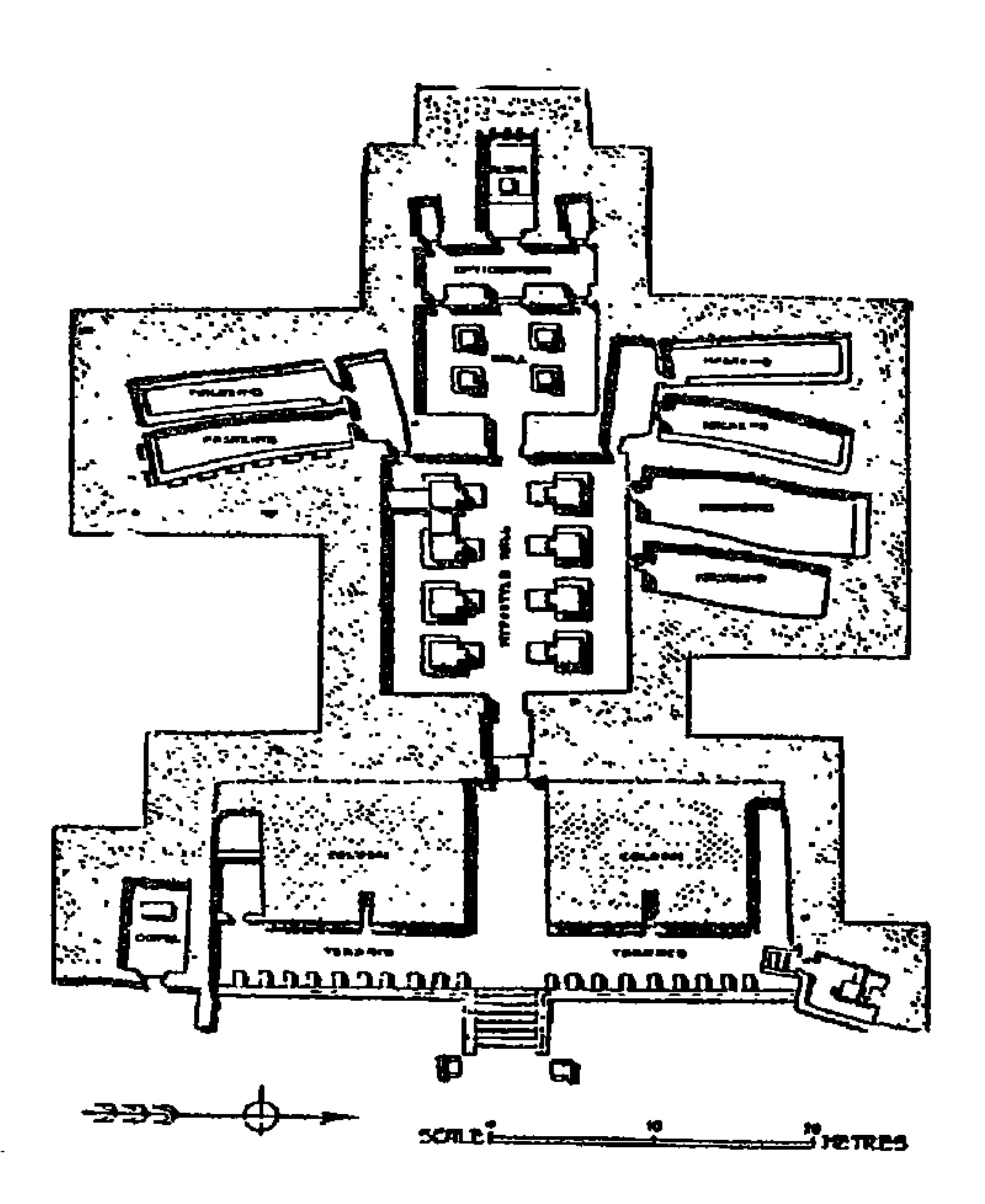
فاذا كانت قد شغلت مكانها بصورة مناسبة فى واجهة المعبد وأوحت الى المشاهد انطباعا عن قدرة ومركز الفرعون الطاغى الذى أمر بصنعها — فان كلا من الفنان والفرعون سيشعران بالرضا والارتياح .

أما وان التماثيل الضخمة فى ابو سمبل تعطى انطباعا من هذا القبيل رغم عيوبها وفجاجتها التى لا شك فيها ، لذلك يحق لنا ان نعتبرها قد حققت الغرض الذى من أجله قد صنعت واقيمت من أجله .

اننا لا نستطيع أن نطلب أكثر من ذلك وخصوصا عندما يكون النقد قد استنفذ اغراضه فى تناول عيوبها فان ثمة حقيقة باقية وهى أن هذه التماثيل العملاقة الأربعة التى تطل كما كانت تطل منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة على النهر المشرق .

---

(١) Hall, Anciest of the Near East p. 163.



(شكل رقم ٤٩)

(رسم تصميمى لمعبد « أبو سمبل » الكبير)

وعن الأجيال العابرة من الناس فهى تمثل واحدة من اعظم المناظر واروعها التى تشاهد بين جميع العجائب التى يزخر بها وادى النيل .

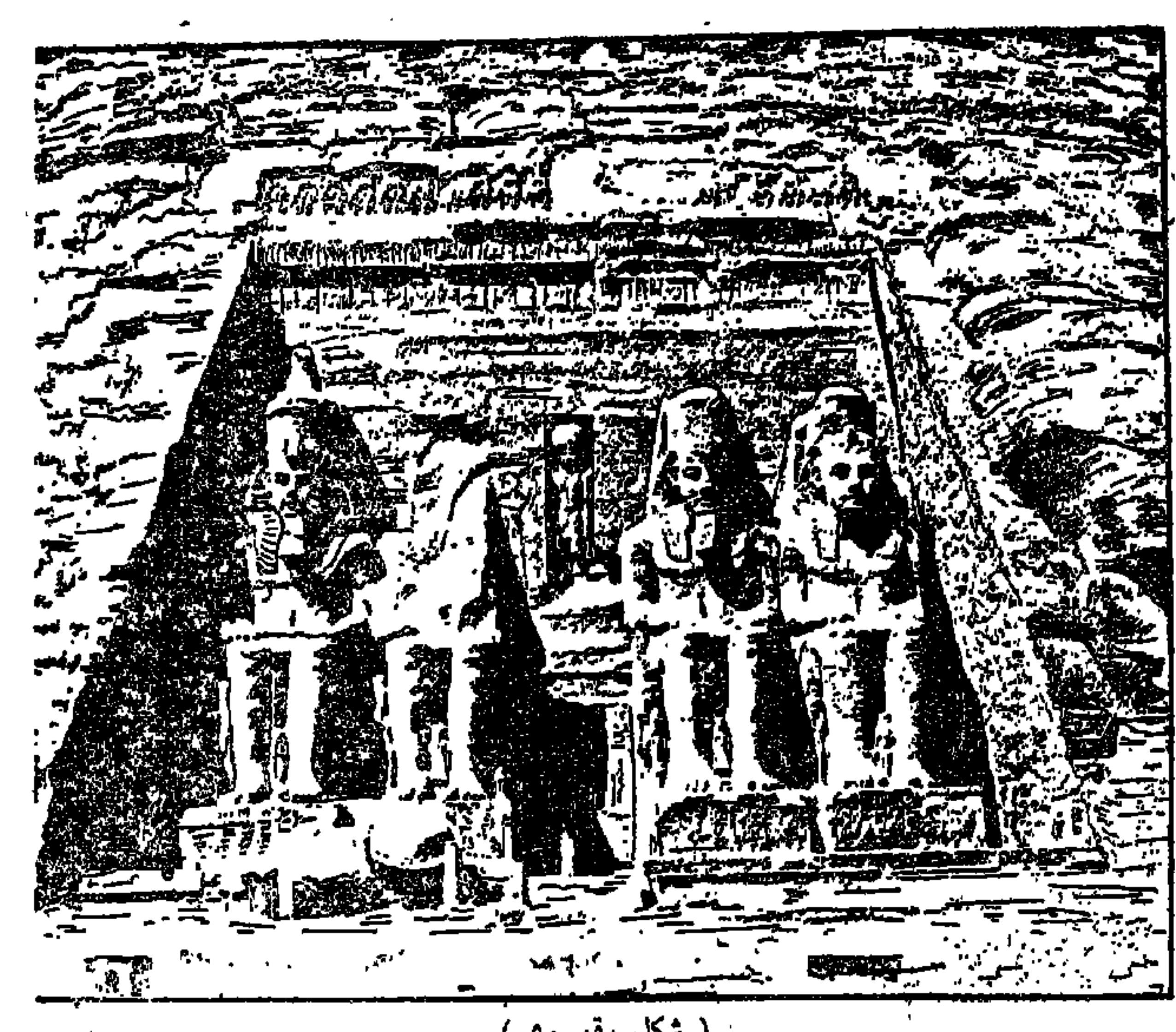
وتبرز ظهور التماثيل من صخرة الواجهة الضخمة التى ترتفع ٢٠ قدما أو أكثر فوق عقدة عنـد قمة التاج المزدوج الموضوع على رأس التمثال الضخم الأول ، وتنتهى عند القمة بكورنيش مزخرف بحليات معمارية تحمل خراطيش رمسيس محاطا بالأفاعى ورسمين منقوشين لآمون وحار آخت ، ونقش آخر تحت هذا التكريس لنفس هذه الآلهة .

وهناك فوق الكورنيش صف لأكثر من عشرين تمثالا من القرود المقدسة لها رؤوس كلاب ، واقفة على أقدامها ورافعة أيديها الى أعلى محيية للشمس عند شروقها من بين قمم الجبال العالية الممتدة على الشاطىء الشرقى للنيل .

وتقبع القدرة على طول الجزء الأعلى من المعبد حيث تضطلع بوظيفتها « كمراقبة للفجر » عند شروقه ، وهناك عند زوج التمثالين الضخمين الشمالى والجنوبى تنفتح البوابة العظيمة للمعبد الضخم .

وتوجد حول وفوق البوابة الخراطيش الملكية وصـور آلهة مختلفـة ومناظر لرمسيس يرقص أمام آمون - رع ، موت ، وحور آختى وزوجته « ورت - حكاو » الممثلة برأس أسد ، وفى أعلى البوابة فجوة تضم امتزاجا عجيبا من التقوى والكبرياء .

فالتمثال الذى يتحكم فى الفجوة هو تمثال رع حور آختى الممثل برأس صقر والمتوج بقرص الشمس ، ولكن على أحد جانبيه الصولجان أوسر برأس ابن آوى ، وعلى الجانب الآخر رمز ماعت ، فاذا أخذ نازع حور آختى كممثل لرع تصبح المجموعة الكلية عندئذ تمثيلا للاسم الشخصى لرمسيس ونعنى به أوسر - ماعت - رع - رمسيس وهو بالتأكيد الملك الوحيد الذى يستطيع أن يجعل تقواه وكبرياؤه يسيران معا بهذا الأسلوب ، وعـلى جانبى الفجوة مناظر للملك يقدم للتمثال الممثل لغروره المحكم .



(شكل رقم ٥٠)

(منظر آخر لواجهة معبد أبو سمبل في عهد رمسيس الثاني منحوتا فى الصخر)

ويتجمع حول وبين سيقان التماثيل كالعادة أفراد الأسرة المـالكة ، فهناك على جانبى التمثال العملاق الأول (الى اقصى الجنوب) تماثيل للأميرة نب تاوى والأميرة بانت - عنت - وأميرة - أخرى غير معروفة ٠

وعلى جانبى التمثال الضخم الثانى الملكة تووى أم الملك ٠ وزوجـة الملك نفرتارى وابنه الأمير آمون - حر - خبشف ، وعند التمثال الثـالث الملكة نفرتارى مكررة شخوصها مرتين والأمير رمسيس ، وعـلى جـوانب عرشى التمثالين العملاقين الأوسطين القريبين من البوابة رسـومات بارزة لآلهة النيل تضع شعارى مصر السفلى والعليا ٠ (البردى واللوتس) وحولهم شعار الوحدة ٠

بينما يوجد فوق الشعار خرطوش لرمسيس وتحته رسومات بـارزة لصف من الأسرى الزنوج (الجنوب) والأسرى الآسيويين (الشمال) ٠

ان مخطوط أركون وبيليكوس اليونانى الذى تقدم ذكره ، ليس سوى مخطوط واحد من عدد كبير من المخطوطات المنحوتة والمسجلة على التمثالين العملاقين الجنوبيين فى ابو سمبل (١) ٠

---

(١) هدفت المرحلة الأولى فى عمليات انقاذ معابد أبو سمبل الى اقامة سد واق من الركام الصخرى حول المعبدين يتوسطه حواجز حديدية ، ويمتد هذا السد حول المعبدين لحماية أعمال الانقاذ الجارية فيها ، وقد انتهى بناء هذا السد قبل أن تعلو مياه بحيرة ناصر سنة ١٩٦٥ ووصل الى ارتفاع ١٣٣ مترا فوق سطح البحر ، وفى أثناء ذلك كانت ثمة عمليات أربع يجرى تنفيذها : الأولى تركيب سقالات صلب داخل كل معبد لحماية الجـدران والأسقف والأعمدة من أى خطر اثناء عمليات ازالة الصخور من فوق أسقف المعبدين ، والثانية ترمى الى ردم واجهتى المعبدين بالرمال لحمايتها من تساقط هذه الصخور ، ثم انشاء نفق اتصال يسمح بدخول كل معبـد ، وكانت العملية الثالثة تتصل بتقوية صخور المعبدين وتثبيت النقوش عليهما ولصق اقمشة فوق خطوط القطع حتى لا تنكسر الحواف - والعملية الرابعة تتصل بازالة الصخور نفسها من فوق كل معبد من حول الجدران ٠ المترجم ٠



(شكل رقم ٥١)

(أحد التماثيل الضخمة فى واجهة معبد أبو سمبل للملك رمسيس الثانى)

ثم نترك ملامح المعبد الاضافية بما فى ذلك المقصورتين والشــواهد واللوحات لاعتبارات خاصة حتى ننتهى من وصف المعبد من الداخل وغرفه الداخلية ٠

بعد أن نمر عبر البوابة العظيمة التى تتوسط الواجهة ، نجد أنفسنا نعبر الصالات الداخلية للمعبد حتى نصل الى صالة الأعمدة الكبيرة حيث يبلغ عرض هذه الصالة ٥٤ قدما بعمق ٥٨ قدما ٠

ويفصل صحن هذه الصالة عن جناحيها الى صفين من الأعمدة المربعة شكلت جوانبها المطلة على الردهة على هيئة صفين من التماثيل الضخمة الأوزورية التى تمثل الملك ٠

ويشاهد الملك على الصف الشمالى لابسا التاج المزدوج بينما يضــع على رأسه فى الصف الجنوبى التاج الأبيض لمصر العليا ، ويبلغ ارتفــاع هذه التماثيل حوالى ٣٠٫ قدما محفوظة فى حالة جيدة تدعو الى الدهشة والاعجاب ٠

ومن بين هذه التماثيل ثلاث وجوه فى الصف الشمالى فى حالة جيدة ، وخاصة الأول والرابع ، ان الانطباع الذى تحدثه مشاهدة هذه التماثيل العملاقة فى مساحة محدودة نسبيا من الصالة انطباع هائل ومؤثر ، فهى ذات قيمة فنية كبيرة من حيث تصميمها وتنفيذها ٠

وما زالت الرسومات الزيتية لطيور جوارح ناشرة أجنحتها على سقف الممر الرئيسى بحالة جيدة ورائعة أمــا رســوم سقف الجناحين فهى تمثل النجوم ٠ وهناك مشاهد أخرى للملك على الأعمدة القائمة وراء التماثيل العملاقة ٠

وفى هذه المشاهد يظهر الملك واقفا أمام مختلف الآلهة منها آمون ــ رع

وحارت آخت ، وبتاح ، وحورس ، وآتوم ، وتحوت ، ومين ، وخنوم ، وساتت وأنوقيت الاهتى الشلال ، وحاتحور الاهة ابشيك ، وايزيس وغيرها من المعبودات .

وتعتبر المشاهد على الجدران ذات اهمية وحيوية لافتة للنظر ، ونبدأ بجدار المدخل على جانبى البوابة . حيث يشاهد رمسيس على الجانب الشمالى (الأيمن) وهو يضرب عددا من الأسرى الاسيويين امام الاله حار آخت الذى يسلمه السيف المقوس رمز الملكية المصرية .

ويشاهد الصقر نخبت يحلق فوق الملك ووراءه شعار « كا » رمز قرينه ويرى تحت هذا المشهد تسع من بناته العديدات يحملن الصلاصل ، وفى الركن تحت هذه النقوش البارزة ، مخطوط آخر قصير يقول ان هـذا المشهد قد نقشه مثال رمسيس « مرى — آمون » ، محبوب رع وهو بياى ابن خانوفر ، » ، وهذا مثل آخر للبيانات العادية عن شيوع تجاهل أسماء الفنانين المصريين .

ويشاهد على الجانب الجنوبى (اليسار) للبوابة ، رمسيس وهـو يضرب الأسرى أمام الاله آمون — رع وتحته ثمانية من أبنائه الكثيرين .

نتجه الآن الى الجدار الشمالى المزخرف بسلسلة من المناظر التى أصبحت مألوفة لنا بالفعل فى أبيدوس والأقصر والرمسيوم .

وقد امتلأت الجدران بمناظر مختلفة كلها تسجل مواقف حربية جريئة للملك وأهمها تلك المسجلة على الجدار الشمالى والخاصة بمعركة قادش المشهورة التى خاضها الملك رمسيس فى السنة الخامسة من حكمه وحاول غريمه ملك الحيثيين « خاتوسيلا » أن يغرر به ويوقعه فى كمين ، لولا يقظته وشجاعته الخارقة فاستبدل الهزيمة المنكرة نصرا مبينا .

ونشاهد بعد ذلك بين البابين المؤديين الى الغرفة الأولى والثانية الجانبين منظر نصب المعسكر المصرى وراء سور واقى حيث يخلد الجنود للراحة والاسترخاء بينما يجرى اطعام الجياد فى جو عام من الهدوء الآمن (١) ٠

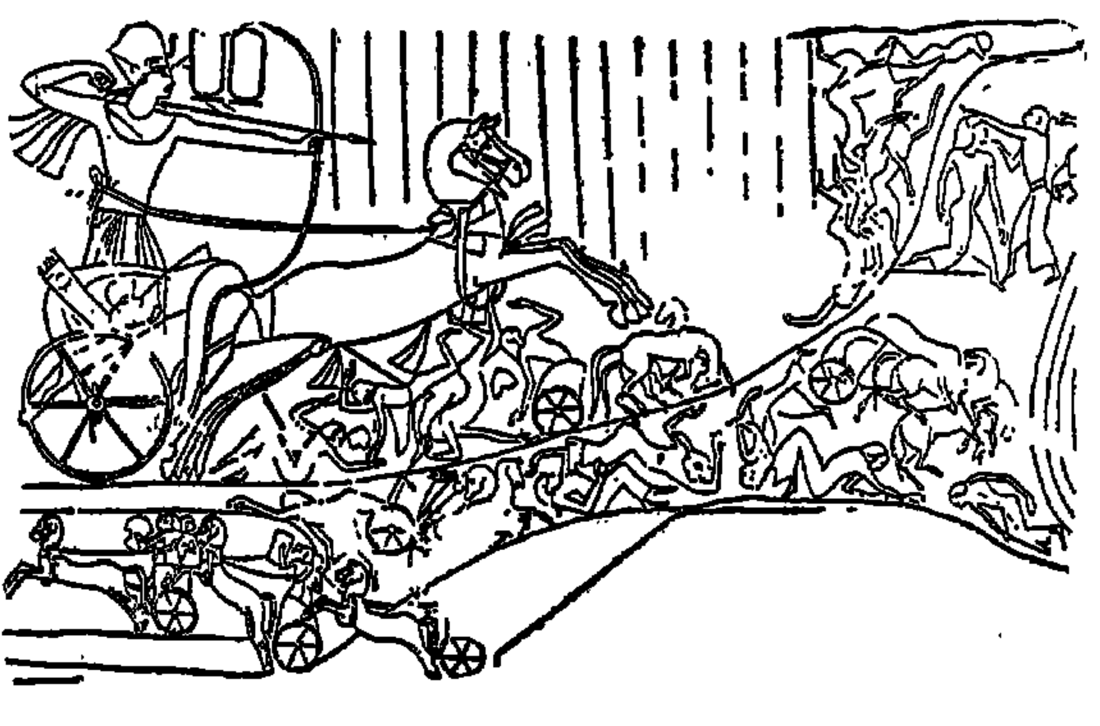
على أن هناك أسفل هذا المشهد مشهداً آخر يعتبر مفاجاة للزائر عند رؤيته لأول مرة ، فنشاهد نقوشا لجواسيس يجلدون ، وتدل المعلومات المستخلصة منهم على أن رمسيس كان على وشك أن يصاب بكارثة ٠

وهذه الكارثة تتمثل فى العدو الذى كان مفروضا أن يكون فى حلب ، وفى كمين منصوب له وراء قادش ، وعلى وشك الانقضاض عليه ، وفى منظر آخر يظهر فيه مجلس الحرب المنعقد على عجل وبسرعة ، ثم يأتى الاشتباك والصدام بين القوتين ٠

فيظهر رمسيس راكبا عجلته الحربية ومنقضا على العدو ومطوقا له من كل جانب ٠ كما تظهر الرسومات أيضا مدينة قادش بشرفاتها والنهر المحيط

---

(١) بدأت المرحلة الثانية فى عملية انقاذ معابد أبو سمبل بنشر الكتل الحجرية حسب الخطوط التى حددت لها ثم نقلها الى المواقع الجديدة ، وقد تمت هذه المرحلة فى يناير ١٩٦٦ ، حيث كان يجرى فى نفس الوقت اعداد الموقع الجديد للمعبدين فوق هضبة مرتفعة ، ولما استكمل الفك والنقل بدأت مرحلة اعادة البناء على ارتفاع حوالى ٦٤ مترا أعلى من الموقع الأصلى وفى نفس الاتجاه القديم للمعبدين وتم انجاز هذه العملية فى نهاية العام نفسه ، ثم كانت هناك مرحلة أخرى هامة وهى بناء التلال الصخرية فوق كل معبد حتى يأخذ المعبدان شكلهما القديم ، وذلك ببناء قبة خرسانية فوق كل معبد ، وحملت كل قبة ركاما صخريا بالقدر الذى أعطى للمبعدين الرونق والشكل القديم ، كما تمت عملية ملىء الفراغات بين الكتل حتى ليصعب على العين أن تلحظ أن ثمة أحجاراً قد نقلت أو ركبت ، وهكذا تم انجاز ذلك العمل العظيم الضخم فى مدة أربعة سنوات ٠ المترجم ٠



(شكل رقم ٥٢)

(منظر على جدار داخلى بمعبد أبو سمبل الكبير يمثل جزءا من معركة)
(قادش بعد ما ضلل رمسيس الثانى بانباء زائفة فكان أن عزلته مركبات)
(العدو عن قواته ، ولكنه أستطاع وحده أن يلحق الهزيمة بأعدائه ،)
(فسقط محاربوهم وقتلت جيادهم)

بها وتقهقر الحيثيين ، وقيام الحامية بمراقبة مصير القتال وسير المعركة من الشرفات ٠

كما يرى انقضاض رمسيس فى الصف الاعلى ، وبعد ذلك نرى رمسيس مع ضباطه وهم يحصون آكواما من أيدى القتلى المبتورة ويسوقون بقيتهم أمامهم ٠

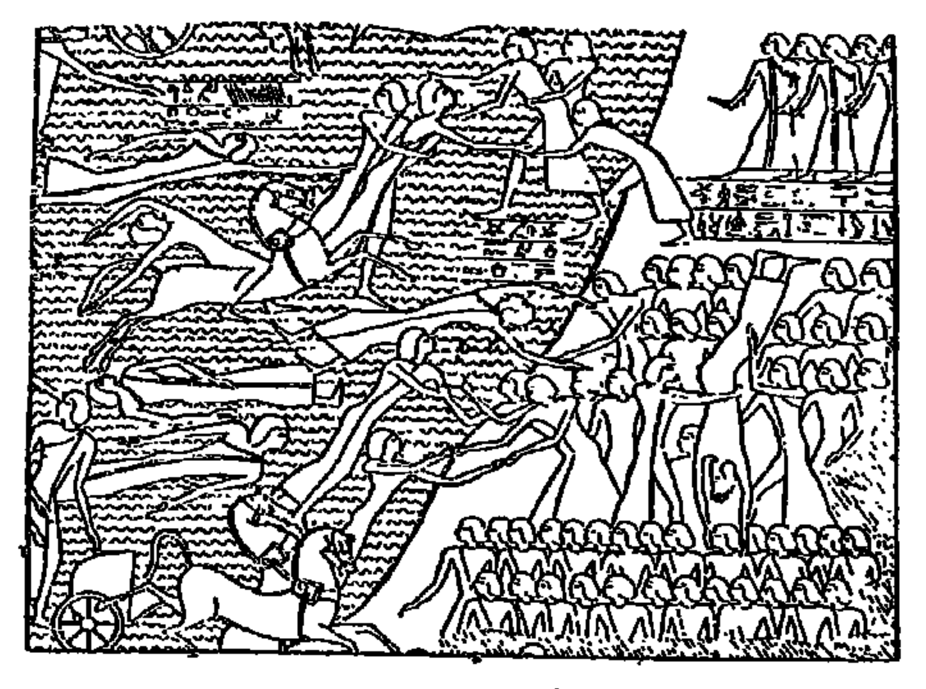
نأتى بعد ذلك الى الجدار الخلفى (الغربى) ، حيث نشاهد عند الطرف الشمالى (الأيمن) للجدار ، الملك وهو يقود الأسرى الى الاله حار - آخت والاله أورت - حكاو ، وذاته المقدسة ٠

كما نرى خلف الباب المؤدى الى الغرفة التالية الملك أيضا وهو يقود شرذمة أخرى من الأسرى أمام آمون والاله موت وذاته المقدسة ، وتتألف المجموعة الشمالية من الأسرى الحيثيين والمجموعة الجنوبية من الأسرى الزنوج وعلى جانبى البوابة فى الجدار الخلفى ، نشاهد رمسيس أمام الاله بتاح ، وحار - آخت ، وآمون ، ومين : بينما يظهر فوق الباب وهو يرقص أمام آمون - رع وموت وحار - آخت ، وأورت - حكاو ٠

واذا تركنا الجدار الخلفى واتجهنا الى الجدار الجنوبى نشاهد بين التمثالين الثالث والرابع فى الجانب الجنوبى ٠ لوحة مؤرخة فى السنة الخامسة والثلاثين من حكم الملك وتسجل فى اسهاب كيف أن رمسيس قد أقام معبد فى ممفيس تخليدا للاله بتاح ، وقدم له الهدايا والعطايا ٠

وقد ملىء الصف الأعلى للجدار الجنوبى بمشاهد مختلفة من النوع الدينى الرسمى والتى تظهر رمسيس أمام الاله متيف الممثل برأس كبش والالهة ورث هيكيو الممثلة برأس أسد ؛

ثم وهو يقدم عطايا من الحبوب الى الاله آمون ، ويحرق البخور أمام



(شكل رقم ٥٣)

(منظر من مناظر النقوش البارزة لمعركة قادش على جدار معبد ابو سمبل)
(يشاهد فيه الآسيويين هاربين نحو النهر واخوانهم على الجهة اليسرى)
(ينتشلونهم منه ويرى أيضا ملك حلب مقلوبا ورأسه الى أسفل بواسطة جنده)
(لاخراج المياه من جوفه)

الاله بتاح ، هذا وتقوم سافخت بتسجيل سنوات عمره ، وهو راكع تحت الشجرة المقدسة برفقة تحوت وحار آخت .

وأخيراً يشاهد متعبدا أمام آمون الذى تخرج من عرشه أفعى هائلة ، اما السجل الأسفل فنرى مشاهد اكثر جمالا ومتعة ، حيث نجد ثلاثة مناظر للمعركة - نرى فيها الملك واقفا فى عربته الحربية ، أولا وهو يطلق سهامه ضد قلعة عالية على تل مرتفع .

ويشاهد بعض القتلى يتساقطون من على الاسوار بينما يتوسل الأسرى الآخرون طلبا للرحمة ، ويرى احد الرعاة يسوق ماشيته الى مخبأ يحتمى فيه . وهناك ثلاثة من أبناء رمسيس ، وهم آمون - حر خبشف ، ورمسيس وبراجر - ونامف ، وهم يتبعون والدهم فى عرباتهم الحربية .

وهناك مخطوط آخر يشيد بشجاعة الملك (٢) وقوته ويصفه بقاهر المتمردين على مرتفعاتهم وفى وديانهم ، وفى المشهد الذى يليه نشاهد الملك وهو يطأ بقدميه عدوا واقعا على الارض ويغرس رمحه فى صدر عدو آخر .

ويذكر المخطوط الخاص بهذا المنظر كيف أن الملك حطم الاقواس التسعة ودمر الاراضى الشمالية للعدو وأجبر الزنوج على الرحيل الى الشمال ورجال الشمال الى النوبة السفلى ، وكيف انه أحضر الى المعبد غنائم واسلابا كثيرة من سوريا وريتينو .

واخيرا نشاهد منظر آخر لرمسيس وهو يدخل منتصرا على عجلته الحربية والى جانبه أسده المروض ، بينما يقود أحد الضباط صفين من الجنود الاسرى امامه ، ويتكون الصف العلوى من ، أسرى زنوج أصليين والصف السفلى من النوبيين الاقل سوادا من الزنوج .

وتروى لنا الزخارف - والنقوش الغائرة على الأعتاب أن رمسيس قد بنى هذا المعبد تقديرا لأبيه حار - آخت اله تاركنس العظيم ومن أجل والده آمون - رع رب الارباب وسيد الآلهة .

---

(١) يعد رمسيس الثانى شخصية من أروع الشخصيات فى التاريخ ، فقد عاش هذا الملك تسعة وتسعين عاما ، جلس منها على عرش مصر سبعة وستين ، وأنجب من الابناء مائة وخمسين ، وتراه فى بعض تماثيله عند الشاطىء الغربى من الاقصر (تمثالا كان ارتفاعه فى يوم من الأيام ٥٦ قدما) ، وقد حرص علماء نابليون على قياس ابعاد ذلك التمثال فقدروا طول أذنه بنصف قدم وعرض قدمه بخمس أقدام ووزنه بالف طن ، ولذلك يعتبر رمسيس الثانى صاحب شخصية خيالية عجيبة ، كما انه يعد آخر الفراعنة العظام . المترجم .



(شكل رقم ٥٤)

(منظر من جدار داخلى بمعبد ابو سمبل الكبير حيث يشاهد المركبات)
(المصرية تقل المقاتل وحامل الترس ، وكان المقاتل المصرى قبل المعركة)
(يمسك اعنة الخيل ويلهبها بسوطه فاذا التقى بالعدو تناول السهام من)
(كنانة أحكم تثبيتها فى الجانب الخارجى من مركبته ثم رمى عن قوسه)
(وكان يعقد الأعنة حول وسطه ليكون طلق اليدين فى حين كان حامل)
(القوس يحميه بترسه)

وهناك على الجدار الشمالى (إلى اليمين) من الصالة بابان ينفتحان على غرفتين جانبيتين ، الغرفة الأولى منهما نرى الجدار الغربى فقط مزينا بالمناظر والنقوش البارزة من النمط العادى تبين الملك أمام معبودات مختلفة ٠

أمـا الغرفة الثانية فانها زاخرة بالزخرفة والنقوش على جميع جوانبها بمشاهد متشابهة تبعث على الملل وللجدار الخلفى ثلاثة أبواب يؤدى الباب الأوسط منها الى صالة أعمدة ثانية أصـغر مـن الأولى ، ويؤدى البابـان الجانبيان الى مجموعتين من الغرف تتألف كل مجموعة من ثلاث حجرات ٠

وقد زينت جدران هذه الحجرات الست بكثير من المناظر الدينية المتقنة التى لا تخرج عن النمط العادى الذى يجعلها جديرة بالوصف ، اللهم سوى أن المرء قد يلاحظ من جديد ما سبق ملاحظته هنا وفى أى مكان آخر مـن أعمال رمسيس (١) ٠

وهى الرواية الطريفة والتخيل الغريب الذى يظهر به رمسيس الملك باستمرار أمام رمسيس « الاله الطيب » المرتبطة هنا على قدم المساواة مع « الآلهة العظام » وهذا يشبه تماما مـا يقال عن شخصية رجل سياسة يكون رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية فى نفس الوقت ، ويكتب رسائل ومذكرات منه كوزير للخارجية الى نفسه كرئيسا للوزراء ٠

أما صالة الأعمدة الثانية التى ندخل اليها الآن ، فهى ذات أحجام أصغر من التى تركناها للتو ، فهى بعرض ٣٦ قدما ، وعمق ٢٣ قدمـا

---

(١) مع اكتمال انقاذ معبدى أبو سمبل الذى يعد تتويجا رائعا لأعمال انقاذ آثار النوبة ، ووقفة معبدى أبو سمبل على منصتها الجديدة شاهدين على يقظة الضمير الانسانى للحفاظ على تراثه التاريخى ، وعلى قيمة التعاون الدولى حين يدور حول أنبل الأهداف الثقافية والانسانية نذكر بالتقدير رجالا ودولا قدموا للمشروع مساهمات قيمة وجهودا كبيرة مشرفة فى سبيل انقاذ ذلك الأثر الخالد للانسانية جميعا ٠ المترجم ٠

وبها اربعة اعمدة مربعة عليها نقوش ومناظر تصور الملك أمام الآلهة المختلفة أو فى عناق معها ٠

ويبين حائط المدخل رمسيس وهو يقدم القرابين الى الآلهة مين — آمون وشخصه ، وايزيس (على الجانب الشمالى من الباب) والى الاله آمون — رع ، وشخصه ، وموت (الجانب الجنوبى من الباب) ٠

وعلى الحائط الشمالى نشاهد الملك مع الملكة نفرتارى زوجته ثم وهو يقدم قرابين الى المركب المقدس المحمول على أكتاف الكهنة ، وعلى الجدار الجنوبى نشاهده مع نفرتارى وهما يقدمان القرابين الى المركب المقدس ٠

وعلى الجدار الغربى (الخلفى) يشاهد الملك أمام الاله حار — آخت (عند الطرف الشمالى) ويتعبد أمام آمون — رع (عند الطرف الجنوبى) ٠

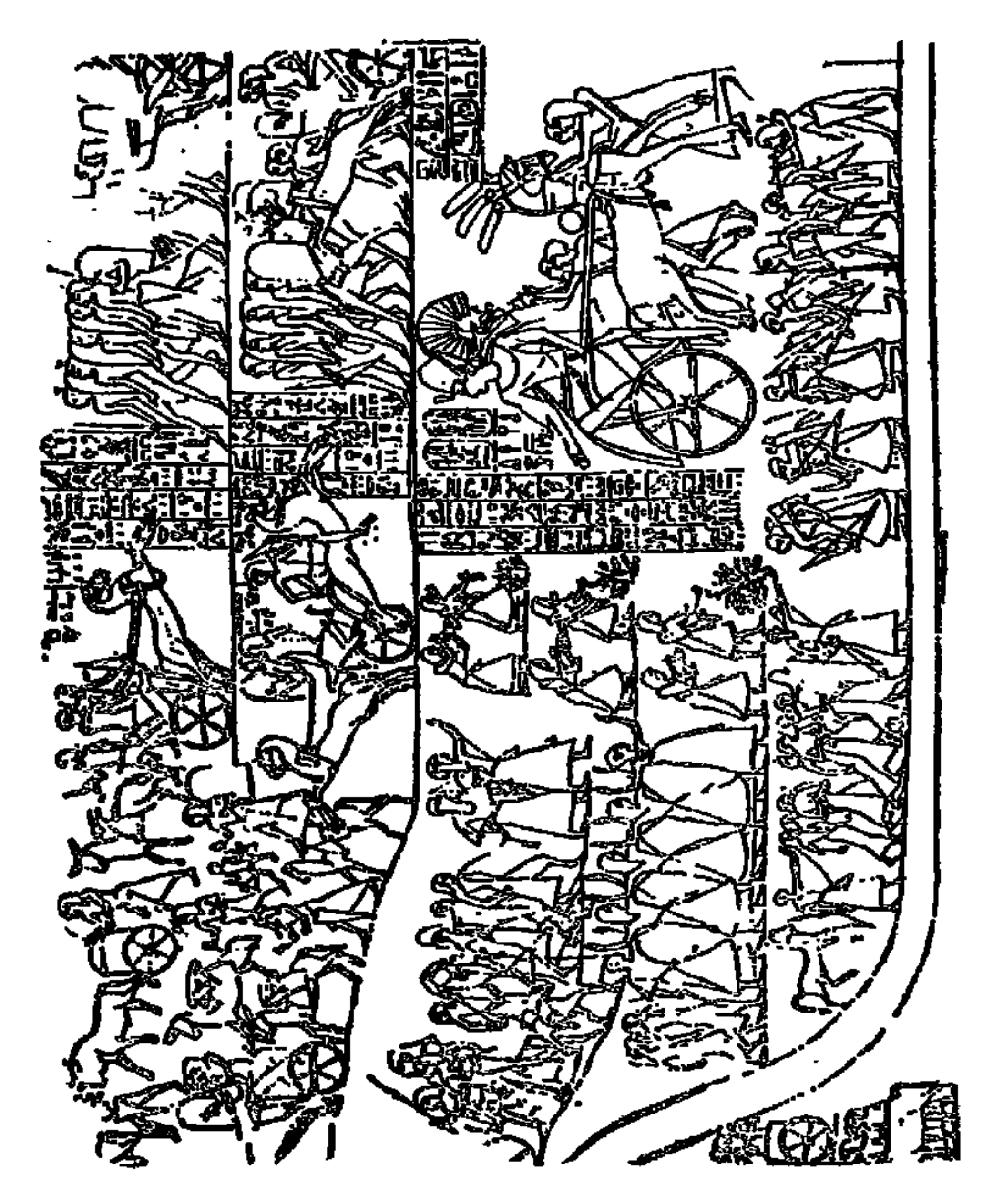
وعلى قوائم كتفى البوابة المؤدية الى الحجرة التالية ، وعلى كل من كتفى البوابة وعتبة الباب نشاهد نقوش دينية متكررة ومتشابهة ٠

والآن ندخل الى الحجرة المستعرضة أو الدهليز حيث تعتبر زخارفها ونقوشها مجرد مجموعة أخرى من الوحدات الزخرفية المتكررة فى الموضوع اللانهائى الذى يمثل الملك دائما أمام الآلهة المختلفة ، ولذلك ليس ثمة حاجة الى تناولها تفصيليا ٠

وتنفتح ثلاث أبواب فى جدارها الخلفى ، حيث يؤدى البابان الجانبيان منها الى حجرتين صغيرتين خاليتين من الزخارف أمام الباب الأوسط الذى يؤدى الى المحراب أو قدس الأقداس ٠

وفى قدس الأقداس نشاهد القاعدة المكسورة للمركب المقدسة فى وسط الأرضية وفى الحائط الخلفى نشاهد أربعة تماثيل ضخمة جالسة لآلهة المعبد وهم « بتاح » و « حار — آخت » و « آمون » ورمسيس نفسه ٠

ومن أهم المظاهر التى تميز هـذا المعبد عن غيره من معابد المصريين



(شكل رقم ٥٥)

(منظر آخر على جدار معبد أبو سمبل حيث يشهد الملك فى ميدان)
(المعركة حصر الغنائم وقد جلس فى مركبته موليا ظهره للجياد التى يرعاها)
(سائسان ، ومن خلفه خادمان يروحان عليه بمروحتين ومن أمامه صفوف)
(الأسرى ، فى حين يثبت الكتاب عدد القتلى وبلاغ النصر الذى يخلد مجد)
(الفرعون رمسيس الثانى)

القدماء دخول اشعة الشمس فى الصباح المبكر عند الشروق الى قدس الأقداس ووصولها الى التماثيل الأربعة ، فتضىء هذا المكان العميق فى الصخر داخل المعبد والذى يبعد عن المدخل بحوالى ستين مترا ٠

وبحيث تصبح هذه التماثيل مؤثرة وممتلئة قوة بهالة جميلة من الهيبة والوقار عند شروق الشمس وسقوط أشعتها عليها ، فان أى مشاهد اذا لم يراقب سقوط اشعة الشمس هذه يساوره شك فى اثرها القوى المحسوب بدقة حسب علم الفلك والحساب عند قدماء المصريين حيث حسب بدقة ووجه نحو زاوية معينة حتى يتسنى سقوط هذه الأشعة على وجوه التمـــاثيل الأربعة (١) ٠

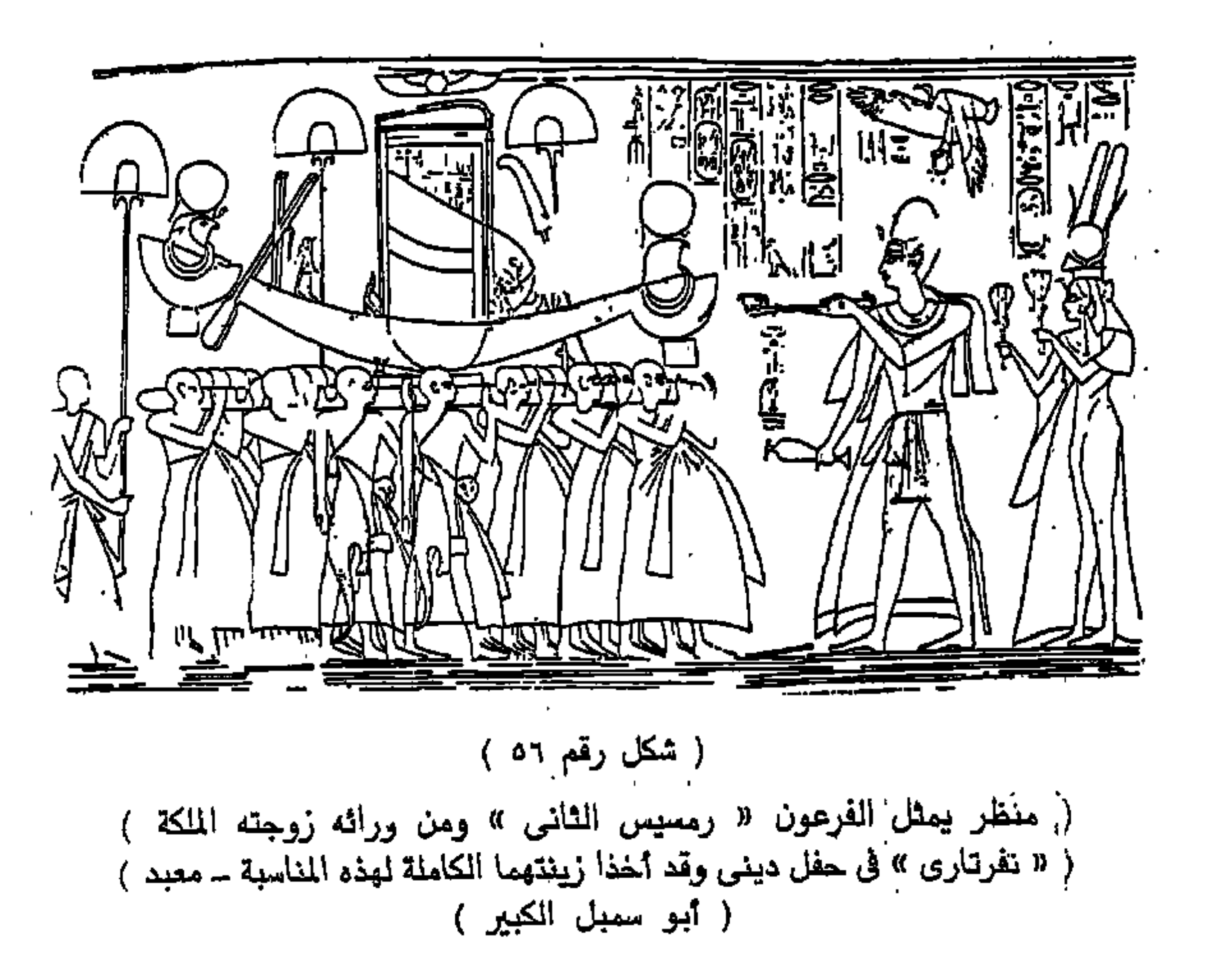
يبلغ طول المعبد العظيم من عتبة البوابة الأولى الى جدار المحراب الخلفى من قدس الأقداس ١٨٠ قدما وهو منحوت كله من صخور حية ٠

والآن نعود الى خارج المعبد (٢) الكبير ، وعلينا أن نستعرض الآثار الخارجية التى لم يرد ذكرها بعد ، فهناك على الجدار الصخرى على الجانب الأيسر من الشرفة لوحة تمثل رمسيس جالسا بين اثنين من الآلهة تحت مظلة بينما يتعبد اليه ملك الحيثيين وابنته بتقديم الولاء وطقوس العبادة لشخصه ٠

---

(١) Niss Edwards, A Thousand Miles up the Nile, p. 304, ed 1899.

(٢) سير رمسيس الثانى حملة الى بلاد النوبة ليفتح مـــا فيهـــا من مناجم الذهب ٠ وانتصر فى الحروب الآسيوية وحطم الأحلاف التى أقيمت ضد مصر فى عام ١٢٨٨ ق٠م٠ ، وكان من نتائج تلك الحملات التى قادها فى حروبه الآسيوية أن جىء الى مصر بعدد كبير من أسرى الحرب ، كما امر كملك منتصر أن تخلد انتصاراته على خمسين جدارا من جدران المعابد وقد كافأ نفسه على انتصاراته وفتوحاته وأعماله العظام تلك ببضع مئات مـن الزوجات وخلف مائة من الذكور وخمسين من الاناث كما أنه تزوج عددا من بناته حتى يورثن عظمته لأبنائهن منه ، ثم ان أبنائه واحفاده وذرياته جميعا كانوا من الكثرة بحيث تالفت منهم طبقة خاصة فى مصر بقيت على هذا الحال مدة أربعة قرون وظل حكام مصر يختارون من تلك الطبقة أكثر من مائة عام ٠ المترجم ٠



(شكل رقم ٥٦)

(منظر يمثل الفرعون « رمسيس الثانى » ومن ورائه زوجته الملكة)
(« نفرتارى » فى حفل دينى وقد أخذا زينتهما الكاملة لهذه المناسبة ـ معبد)
(أبو سمبل الكبير)

وتحت ذلك نشاهد نص لزواج الملك من الأميرة الحيثية ، وقد نفترض أن حادثة التعبد لم تحدث الا فى خيال الملك المصرى .

وعلى الجانب الغربى (الخلفى) للفجوة الواقعة بين التمثال العملاق عند اقصى الجنوب والصخرة ، نجد لوحة اخرى لرمسيس وعلى رأسه تاج تعلوه الأفاعى المقدسة ، وعليها منظر آخر له فى حضرة آمون وحار - آخت وتحته مخطوط شاعرى طويل .

وعلى الجانب الأيسر من الفجوة نشاهد المقبرة المنفردة للميجور قدزويل الذى وافته المنية اثناء حملة النيل عام ١٨٨٤ ، لقد خبأ القدر لهذا الجندى الانجليزى مصيرا غريبا فى كونه راقدا وسط هذه الآثار الرائعة التى تحيط بها هالة من الهيبة والروعة .

وعلى الجدار الخلفى للفجوة المقابلة على الشمال نجد لوحة اخرى تصور رمسيس فى حضرة حار - آخت ، بينما يوجد على الجدار الشمالى الواقع على يسار البوابة المؤدية الى المقصورة المكشوفة لرع - حار - آخت ، مخطوط للاله سيبتاح مع صور له تمثله وهو يقدم القرابين لكل من آمون ، وموت ، وحار - آخت .

وقد اكتشف مسيو باراسانتى هذه المقصورة المكشوفة المخصصة لعبادة اله الشمس اثناء اعمال الترميم التى كان يجريها فى أبو سمبل عام ١٩١٠ ، وهذه المقصورة جزء منها منحوت فى الصخر وجزء آخر قد جرى بناؤه .

وهى تقع على الجانب الشمالى من المعبد الكبير وقد تـوج جدارهـا الشرقى على شكل برجين بحيث أصبح شكلها كالصرح ويمكن الوصول اليها من الباب الجنوبى بواسطة باب مفتوح من شرفة المعبد الكبير .

وهذا الباب قد زين بأفاريز ذات حليات معمارية مقعرة وقرص الشمس



(شكل رقم ٥٧)

(منظر من رسم قديم محفور على جدار داخلى من معبد أبو سمبل تمثل)
(الملك رمسيس الثانى عند زواجه من أميرة حبشية)

المجنح وخراطيش لرمسيس الثانى (١) ، بينما توجد على الجدران الخارجية مشاهد مشوهة وبالغة التلف تظهر الملك فى حضرة الآلهة آمون ، وحار – آخت وغيرهما من الآلهة ، وهناك مذبحان داخل المقصورة .

أحدهما الواقع الى الجنوب له سلم للصعود اليه وافريز ذو حليات معمارية عليه أربعة قرود أفريقية لها رؤوس كلاب وهى تصلى وراقدة على هذا الافريز مع مسلتين صغيرتين عند زاويتى واجهته الشرقية .

بينما وجد فى المذبح الشمالى عند كشفه ناووس يضم تمثالى للآلهة خبرى وتحوت فى شكل جعران وقرد افريقى وقد نقلت هذه الآثار الى متحف القاهرة مع المسلتين الصغيرتين اللتين تقدم ذكرهما (رقم ٨٢٨ الطبقة السفلى صالة ١٤ – الى الشمال – بالمتحف المصرى) .

وفى الموقع المقابل فى الجانب الجنوبى لواجهة المعبد ، توجد مقصورة صغيرة اكتشفتها سنة ١٨٧٤ الآنسة اميليا ادواردز المستكشفة والفريق المرافق لها فى رحلة على النيل التى أسفرت عن كتاب رائع للآنسة ادواردز تحت عنوان «A Thousand Miles up the Nile» (الف ميل فوق النيل) ولقد عرضت المؤلفة فى هذا الكتاب وصفا لطيفا لكشف وجه هذه الصورة الصغيرة .

وكذلك المحاولة التى قامت بها هى وفريقها لاعادة وجه التمثال العملاق فى أقصى الشمال الى لونه الطبيعى الذى فقده منذ أن أخذ عنه مستر هاى (Hay) القالب الكبير الموجود حاليا فى المتحف البريطانى

---

(١) كان رمسيس الثانى مسرفا جدا فى أعمال البناء والمعمار اسرافا كان من نتائجه أن نصف ما بقى الى اليوم من عمائر الفراعنة يعزى الى أيام حكمه . فهو الذى أتم بناء البهو الرئيسى فى الكرنك ، وأضاف أبنيـة جديدة الى معبد الأقصر ، وشاد ضريحه المعروف بالرمسيوم فى غرب النهر عنـد الأقصر ، كما أتم معبد أبو سمبل المحفور كمغارة هائلة فى صخر الحجر الرملى النوبى الصلد ، كما نثر تماثيل له مختلفة الاحجام والمادة على طول البلاد وعرضها وأسلم الروح فى عام ١٢٢٥ قبل الميلاد فى التاسعة والتسعين من عمره بعد عهد يعد من أشهر العهود فى التاريخ . المترجم .

كان االون الرئيسى فى عملية التجديد هو اللون البنى لاعادة لون التمثال الى جماله الاصلى ولكن التمثال ارتد الى لونه الطبيعى الذى فقده مرة أخرى ولم تؤثر فيه الالوان الجديدة ٠

كانت المقصورة الصغيرة على ما يبدو قديما دارا للولادة ، وهى تتألف من صالة خارجية يبلغ طولها ٢٥ قدما وعرضها ٢ر٥ قدم وجدرانها مبنية من الطوب اللبن ، وبها محراب منحوت فى الصخر يبلغ عرضه ٢١ قدما وبوصتين ونصف البوصة وعمقه ١٤ قدما وثمانى بوصات ٠

والمحراب قد زين بزخارف معمارية بارزة جيدة التنفيذ ذات الوان جميلة ، وتظهر النقوش على جانبى جدار المدخل الملك وهو يدخل الى المعبد ، كما يظهر الجدار الشمالى (الأيمن) الملك ومعه قرينه « كـا » ثم وهو يقدم القرابين لمركب رع – حار – آخت أما الجدار الأيسر (الجنوبى) فيظهر رمسيس وزوجته وهو يقدم كذلك القرابين للمركب المقدس للاله تحوت ٠

أما الجدار الخلفى فيظهر الملك (١) وهو يقدم خرطوشة الى آمون – رع ويقدم الماء المقدس الى الاله رع – وحار آخت ٠

---

(١) عندما مات رمسيس الثانى العظيم حزنت عليه زوجته نفرتارى (جميلة الجميلات) حزنا شديداً وكذلك جميع زوجاته وأبناءه وشعبه ، فهو الفرعون القوى المنتصر دائما وبسرعة احتشد ١٥٠ ولدا وبنتا من حول جثمانه واختاروا ابنه الثالث عشر مرن – بتاح لأنه أذكاهم ، وبسرعة البرق تلتف حوله الحاشية ٠٠ لقد مات فرعون فليحيى فرعون الجديد ، وجاءت فرقة المحنطين من المعبد وبدأت عملية تحنيط الجثة فى وقت استغرق سبعين يوما ، ثم دفنوه مع كل المهابة بعد أن عبروا به النهر الى الغرب ٠٠ فى وادى الملوك ٠ واليوم ترقد مومياء رمسيس الثانى مع مومياء ٢٧ ملكا من فراعنة مصر وملكاتها فى حجرة واحدة فى الدور الثانى من المتحف المصرى ٠ المترجم ٠



(شكل رقم ٥٨)
(رمسيس الثاني يقتل عدوا آسيويا أمام الاله آتوم)

« معبد أبو سمبل الصغير »

وعلى مسافة قصيرة شمال المعبد الكبير يقع معبد ابو سمبل الصغير حيث يفصل بين المعبدين واد ضيق من الرمال وهذا المعبد من اعمال رمسيس الثانى أيضا وقد خصص لعبادة الالهة المحلية للمنطقة « حاتحور » سيدة ابشك او لعبادة الملكة نفرتارى زوجة رمسيس الثانى ٠ الذى شيد هذا المعبد من أجلها ٠

وهذا المعبد مقدس بالنسبة للالهة حاتحور الهة ابشيك ، وحجمه أقل بكثير من حجم المعبد الكبير ، اذ ان عرض واجهته ٩٢ قدما فقط وارتفاعها ٣٩ قدما ولكن بالرغم من ذلك فهو قطعة رائعة من الفن ٠

واذا لم يكن المعبد (١) الكبير موجودا لاعتبر معبد أبو سمبل الصغير اعجوبة من عجائب الزمان – ومع ذلك لا يمكن التقليل من أهميته وشانه ٠

فهناك على كل جانب من جانبى البوابة فى وسط الواجهة نشاهد ثلاثة تماثيل عملاقة اثنان منها لرمسيس نفسه والثالث لزوجته المفضلة نفرتارى (ثلاثة تماثيل على الجهة اليمنى ، وثلاثة تماثيل اخرى على الجهة اليسرى) ٠

---

(١) فى الساعة السادسة وخمس وعشرين دقيقة فى يوم ٢٢ فبراير بالضبط من كل عام يتسلل شعاع الشمس فى نعومة ورقة كانه الوحى يهبط فوق وجه الملك رمسيس ويعانقه ويقبله ٠٠ فيض من نور يملأ قسمات وجه الفرعون داخل حجرته فى قدس الأقداس فى قلب المعبد المهيب ٠٠ احساس بالرهبة والخوف ٠٠ رعشة خفيفة تهز القلب ٠٠ كان الشعاع قد امسك بك وهزك من اعماقك بقوة سحرية غامرة ٠٠ أى سحر وأى غموض يهز كيانك وانت تعيش لحظات حدوث تلك المعجزة ٠٠ ثم يتكاثر شعاع الشمس بسرعة مكونا حزمة من الضوء تضىء وجوه التماثيل الأربعة داخل قدس الأقداس وهى تماثيل حور – آختى اله منف وبتاح اله طيبة ورمسيس الثانى نفسه مع الاله آمون رع اله الشمس ٠ اليس غريبا حقا الا تتغير حسابات الكهان والمهندسين والفنانين ورجال الفلك المصريين عبر مشوار من الزمن طوله أكثر من ٣ آلاف سنة لتحتفل بعيد ميلاد الفرعون العظيم وعيد ميلاد جلوسه ٠٠ المترجم ٠

وحيث تظهر نفرتارى فى هذا المعبد فى صورتهـا المؤلهة مثلهـا مثل رمسيس نفسه فى المعبد الكبير ٠

ويبلغ ارتفاع كل من هذه التماثيل الضخمة مع تيجانها وريشها حوالى ٣٨ قدما ، ويفصل بينهما اكتاف ضخمة من الصخر تحمل الخراطيش الملكية ٠ كما يقف الى جانب كل تمثال بعض أبناء وبنات الملك ٠ وبجانب الملكة اميرتان تقفان الى جوارها هما مريت — آمون ، حنت — تاوى ٠

أما تمثالا الملك الضخمان فيوجد بقربهما الأميران أمن — جر — خبشف ، وبرا — حر — أوناميف ، بينما يقف بجوار التمثالين الخارجيين الأميران مرى — آتوم ، ومرى — رع ٠ وتبلغنا الخرطوشة المنقوشة على الكتف الأول الواقعة على الجانب الشمالى للبوابة ما يلى :

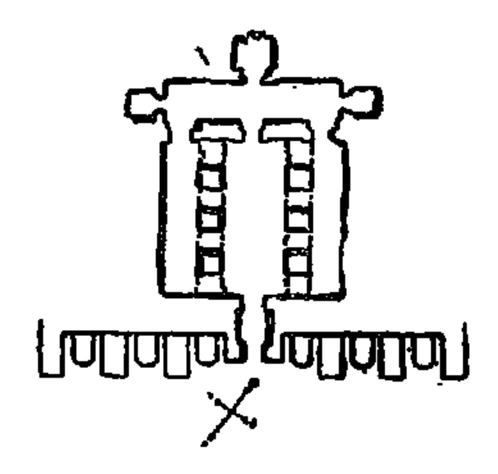
« أن الملك قد اقام هذا المعبد على شكل حفر فى التل كعمل خالد فى ارض التاكينز » ٠

وتكرر الخرطوشة الصخرية الأخرى المنقوشة على الكتف الثالث فى نفس الجانب هذا النص أيضا مع اضافة طفيفة وهى انه لم يفكر أى مصرى حقيقى على اغفالها من المخطوط لأى عمل قام به — « لم يحدث صنع أى عمل مثله من قبل » ٠

وعلى سمكى البوابة عند جوانبها نشاهد الملك أمام حاتحور الهة ابشيك (الجنوب) ، والملكة أمام ايزيس (الشمال) ٠

ندخل بعد ذلك الى صالة الأعمدة التى تضم ستة أعمـدة مزخرفـة ومنقوشة من الامام بنقوش تمثل صلاصل موسيقية تحمل رؤوسا حاتحورية بينما تظهر الجوانب الأخرى الملك والملكة ومعبودات متعددة ٠

وعلى حائط المدخل عند الجانب الأيمن ، نشاهد الملك وهو يضرب أسيرا ليبيا امام الاله حار — آخت ، وعلى الجانب الأيسر ، يضرب أسيرا زنجيا أمام الاله آمون — رع ٠



(شكل رقم ٥٩)

(رسم تصميمى لمعبد ابو سمبل الصغير)

وعلى الحائط الشمالى (الأيمن) يقف الملك أمام الاله بتاح ويتعبد أمام الاله - حاتحور - آبشف اله هيرا كليوبوليس (اهناسيا) بينما تقف الملكة أمام حاتحور ويصب الملك الماء المقدس أمام حار - آخت ٠

وعلى الحائط الجنوبى (الأيسر) يقف رمسيس أمام حاتحور - سيدة ابشيك بينما تتعبد الملكة أمام الالهة انوقيت بين سيت اله أومبوس وحورس ويصلى الملك أمام آمون - رع ٠

أما الحائط الخلفى فقد كرس باكمله للملكة ، ذلك لأن رمسيس كان يحتفظ دائما لنفسه بنصيب الأسد فى هذا المعبد مع أن المعبد هو معبدها تقريبا ، وقد فعل الملك نفس الشىء على الواجهة ، حيث يظهر مرتين مقابل مرة واحدة تظهر فيها نفرتارى ٠

ولكن الآن نشاهد جدارا كاملا للملكة بنفسها حيث تظهر على جنوبى البوابة (الى اليسار) امام حاتحور وعلى الجدار الشمالى (الى اليمين) أمام موت ٠

وهناك ثلاثة أبواب تؤدى الى صالة عرضية تحوى مناظر معمارية ليست بذات أهمية ، فعلى حائط الدخول ، عند الطرف الشمالى نشاهد الملك والملكة أمام حاتحور ، وعند الطرف الجنوبى تظهر الملكة أمام حاتحور سيدة أبشك وايزيس .

بينما تظهر خراطيش الملكة فوق الأبواب ولكى لا تختص الملكة بالنصيب الأوفى لنفسها تجرى تسوية الأمور بظهور الملك على كلا الجدارين البحرى والقبلى حيث يتعبد الى المركب المقدس التى تضم البقرة حاتحور بداخلها .

كما نشاهد باب فى كل من هذه الجدران يؤدى الى غرفة صغيرة خالية من النقش ، وعلى الحائط الخلفى عند الطرف الشمالى (الى اليمين) يظهر الملك رمسيس أمام حار - آخت ، ومنظر آخر يصور الملكة أمام خنوم وساتت وعنقت ، وعلى الطرف الجنوبى من الجدار الخلفى يظهر الملك أمام آمون رع ومنظر أصغر يمثل الملك فى حضرة ثلاثة أشكال من حورس سيد غينة وسيد كوبان وسيد بوهن .

وهناك باب آخر يحمل صور للملك مع نماذج صغيرة فى أعلاها لكل من الملك والملكة أيضا أمام حاتحور وفوقهما ، ويؤدى هذا الباب الى قدس الأقداس .

ولقدس الأقداس فى جداره الخلفى مشكاة تسندها صلاصل معمارية ذات أشكال متنوعة لآلات موسيقية عليها صورة منقوشة بارزة لوجه كامل للالهة حاتحور البقرة تحمى رمسيس تحت رأسها كأنه يتمتع بحمايتها الالهية .

بيد أن هذين التمثالين قد أصابهما تلف بالغ . وعلى الجدار الشمالى يقف الملك أمام شخصه المؤله والملكة المؤلهة .

وعلى الجدار الجنوبى تظهر الملكة نفرتارى أمام الاله موت وحاتحور ، ولكن ذلك العمل لم يستكمل فى هذا الجزء من المعبد لأن الغرض على ما يبدو كان اقامة غرفتين جانبيتين على جانبى قدس الأقداس كالمعتاد .



(شكل رقم ٦٠)
(واجهة معبد أبو سمبل الصغير ، وقد بناه رمسيس الثانى لزوجته)
(جميلة الجميلات نفرتارى بجوار معبده الكبير)

ويبين الجدار الخلفى للصالة العرضية مساحات خالية تركت لتركيب ابواب كانت ستؤدى الى هاتين الغرفتين ولكن لم تنفذ قط ٠

وهناك على الجانب الشمالى من معبد حاتحور مخطوطات عديدة ، حيث نشاهد نائب ملك اثيوبيا منحنيا أمام رمسيس الثانى (٢) حيث يقول المخطوط « انشاه نائب الملك فى كوش ، آنى ، من أهالى هيراكليوبوليس » ٠

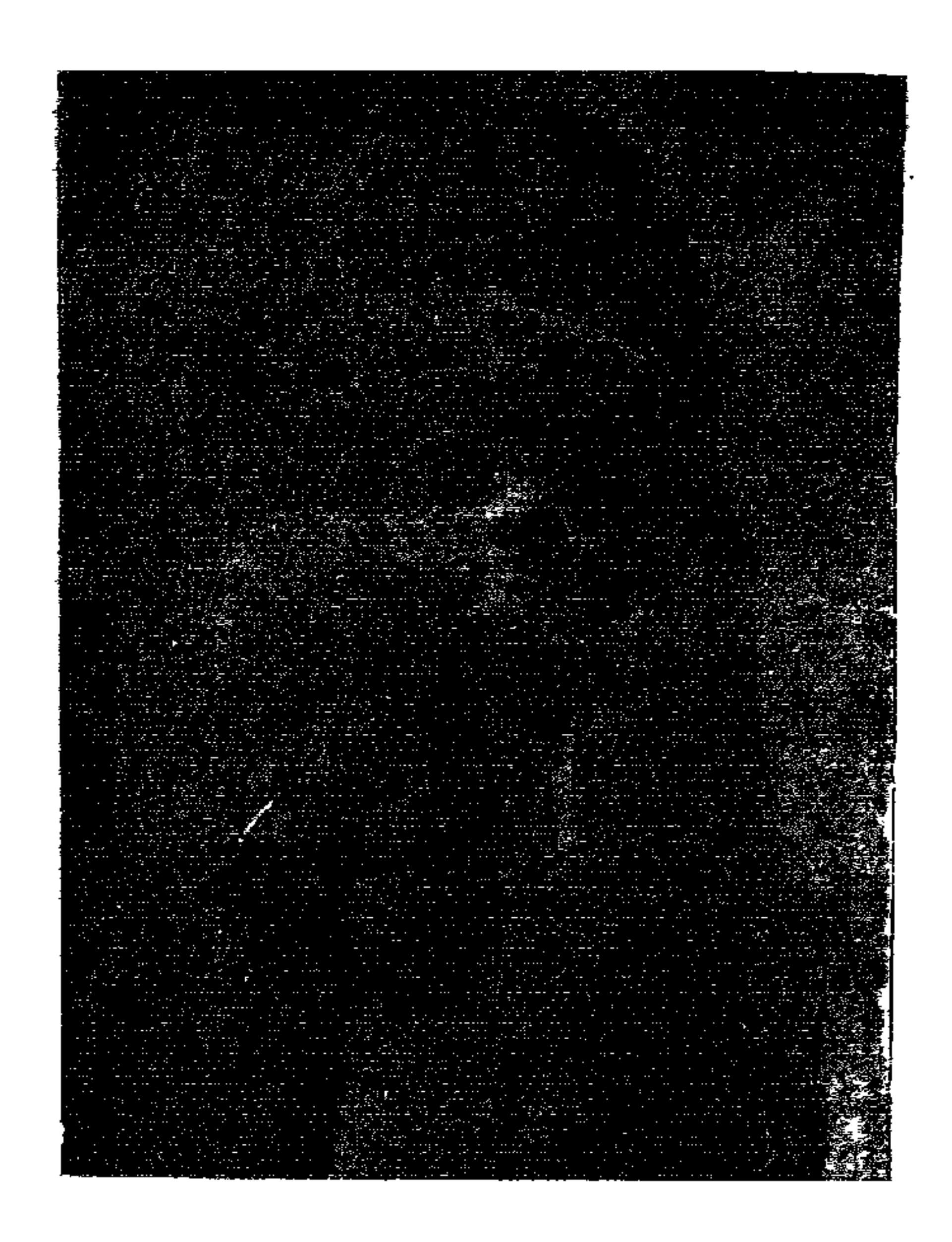
وعلى مسافة قصيرة من ذلك نعثر على لوحة يصعب الوصول اليها حيث يظهر نائبا آخر للملك الاثيوبى منحنيا ايضا أمام رمسيس ، وبعد ذلك الى الشمال توجد لوحة ثانية ثالثة تبين رجلا منحنيا أمام آمون ، ورمسيس ، وحار ــ آخت وحورس ٠

وعلى بعض الصخور باعلى الجبل نشاهد مخطوط يقول :

« انشاه كاتب المعبد ، صهر الملك ، والمشرف على الماشية ، الأمير والكاهن الأعظم ، أحموس المدعو تورو » ٠

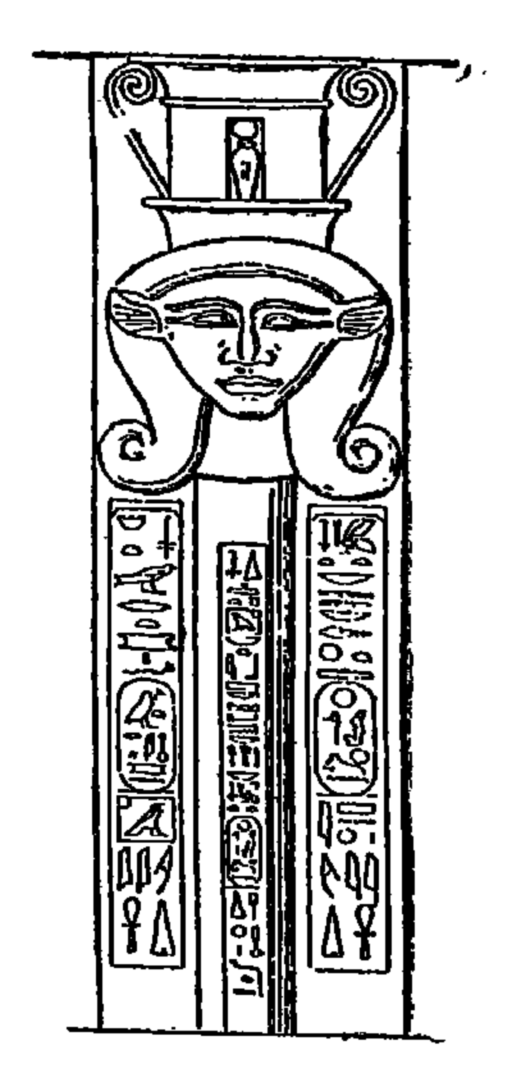
---

(١) احتفل يوم ١٥ أبريل عام ١٩٨٧ باقامة معرض للفرعون رمسيس الثانى فى مدينة ممفيس عاصمة ولاية تنسى جنوب الولايات المتحدة الأمريكية وهو التمثال الضخم للملك رمسيس الثانى الذى كان معرضا للكسر والاهمال ، وبادرت مدينة ممفيس الأمريكية المدينة الأخت لمفيس الفرعونية بالتعاون مع هيئة الآثار المصرية الى بذل الجهد لاعادة جلال الطلعة الى تمثال الملك الفرعونى الذى قامت بترميمه حتى أصبح فى صورته الأولى التى كان عليها ثم قامت بنقله الى مدينة ممفيس بالولايات المتحدة وأقامت ذلك المعرض الحضارى للتمثال ، وذلك التمثال الضخم لرمسيس يصل طوله الى ثمانية وعشرين قدما ويزن سبعة وأربعين طنا ، وقد قام بافتتاح هذا الحدث الثقافى الكبير عمدة مدينة ممفيس الأمريكية ووفد مصرى وسفير مصر فى الولايات المتحدة ٠ المترجم ٠



(شكل رقم ٦١)

(الملكة نفرتارى أو جميلة الجميلات ، وهى زوجة الفرعون رمسيس .)
(الثانى على واجهة معبد أبو سمبل الصغير)



(شكل رقم ٦٢)
(أحد الأعمدة للالهة حاتحور من معبد أبو سـمبل الصغير).

اما وان ارتباط أبو سمبل بمصر لم يبدأ بالأسرة التاسعة عشرة فهـذا أمر يقيم الدليل عليه نقوش ومخطوطات ورسومات تذكر أسماء سوبك — حتب ومنتوحتب من الدولة الوسطى ٠

وهناك على الجانب الجنوبى من المعبد الكبير نشاهد ثلاث لوحات تبين الأولى منها نائب الملك فى اثيوبيا يتعبد الى رمسيس والثانية تصور

الملك أمام الاله تحوت ، وحار - آخت ، وشبس ، أما الثالثة فانها تصور الملك والملكة أمام الاله آمون - رع ورمسيس وحار - آخت .

وهناك موظف يدعى ناختو فى أسفل اللوحة أمام الملكة ، وتوجد وراء هذه اللوحات لوحات أخرى لا يمكن رؤيتها الا من النهر فقط .

وبين قمة المعبد العظيم والمرتفع التالى ، نشاهد خليج رملى توجد به مقبرة صخرية صغيرة فيها لوحة اصابها تلف شديد حيث تظهر رسمين لشخصين أمام أوزوريس (١) .

وكلما سرنا جنوبا نجد صخورا منقوشة هنا وهناك حيث نعثر على رسومات ومخطوطات ليست لها أهمية خاصة ، ثم نتقدم بعد ذلك تاركين معبدى أبو سمبل العظيمين حيث يواجهنا على الشاطىء الشرقى معبد أبو عودة .

---

(١) نقلت اغلب هذه اللوحات والنقوش الى مواضعها الجديدة ، على أن تكون على مسافات متساوية من المعبدين كما كانت عليه قبل نقلها وذلك فى الموقع الجديد . المترجم .

« معبد أبو عـودة »

على مسافة أميال قليلة جنوبى أبو سمبل يوجد صخرة بارزة ترتفع من النهر على الضفة الشرقية نحت فيها معبد أبو عودة الصخرى الذى يسمى أحيانا معبد جبل عدا •

وقد أقامه فى الصخر الملك « حور محب » أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة •

وهذا المعبد الصغير يعتبر من أجمل المعابد من الناحية الفنية وأقدمها ، وهو يتألف من مدخل له سلم قصير ، وصالة بها أربعة أعمدة ذات تيجان عى شكل براعم البردى •

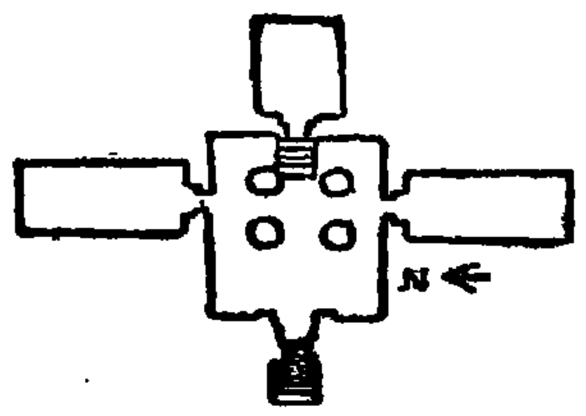
وغرفتان جانبيتان ومحراب ، وثمة جسر منحدر من المحراب تحته بئر يؤدى الى سرداب أو مخبأ •

وقد حول هذا المعبد الى كنيسة مسيحية وقد غطيت مناظر الأسرة الثامنة عشرة بطبقة من الملاط رسمت فوقها صورا قبطية وبعض القديسين ، وكانت النقوش البارزة والحليات المعمارية للأسرة الثامنة عشرة قد كسبت بالملاط وأنشا فوقها الرسومات الزيتية القبطية التى مازالت تغطى أجزاء منها •

ولكن هذه الرسومات قد تناثرت وتساقطت ومحيت كاشفة عن الأعمال الفنية القديمة التى كانت تزين المعبد من عصر الأسرة الثامنة عشرة •

ان حائط المدخل المؤدى الى الصالة يظهر على جانبه الأيمن الملك حور محب يتعبد أمام الاله تحوت ، وعلى جانبه الأيسر يشاهد حور محب كذلك وهو يرضع من الالهة انوقيت فى حضرة الاله خنوم •

وعلى الحائط الشمالى الايسر لمعبد أبو عودة (١) ، نشاهد الملك أمام الاله تحوت وحورس سيد عنيبة ، وحورس سيد بوهن ، وحورس سيد (أبو سمبل) ٠



(شكل رقم ٦٣)
(رسم تصميمى لمعبد أبو عودة)

وعند الطرف الشرقى لنفس الحائط ، نشاهد حور محب بين الاله سيت وحورس ، وعلى الحائط الجنوبى (الايمن) غطيت جميع النقوش والرسومات القديمة برسومات زيتية مسيحية ٠

---

(١) كان معبد أبو عودة فى الاصل يقع على الشاطىء الشرقى للنيل ، جنوبى معبدى أبو سمبل بقليل ، وكان يؤدى اليه درج محفور فى الصخر ، حيث يتالف من بهو تقوم فيه اربعة أساطين بردية وتكتنفه قاعتان ، وتؤدى منه بضع درجات الى مقصورة حفرت فى أرضها بئرا تؤدى الى قاعة لا يعرف الغرض منها ، ومن صور جدرانه ما يمثل حور محب يتقرب الى آلهة مختلفة ، وفى العهد المسيحى تحول المعبد الى كنيسة صورت على جدرانها صور القديسين والملائكة ، وعلى السقف صور المسيح فى رداء أحمر ، ولم يتيسر نقل هذا المعبد بكامله ، واكتفى بانقاذ أهم أجزاءه المنقوشة ولوحاته ، كما فك بعض أجزاء هامة منه وتجرى الآن دراسات لهذه اللوحات ومحاولات لتنسيقها وترميمها توطئة لعرضها مع بعض النقوش الصخرية فى معرض مكشوف ، ربما يقام فى منطقة كلابشة الجديدة المواجهة للسد العالى ، وذلك لأن فك ونقل هذا المعبد كان أمرا غير ميسر نظرا لارتفاع تكاليفها وسوء حالة الصخور والمعبد الذى كان فى حالة هشة ٠ المترجم ٠

ولكن عند الطرف الشرقى يوجد مشهد نرى فيه حور محب أمام الاله آمون ـ رع • وعند الطرف الجنوبى للحائط الخلفى يظهر أيضا حور محب أمام الاله حار ـ آخت •

وعند الطرف الشمالى نشاهده أمام الاله آمون ـ رع • وفى المحراب مشهد على الحائط الشمالى يظهر فيه حور محب يتعبد الى المركب المقدس ، وعلى الجدار الجنوبى والشرقى حجبت النقوش البارزة بطبقة ملاط •

وما زالت الرسومات الزيتية القبطية تحتفظ بكثير من الوانها فى حالة جيدة ، وتشمل هذه الرسومات صور للسيد المسيح (فوق البوابة وعلى السقف) وقديسين وملائكة على السقف والباب أيضا •

وقديسين آخرين يمتطى أحدهم صهوات خيول متبخترة ، ويرى أحدهم وهو يغرس رمحه فى تنين ، ويلبس هذا القديس تاجا مرصعا بالياقوت ، ويرتدى أثوابا ثمينة جدا •

وجميع هذه الصور ترجع الى الفن القبطى الأول ، ولكن لا تدخل فى اطار موضوعنا رغم ما فيها من تشويق (١) ، وان كانت ذات أهمية وأسلوب جميل •

وهناك مزار آخر صغير بين معبد أبو عودة وحدود السودان ، على جبل الشمس ، حيث يحتوى هذا المزار على تمثال مخرب لاله غير واضح المعالم ، ومخطوطات لأمير أثيوبى يدعى بسيور (Pesiur) الذى كان حاكماً للنوبة والمشرف على مناجم الذهب التابعة لآمون أثناء حكم الملك حور محب •

---

(١) قامت بعثة يوغوسلافية خلال عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ بانقاذ النقوش المسيحية المقتطعة من معبد أبو عودة ، ثم قامت مصلحة الآثار بترميم هذه النقوش وعرضتها هى وغيرها من النقوش القبطية التى تم العثور عليها فى المتحف القبطى بالقاهرة ، كما أنقذت عام ١٩٦٥ بعض مقاصير ابريم المنحوتة فى الصخر تجاه بلدة عنيبة ••• هكذا تم انقاذ جميع معابد النوبة • المترجم •



(شكل رقم ٦٤)

(رسم تخطيطى للمدخل الرئيسى لمعبد أبو عودة ، ويلاحظ أن الجدران)
(قد صورت عليها بعض صور القديسين والملائكة وعلى السقف صور المسيح)
(فى رداء أحمر وبعض القديسين ، وذلك عندما حول المعبد فى فترة ما الى)
(كنيسة مسيحية)

ويظهر الأمير بسيور على جدار ذلك المزار جالسا ، بينما يقدم لـه أصدقاؤه فروض الطاعة الولاء ، كما يظهر متعبدا مرة أخرى أمام التمثال ، وهذا المزار بالاضافة الى لوحة أو لوحتين لا أهمية عامة لهما ، (اللهم سوى احداهما فقط التى يظهر فيها الأمير بسيور وهو يتعبد الى الملك سنوسرت الثالث المؤله مع أنوبيس ، وسوبك — رع ، وأنوقيت) .

كل هذه الآثار (١) تشكل مجموع الآثار المحلية فى هذه المنطقة ، ثم نتقدم جنوبا حتى نصل الى منطقة أدندان التى تقع زهاء ميل جنوبها الحدود الادارية بين مصر والسودان .

لذلك فان مهمتنا تنتهى هنا عند حدود هذه المنطقة ، على أن السنوات القليلة المنصرمة قد شهدت انجازات واستكشافات واعمال هامة كثيرة فى السودان ، ألقت الكثير من الضوء على الممالك الأثيوبية التى ازدهرت جدا فى هذه المناطق .

وهذا الازدهار يتمثل فى الفترة بين قيام الأسرة الخامسة والعشرين والعصر الرومانى مما يشجعنا على المضى فى رحلتنا جنوبا حتى نباتا ومروى ، لكى نشاهد ونستمتع بآثار الحضارة المصرية — الليبية التى نشأت وازدهرت هناك فى أواخر عصر الأسرات .

---

(١) ضحى بمعبد أبو عودة فترك فى مكانه بعد اقتطاع أهم الأجزاء منه ، وعن هذا المعبد وعن جبل الشمس أنظر حور محب والأسرة ١٨ حيث أشار المؤلف الى المؤلفات الخاصة بمناطق قسطل وبلانة أنظر كتاب (مصر وبلاد النوبة) تاليف أمرى ، وهى الآثار التى اكتشفت أثناء الحملة الخاصة بانقاذ آثار النوبة والتى انتهت باكتشاف مقابر الملوك الذين حكموا تلك المنطقة سواء من القرن الثالث الى القرن الخامس من الميلاد — وفيها من الآثار الهامة ما يعتبر أهم آثار اكتشفت حتى اليوم — ومن ضمنها آثـار الملوك والملكات النوبيين والحلى الذهبية وغيرها وبها من الأحجار نصف الكريمة مـا يؤكد حضارة القوم الذين عاشوا فضلا عن مئات القطع الأخرى ولعل أهمها سروج الخيل وحقول الأهرامات والمقابر الجماعية التى ضحى بها لتكون فى خدمة الملوك .

الفصـل الثـانى والاربعون
« من وادى حلفا الى كرمـا »

« قلعـة فـرس »

نتجه الآن الى وادى حلفا حيث نمـر بقلعتين تقعـان بين الحـدود الجنوبية ووادى حلفا ، وتقع القلعة الأولى عند منطقة فرس (١) (Faras) على الضفة الغربية ، ولابد أنها كانت حصنا ذا أهمية كبيرة (٢) .

وقد بنيت الجدران التى يبلغ ارتفاع بقاياها فى بعض المواقع اكثر من ٣٠ قدما من الطوب اللبن ، ويبلغ سمكها حوالى ٣٠ قدما ايضا ، وترتكز على قاعدة قوية من الحجارة بارتفاع يبلغ ١٣ قدما .

وتبلغ مساحة المنطقة التى تلتف حولها الأسوار حوالى ١٠٠٠ قـدم طولا × ٦٠٠ قدم عرضا ، وكانت هناك قلعة كبيرة تسيطر على المنطقة كلها وتشرف عليها وتدير شؤونها .

ويسود الاعتقاد بان تاريخها يعود الى العصر الرومانى ، بيد ان كتلا

---

(١) يجب أن نشير هنا الى أن اعمال الحفائر التى أجريت فى النوبة والتى تم انقاذها والتى تقع بين جبل عداد والحدود الليبية قبل انهاء المرحلة الثانية لتعلية خزان أسوان انتهت باكتشاف عدة مقابر كاملة لملوك النوبادين الذين حكموا النوبة القبلية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، كما أسفرت الأعمال الكثيرة التى أجريت قبل اقامة السد العالى عن وجود مقابر كثيرة مـن الدولة الحديثة تدل على ازدهار الحضارة المصرية النوبية فى ذلك العهد وبين الحدود ووادى حلفا عثر على قلاع ومقابر هامة من الدولة الحديثة والعصر المسيحى فى منطقة فرس .

(٢) نذكر أن بين فرس ووادى حلفا أجريت قبل انشاء السد العالى كثير من الحفائر فى منطقة « عكشا » بالنوبة حيث عثر على معبدين من أيام رمسيس الثانى وسيتى الأول وفى منطقة « ديزه شرق » حيث عثر على مقبرة تحوتى حتب من عصر الملكة حتشبسوت كما أجريت حفائر أخرى فى الحدين الشرقى والغربى فى النوبة السودانية .

ضخمة من الحجارة التى تحمل أسمى رمسيس الثانى وتحتمس الثالث قد وجدت داخل هذه المنطقة التى تخص أحد المعابد •

وتشير هذه الحجارة المنقوشة الى الحالة التى كانت سائدة فى عصر الدولة الحديثة • فهناك عند منطقة « سارا » (Sarra) على الضفة الشرقية يشاهد اطلال قلعة مصرية يحتمل أن يعود تاريخها الى عهد الدولة الوسطى •

ولم تكن هذه القلعة كبيرة مثل قلعة « فرس » لأن مقاييسها لا تزيد عن ٣٥٠ قدما طولا فى ٢٥٠ قدما عرضا ، وهناك صخور كثيرة فى ذلك المكان عليها مخطوطات ونقوش من الدولة الوسطى •

ويسترعى الانتباه الى ملامح كثيرة سوف ندركها أكثر بصفة مباشرة – وهى قوة السيطرة المصرية والنفوذ الهام على هذا الجزء من البلاد فى عصر الدولة الوسطى •

يبدأ عند وادى حلفا خط السكة الحديد الحكومى الى الخرطوم ولذلك فان على المسافر أن يختار بين متابعة هذا الطريق الى « أبو حمد » ومن هناك يتوجه عن طريق خط فرعى الى منطقة كاريما (Kariema) حيث يمكنه أن يزور جبل برقل ونباتا القديمة •

ونشاهد مدى ارتباط هذه المناطق بمملكة بيعانخى الاثيوبية الأولى ومعابدها وأهراماتها ، ومتابعة مجرى النيل ومشاهدة الآثار الرائعة التى تبدو شامخة على ضفافه •

ان الطريق الثانى أكثر مشقة وتعقيدا عندما نسلكه ، ولكن الطريق الأول يعنى عدم مشاهدة جميع الآثار التى يمكن مشاهدتها بين وادى حلفا وكاريما •

لذلك فان وصفنا لتلك الآثار الهامة للزائر أو الباحث الذى يسلك مجرى النهر العظيم •

يقع وادى حلفا ذاته على الضفة الشرقية لنهر النيل ، ولا يوجد بـه

شيء ذو أهمية كبرى بالنسبة لنا ، وتقع مدينة بوهن المصرية القديمة جنوبها التى يسهل الوصول اليها بالمركب ٠

وتقع هذه المدينة على الضفة الغربية حيث كانت مركزاً هاما من مراكز السيادة المصرية فى السودان فى عصر الدولة الوسطى ٠

وما زالت هناك أطلال متبقية لخرائب معبدين من المعابد ، منهما المعبد الشمالى الذى أسسه أحمس فى بداية الأسرة الثامنة عشرة على أنقاض مبنى لسنوسرت الأول من عصر الدولة الوسطى ٠

وقد عمد امنوفيس الثانى الى تجديده ، ولكن ذلك المعبد لم يكن له فى أى وقت من الأوقات أهمية كبيرة ٠ فقد بنى كله من اللبن باستثناء بعض العناصر البارزة مثل أعمدة قاعدته وقوائم كتف البوابة التى بنيت عليه من الحجارة الرملية ٠

أما المعبد الجنوبى فهو أكثر اهمية حيث يقع على مسافة قصيرة جنوبى جاره المعبد الأقدم منه عهدا ، وقد توفرت له وسائل الترميم والصيانة والحفظ فى عام ١٩٠٥ بواسطة عمل سقف له من الخشب وضعه فوقه الجنرال وينجيت (Wingote) لحماية النقوش والرسومات الزيتية على جدرانه وحوائطه ٠

وقد اشترك فى بناء ذلك المعبد كل من تحتمس الثانى وتحتمس الثالث والملكة حتشبسوت ، غير أن خراطيش وصور حتشبسوت الزيتية قد طمست واندثرت كالمعتاد على يد زميلها وخليفتها النشط (٢) تحتمس الثالث ٠

وما زالت الجدران والاعمدة المبنية من الحجر الرملى قائمة ويبلغ ارتفاعها أكثر من خمسة اقدام ٠

---

(١) نقلت حوائط وأجزاء المعبدين القبلى والبحرى واعيد بناؤها فى داخل متحف الخرطوم الجديد كما كتب عن المعبدين ونقوشهما وعن الاكتشافات التى تمت الى جوارهما وفى قلعة بوهن المجاورة حيث عمل الأستاذ أمرى ٠ المترجم ٠

كان للمعبد برج مبنى من اللبن ما زال جزء منه موجودا بالقرب من ضفة النهر بالاضافة الى وجود دهليز يحمل أحد اعمدته مخطوطا لتحتمس الثالث يصف فيه بسالته وشجاعته فى أول حملة آسيوية يقوم بها ٠

وهذا المخطوط مؤرخ فى عامه الثالث والعشرين الذى يضم أيضـــا سنوات ولائه وخضوعه لسلطة حتشبسوت ٠

ان وصف بسالته وشجاعته ليعتبر وصفا شاعريا جداً حيث يقول :

« ان الملك نفسه ، قاد جيشه فى الطريق الممهد وكان يبدو قويا على رأس هذا الجيش مثل شعلة من نار ٠٠ الملك الذى أنجز ما أنجز بحد سيفه ٠٠ لقد مضى قدما ، لا يشبهه أحد ٠٠ يذبح البرابرة ويضرب الريتينيين ، ونحضر امراءهم كاسرى وعرباتهم المزركشة بالذهب مربوطة بخيولهم (١) ٠ (برستد الوثائق القديمة ص ٤١١ ــ ٤٣٧ جـ ٢) ٠

---

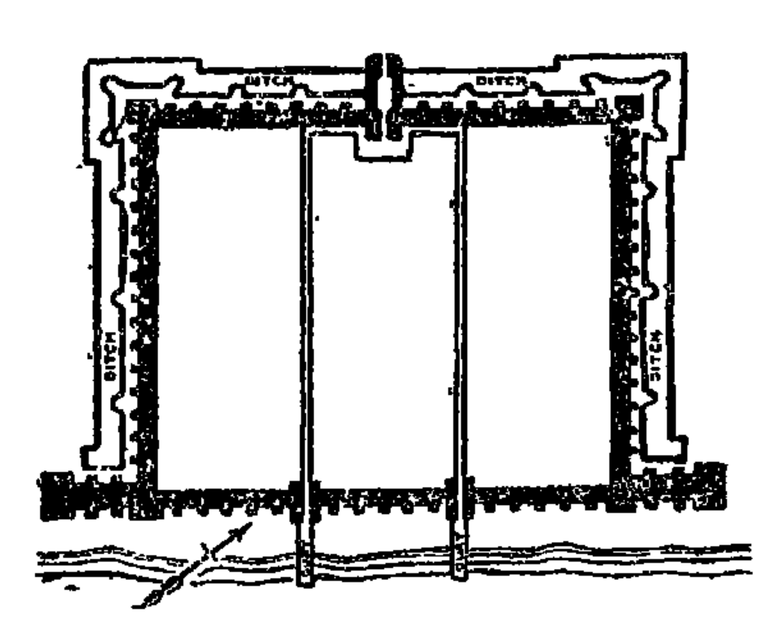
(١) (Breasted, Ancient Records, II. 411-37)

« معبد وقلعة بوهن »

يقع المعبد الأصلى لقلعة (معبد بوهن) خلف هذه القاعة التى توجد وراء مؤخرتها مرتفع صخرى كبير على جوانبها الثلاثة صفوف من الأعمدة الاغريقية .

وهى تحتوى على قاعة مستعرضة ومحراب وغرف جانبية ، أن المشاهد العديدة المنقوشة على الجدار ليست بذات أهمية تذكر لأنها لا تخرج عن كونها رسومات ونقوش تقليدية لاظهار الملك أمام الآلهة المختلفة ، ولكن معظمها لا يزال يحتفظ بالوانه فى حالات عديدة فى حالة جيدة فى بعض المواضع .

على أن أهمية بوهن الرئيسية تتمثل فى أنها الحلقة الأولى فى سلسلة القلاع الممتدة من بوهن حتى قلعة سمنة الشرق وقمنة الغرب التى بسط المصريون بواسطتها سيطرتهم على كل اقليم الشلال الثانى .



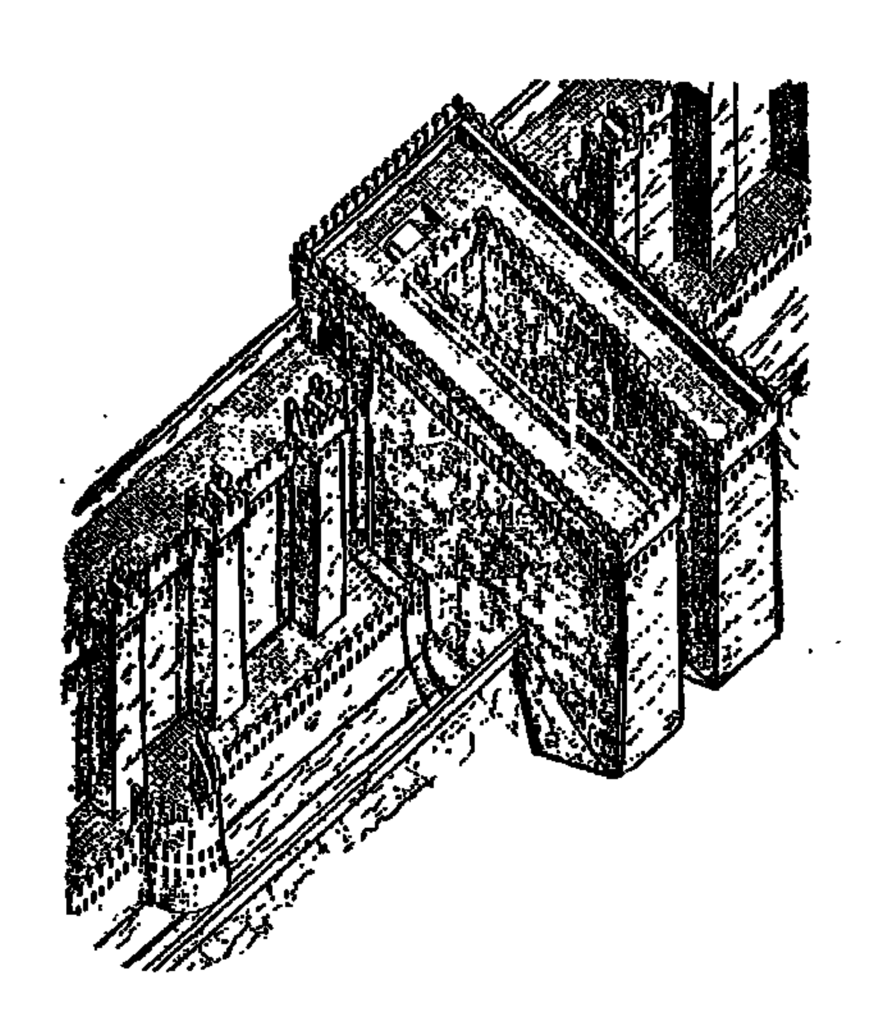
(شكل رقم ٦٥)
(رسم تخطيطى لقلعة « بوهن »)

وقد احتفظوا كذلك بالسيطرة على جميع الممرات النهرية ذهابا وايابا ، حيث كانت مدينة بوهن الحصينة يحميها نظام محكم من الأسوار المزدوجة تتخللها أبراج عالية على مسافات متساوية وخندق محفور من صخور صلدة .

ويبلغ عرض هذا الخندق ستة أمتار وعمقه ثلاثة أمتار ونصف المتر ، ويبلغ سمك السور الكبير أكثر من ٢٧ قدما عند قاعدته بالاضافة الى خمسة أقدام عند دعامته .

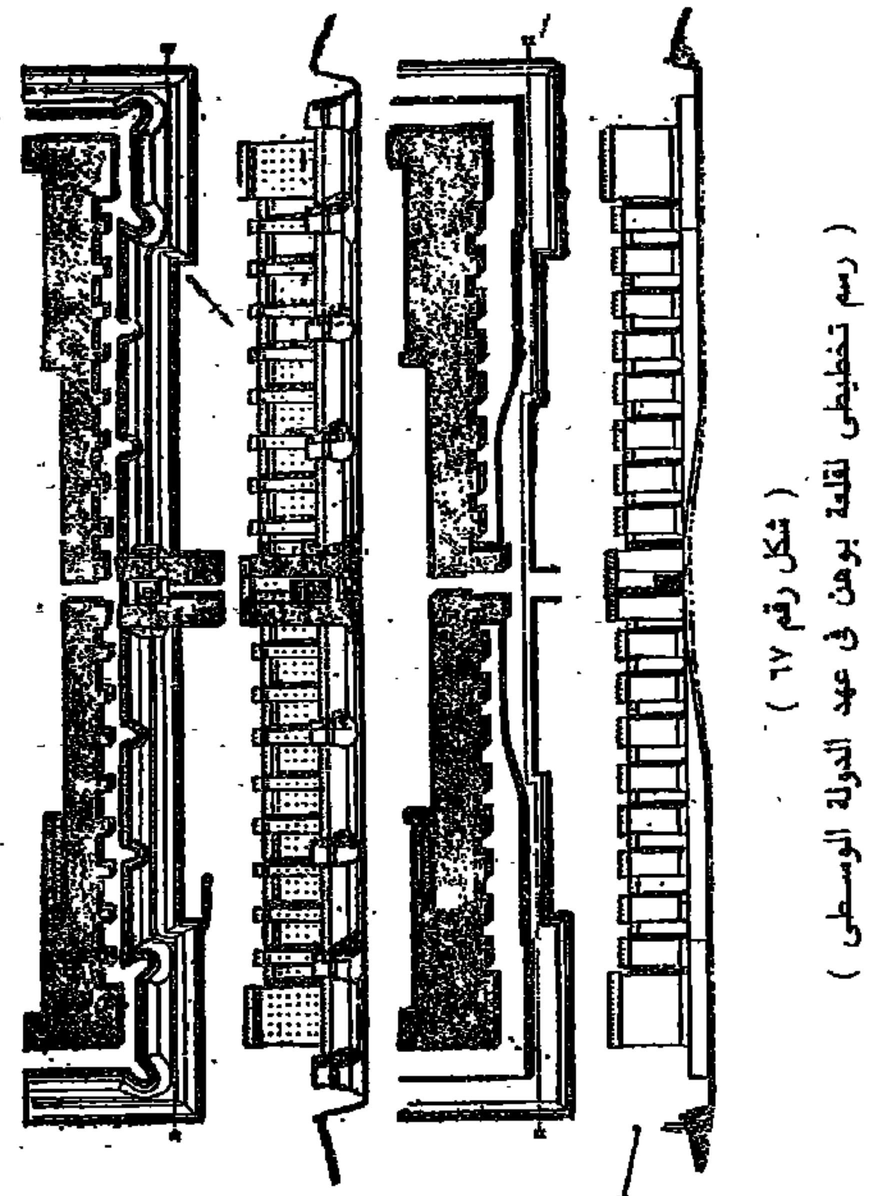
ويحتوى هذا الحصن الهائل على المعبدين الآنفى الذكر ، وبعد المضى فى الطريق النهرى ، وعلى بعد ميل ونصف من هذا الحصن ، تقع منطقة محصنة هى الأخرى لها سور مزدوج ذى أبراج استخدمت فى بناءه الأحجار الضخمة والدبش .

وجدير بالذكر أن هذه المنطقة كانت تضم بلدة كبيرة لأن السور الداخلى يمتد بطول أكثر أن ١٠٠٠ ياردة طولا .



(شكل رقم ٦٦)

(رسم تخطيطي لتصميم البوابة الغربية الرئيسية لقلعة بوهن)



(شكل رقم ٦٧)

(رسم تخطيطي لقلعة بوهن في عهد الدولة الوسطى)

« قلعـة مـايانارتى »

تقع على مسافة صغيرة من هذه البلدة المحصنة قلعة تسمى قلعـة مايانارتى (Mayanarti) القائمة على مشـارف جزيرة تتحكم عـلى مـدخل الشلال ٠

وقد دلت الأوانى الفخارية والطوب وبقايا المقابر المكشوفة التى عثر عليها السيد سومرز كلارك على أن تاريخها يعود الى تاريخ المبانى القائمة فى قلعة بوهن ٠:

والواضح أن هذه الجزيرة كانت موطنا لعدد كبير من السكان فثمـة حقيقة غريبة وهى انه خلال النضال الذى استمر لفترة طويلة مع الدراويش أعيدت القلعة الى استخدامها القديم الذى أنشئت من أجله وبنيت استحكامات ومتاريس فوق المبانى المصرية القديمة تتخللها فتحات مثقوبة لنصـب المدافع عليها ٠

وكانت هذه القلعة تعمل بالتنسيق مع قلعة أخرى على الضفة الشرقية لردع المهديين الغزاة أثناء الثورة المهدية فى السودان ٠

ويذكر السيد سومرز كلارك ان العمل الحديث كان سوء للغاية ـ ولكن من المهم أن نرى أن تكرار الظروف الحربية والثورات المتشابهة أسفرت عن العودة الى الأساليب القديمة فى التعامل معها ٠

« قلعـة دورجاينارتى »

على مسافة حوالى ميل تقريبا جنوبى قلعة مايانارتى تأتى الحلقة الثانية فى سلسلة القلاع الشاهقة حيث نشاهد قلعة دورجاينارتى المبنية من الطوب اللبن ولكن لمـا كان الجزء الأسفل من السور معرضا لخطر الزوال بفعل مياه النيل أن يكتسحه أيام الفيضان فقد دعم بالدبش ٠

وقد ملئت هذه القلعة بالرمال والنفايات ، حيث يبلغ طولها حوالى ٢٠٠ ياردة وعرضها ٨٥ ياردة ٠

وعلى بعد حوالى ١٢ ميلا جنوبى وادى حلفا تقع قرية معتوقة (Matuqa) على الضفة الغربية والى الجنوب على الضفة الغربية أيضا تقع قلعة ميرجاسا (Mirgisse)

والواضح أن هذه القلعة تعتبر شيئا هاما فى خطط الاستحكامات خلال الدولة الوسطى الخاصة بالنواحى الحربية والتحصين ، ويبلغ طولها أكثر من ٣٠٠ ياردة وعرضها ٢٠٠ ياردة وتحيط بالمنطقة أسوار داخلية •

وتبلغ مساحة هذه المنطقة كلية حوالى ١٨٠ر٠٠٠ الف قدم مربع ، حيث تقوم القلعة على قمة مرتفع صخرى يبلغ ارتفاعه حوالى ٧٥ قدما ، ولذلك فهو موقع استراتيجى هام حيث تشرف وتتحكم بالنهر •

« قلعة دابنــارتى »

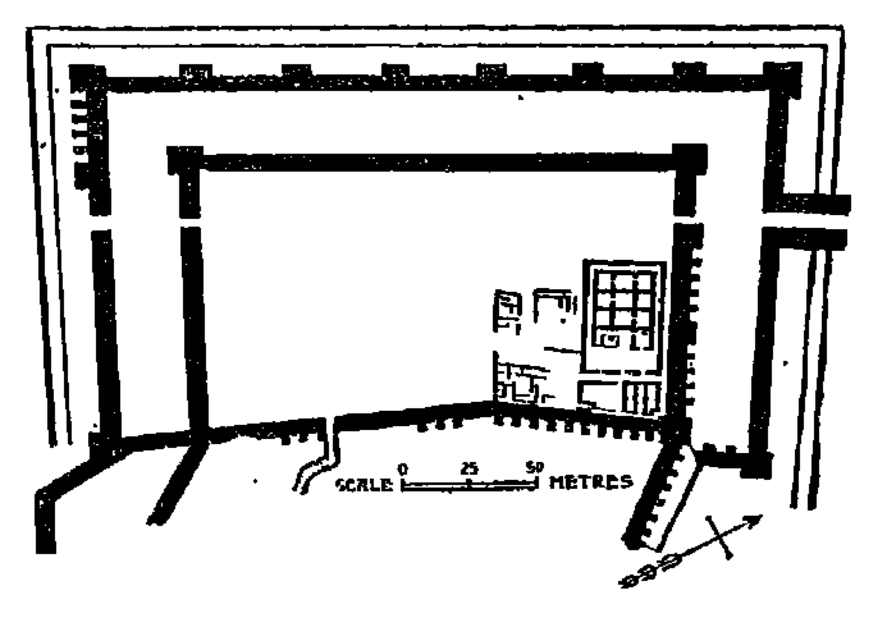
يضاف الى ذلك وجود قلعة أخرى هى قلعة (Dabnarti) قبالتها ، وبذلك تستطيع القلعة الواقعة على البر والقلعة الواقعة فى الجزيرة أن تغلق المجرى المائى بينهما فى أى وقت عند الطلب •

« قلعة ميرجاســا »

تعتبر قلعة ميرجاسا من القلاع القوية المحصنة لا بسبب المنشآت التى تحميها فحسب ، وانما بفضل موقعها الهام الطبيعى ذلك أن سورها الشرقى يرتفع فوق المرتفع الذى يواجه النهر •

أما أسوارها الشمالية والجنوبية فانها الى جانب كونها مزدوجة فهناك خنادق تحميها حتى مشارف النهر ، ولذلك فان الحائط الغربى هو المنطقة الوحيدة التى يمكن مهاجمتها واقتحامها منه •

وداخل السور الثانى عند الزاوية الشمالية ــ الغربية نشاهد أطــلال بقايا معبد صغير بناه سنوسرت الثالث وربما قام امنوفيس الثالث باجراء توسعات فيه واضافات •



(شكل رقم ٦٨)

(رسم تخطيطى لقلعة ميرجاسا)

وتبين الأطلال المتبقية التى لا يكاد ارتفاعها يزيد عن ١٨ بوصة ، تمثل بقايا حجرة متوسطة مع أربعة غرف أخرى حول ثلاثة جوانب معها ، وهو الأمر الذى يوحى بوجود محراب وحجرات اضافية .

لقد كان المحراب مبنيا من الحجر ، أما بقية المعبد فقد بنى من الطوب اللبن .

وفى مواجهة ميرجاسا تقع على وجه التقريب قلعة دامنارتى أو دابا ، وهى جزيرة ضيقة تمر بالقرب منها وفى وسط الصخور ممرات مائية كثيرة ، ولذلك فانه يمكن للمدافع المنطلقة بالنيران من ميرجاسا ودانمارتى أن تتحكم فى الممر تماما .

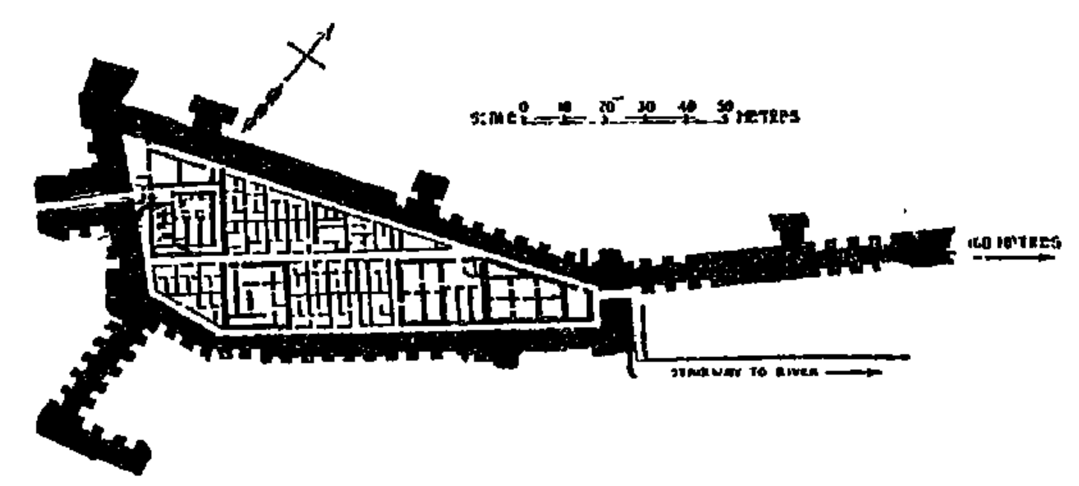
ان هذه القلعة تغطى تماما كل المساحة الموجودة فى الجزيرة التى يبلغ طولها حوالى ٩٥٤ قدما وعرضها ١٩١ قدما تقريبا ، وهى كالعادة مبنية من الطوب اللبن ولكن تم تقوية قاعدتها باكوام من « الدبش » لحماية اللبن ولحماية الطوب من التآكل والانهيار عندما يرتفع منسوب مياه النيل .

« قلعـة شـالفاك »

تقع قلعة شالفاك على الضفة الغربية قبالة سراس (Sarras)

وتستقر هذه القلعة الضخمة على قمة مرتفع صخرى يسمح لها بالتحكم فى اتجاهى النهر ، وهذه القلعة محصنة جدا من جميع الاتجاهات وكان الهجوم عليها بمثابة مهمة شاقة وصعبة لان جميع الطرق المؤدية اليها وعرة وشديدة الإنحدار .

وهى صغيرة نسبيا حيث يبلغ طولها ٩٦ قدما وعرضها ٥٣ قدما فقط ، ولكن موقعها الهام يمكنها فى بعض الظروف أن تبلغ اشاراتها الى قلعة اورونارتى التى تستطيع بدورها أن تنبه قلعة سمنة غربا أو شرقا ، عند الطرف الجنوبى لسلسلة طويلة من الجبال .



(شكل رقم ٦٩)
(رسم تخطيطى لقلعة شالفاك)

« قلعة أورونارتى »

نأتى بعد ذلك الى جزيرة الملك الصخرية أو جزيرة أورونارتى التى تشكل مع القلعتين الموجودتين فى سمنة ، شرقا وغربا أول نظام للدفاع الاول عند الشلال اقيم ضد غارات وغزوات قبائل البدو المستمرة .

وجزيرة أورونارتى هذه تشكل مثلثا طويلا له بروز يمتد بطول الحافة الجنوبية للجزيرة ، كما يتم فتح بوابتها البرية بواسطة برج كبير فى منتصف الجانب الجنوبى الضيق من المثلث ·

كما تتاخمها قلعة اخرى صغيرة خارجية تلاصق الجانب الجنوبى ، ويمكن الرجوع الى وصف الدكتور رايزنر عن تشييد هذه القلعة لانه يطابق وصف القلعتين الأخيرتين فى هذه المنطقة فقد كتب يقول :

« ان القلاع الثلاث ، سمنة شرق ، سمنة غرب ، وأورونارتى قد أقيمت من نفس المواد وبنفس نمط البناء والطوب والطراز المعمارى ، وتستقر أسوارها على أساس متين بمثابة قاعدة من الحجر الجرانيتى والدبش مع انحدار سطحه الخارجى ·

ومع انحدار سطح ذلك الرصيف الخارجى على قمة صخرة جرانيتية ترتفع هذه الصخرة فوق مستوى القاعدة · وهذه القاعدة المقامة من الدبش تكفى لتسوية التشوهات غير المنتظمة فى السطح الصخرى كله ·

وقد بنيت الأسوار الخارجية الضخمة المحيطة بالقلعة على هذه القاعدة الصخرية من الطوب اللبن حيث تتراوح سمك هذه الأسوار من خمسة الى ثمانية أمتار ، ويبلغ ارتفاعها عشرة أمتار أو اكثر ·

وقد تمت تقوية البناء بالطوب اللبن هذا بطبقات من دعامات خشبية ترص بشكل افقى ومواز للأسطح حيث جعلت هذه الدعامات الخشبية أى محاولة لاختراق أو تقويض الأسوار مهمة صعبة للغاية ان لم تكن مستحيلة ·

وقد تم تجويف الأسوار السميكة على الجانب الخارجى ، ثم دعمت بابراج عالية عند الأركان وعلى البوابات وفى مواقع أخرى ·

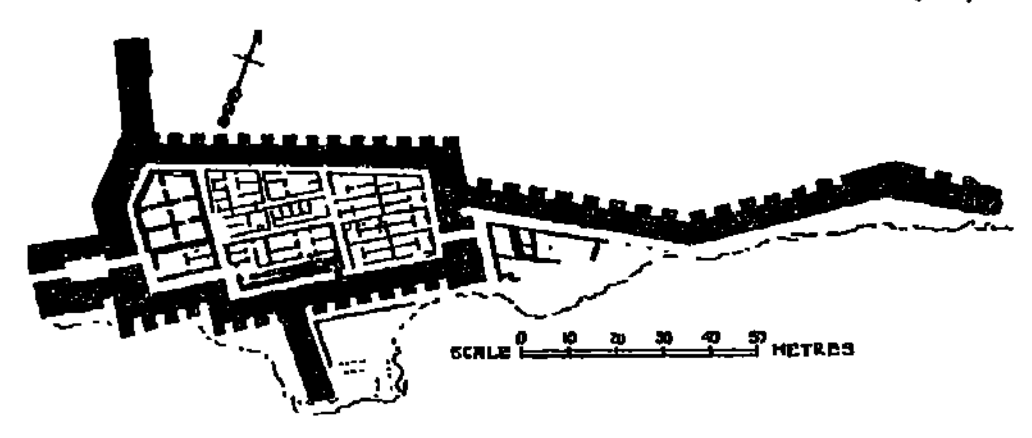
ولم يعثر على الأجزاء العليا من الاسوار ولكنها كانت مسطحة ومزودة بمتاريس لكى يستخدمها المدافعون فى الدفاع عن القلعة ، وكانت المداخل الأرضية تمر عبر أبراج ومزودة بأبواب خشبية مزدوجة بالغة المتانة .

والواضح أن مثل هذه القلاع كانت تزود بالمؤن والماء بصورة جيدة ، وهى حصينة ومنيعة بحيث لا يمكن اختراقها ، ما دامت تساندها حامية قوية ومستوفية تدافع عنها ضد أى هجمات نوبية تشنها عليها القبائل النوبية .

وكان الحصول على الماء الى هذه القلاع الحصينة بواسطة طرق مغطاة تحت الأرض تؤدى الى النهر ، الأمر الذى كان يمكن لأفراد الحامية فرصة الحصول على حاجتها من الماء دون التعرض لأى خطر .

وبالجملة لا نستغرب من قول الدكتور رايزنر عندما يقول : « انه لم يحدث حسب علمنا ، أن استدلى عدو نوبى أو حبشى على هذه القلاع فى عهد الأسرة الثانية عشرة ذاتها (١) » .

(مجلة متحف الفنون الجميلة - بوسطن المجلد ٢٧ عدد ١٦٣ ص ٦٩)



(شكل رقم ٧٠)

(رسم تخطيطى لقلعة أورونارتى)

(١) (Bulletin of The Museum of Fine Arts, Boston Vol. xxvII, No. 163, p. 69.

وفى قلعة أورونارتى ، حيث نلتقى بأول حاكم للنوبة بعد أن فتحها الفراعنة الأوائل المنتمين الى الدولة الحديثة ، بمحاولة غزوها من جديد .

كان ذلك الفرعون يسمى تورو ويصف نفسه على جدران قلعة اورونارتى « بأنه الأمير الوراثى ، الفرعون ، حامل الأختام الملكية ، والرفيق الوحيد ، المفضل لدى الملك ، فى الأراضى الجنوبية ، والابن الملكى » .

كان ذلك فى السنة الثامنة من حكم امنوفيس الأول ، وقبل ذلك بعام تحت ظل الحكم نفسه ، سنجده فى قلعة سمنة يصف نفسه بأنه ابن ملك الأقاليم الجنوبية .

ولكنه أثناء حكم أحمس الأول ، لم يرتق الى هذا المركز السـامى كما يصف نفسه فى بوهن بأنه حاكم لبوهن فقط .

وكان ما يزال يتقلد منصبه الهام عند اعتلاء تحتمس الأول العـرش حيث أصدر فى بوهن المرسوم الملكى يعلن فيه ألقاب الفرعون الجديد .

كما بقى فى منصبه حتى حكم حتشبسوت ، عندما لم يعد اسـمه مدرجا بعد ذلك فى القائمة المنقوشة هناك .

نأتى بعد ذلك الى القلعة العظيمة سمنة غرب ، التى تعتبر من أهم القلاع الحدودية المصرية وأكثرها جلالا وقد قال عنها السيد سومرز كلارك : « لا يوجد مثيل لها فى مصر أو النوبة » .

« قلعة سـمنة غـرب »

تعتبر قلعة سمنة غرب من أهم القلاع الكبيرة الضخمة الشاهقة القائمة على الحدود المصرية ومن أكثرها عظمة وجلالا ، وقد قال عنها السيد سومرز كلارك « لا يوجد مثيل لها فى مصر أو فى النوبة » حتى ان خرائبها وأطلالها الباقية متقنة ورائعة بدرجة كافية لتبرير مثل هذا الرأى ، رغم ان عمليات الترميم والتجديد الغريب الذى قام به السيدان بيرو وشيبيز لم يعد مقبولا حيث أنها لا تطابق الواقع عندما كانت هذه القلعة فى أوج عظمتها وأبهتها ٠

وتقوم قلعة سمنة غرب على مرتفع صخرى يطل على النيل ، وبينها وبين قلعة سمنة شرق (١) ، وهى القلعة الأخرى القائمة على الضفة المقابلة ، مسافة تقدر بحوالى ٥٠٠ ياردة ، وبذلك يمكن توصيل رسالة بالنداء الصوتى العادى من قلعة الى أخرى ٠

ويعترض النهر هنا حاجز من الصخور البللورية التى تكونت تحت المـاء عندما يكون النهر مرتفعا فقط وتكون مختفية تحت الماء ٠

وعندما يكون النيل متوسط الارتفاع أو منخفضا يتحول هناك الى قناة ضيقة بعرض ١٢٠ قدما ٠ وفى هذا الطريق الضيق يتدفق النهر كله وبذلك يكون خطرا ٠

وتقع كلتـا القلعتين (٢) فـوق نهاية تلال الحـاجز الصخرى عـلى

---

(١) يقع حصن سمنة شرق على الجانب الغربى للنهر بينما يقع حصن سمنة غرب على الجانب الشرقى ، وقد شيد الأخير على بقعة شـديدة الارتفاع ، والحصنان معا يكادان يغلقان مدخل النيل أمام القادمين مـن الجنوب ، وفى تخطيط كايو نلاحظ جنوب ذلك الحاجز الممتد من الجزائر خليجا واسعا وميناءا طبيعيا يقول عنه ماسبيرو انه كان من المستطاع تجميع الأسطول المصرى فيه عند القيام بحملة ضد أثيوبيا ، وكانت قوارب أهل الجنوب وتجارتهم تنتظر أمام هذه الحصون لتحصل على الترخيص لمرورها الى المياه المصرية ٠ المترجم ٠

(٢) تم نقل معبد سمنة (غرب) وسمنة (شرق) الى الخرطوم وأعيد بناؤهما فى حديقة متحف الخرطوم وسوف ينشر قريبا عن نقوشهما ٠ (المترجم) ٠

الضفتين الشرقية والغربية ، ولكن هناك مبالغة عجيبة فى مدى ارتفاع موقعيهما إذ يذكر كوك فى كتابه ان قلعة سمنة شرق على ارتفاع ٤٠٠ قدم وقلعة سمنة غرب على ارتفاع ٣٠٠ قدم . بينما الارتفاع الحقيقى لكلتا القلعتين حسب قول الدكتور بول فى مسحه الجيولوجى عن شلال سمنة هما حوالى ٦٠ قدما لسمنة شرق وحوالى ٤٤ قدما لسمنة غرب .

وحتى فى حالة هذا الارتفاع المنخفض فان هاتين القلعتين قد أقيمتا كل منهما فى موقع يدعو الى الاعجاب والروعة لانهما بفضل موقعهما تشرفان على النهر .

ويقوم حصن سمنة شرق وسمنة غرب على منحدر يصل اليه المرء بسهولة من ثلاث جهات ، الشمالية والجنوبية والغربية ، الجهة الشرقية عمودية تتركب من عدة صخور جرانيتية تتجه بانحدار شديد نحو النهر حيث تجعل الوصول الى الحصن عن طريقها عملية غاية فى الصعوبة .

ويرتفع جانب الحصن الجنوبى بانحدار خفيف ، بينما نجد الجانبين الآخرين يمتدان فى اتجاه أفقى نحو التلال التى تفصلها مجموعة من الاخاديد العميقة حيث تصل ما بين المنحدر المقام عليه الحصن وسلسلة الجبال الليبية .

وهناك أيضا أخدود عميق على شكل رأس مثلث يحمى زاوية الحصن الشمالية الشرقية كما يمكن أن نرى هذا الأخدود الكبير الذى يبلغ اتساعه حوالى ٨٠ قدما واضحا للمشاهد .

ويتكون الحصن من بنائين رئيسيين متساويين حجما ومتعامدين أحدهما على الآخر وكلاهما مربع الشكل .

ويتصل باحد الأبنية الرئيسية بناء فرعى يمتد من الشمال الى الجنوب ، ويقع عند قمة المنحدر المقام عليه الحصن جميعه حيث تشرف نهاية هذا البناء من الناحية الشمالية على الأخدود الذى أشرنا اليه .

ونجد البناء الفرعى الآخر الذى يتصل بالقسم الرئيسى الثانى من الحصن متجها نحو الغرب ومشرفا على الصحراء ، أما أهم جزء فى الحصن فانه يتجه نحو الجنوب .

وقد تم تشييد الحصن على هذه الصورة لأن تصميمه الداخلى عبارة عن شريطين ضيقين من البناء (أحدهما عمودى على الآخر) بينما تتضخم كتلة بنائه تبعا لاتساع محيطه . ولعل الرغبة فى توفير المواد كانت سببا رئيسيا فى تقليل كمية العمل بالداخل ، أو لعلها كانت لتقليل كمية المواد اللازمة للوصول بالحصن الى الارتفاع المطلوب .

ومنظر الحصن الجانبى كامل تماما ، حيث يتالف من منحدر مدعم من الخلف يليه أخدود طويل فى نهايته مرتفع مكسو بالأحجار .

أما الاستحكامات المحيطة بالحصن فتتألف من جدران سميكة تتراوح ارتفاعاتها بين ١٠ ، ٢٠ قدما ويصل عند قمتها الى ثلاثة أقدام ، وقد بنيت هذه الجدران من الحجارة العادية . ودعمت بكتل عمودية من الخشب وضعت رأسيا وعلى مسافات متقاربة .

وقد اختفت تلك الأعمدة تماما ، ولكن يمكن مشاهدة أماكنها بسهولة حيث لا تزال توجد آثار الخشب المتحلل ، كما ازدحم سطح الحصن بالفتحات التى كانت تثبت فيها تلك الأعمدة الخشبية .

ويتكون من التقاء السطح الخارجى الجدران مع الأرض زاوية قدرها ١٦٠° تقريبا ولعل ذلك يرجع الى أن مواد البناء المستعملة كانت ضعيفة ، فكان لابد من تقوية الحصن بجعل قاعدته سميكة بقدر ما أمكن .

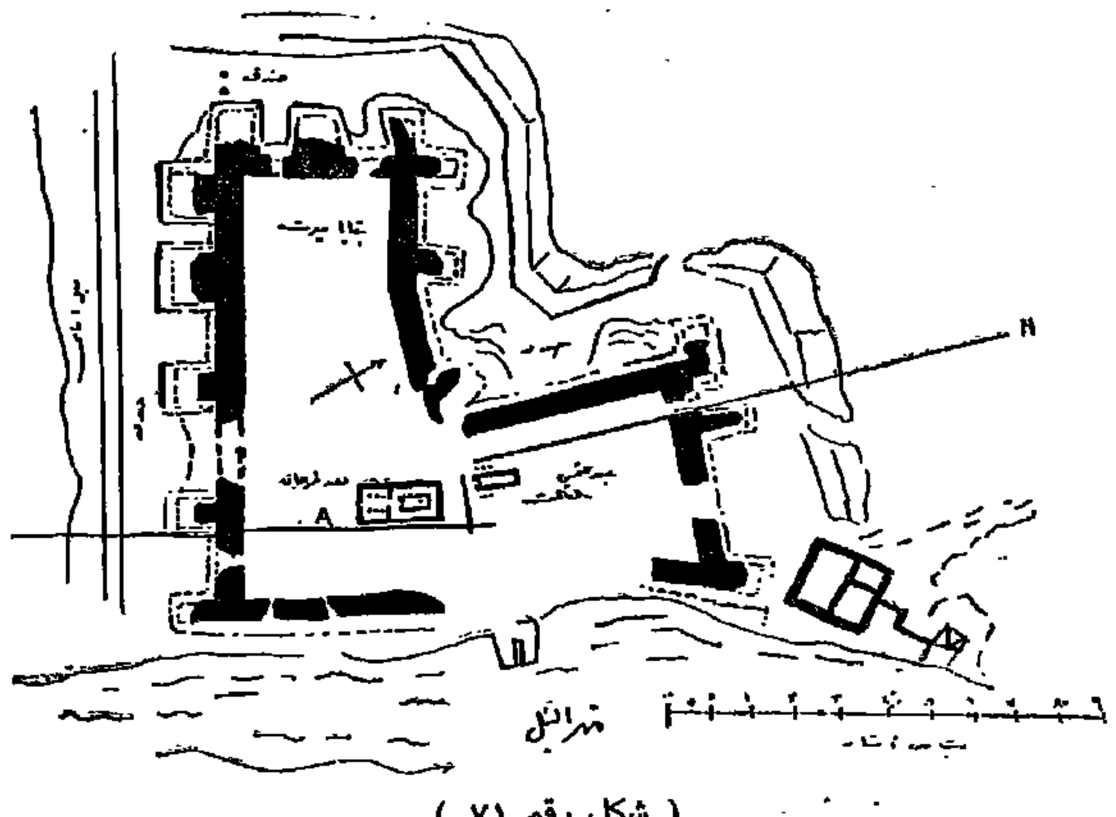
وهذه القاعدة تكون معرضة قبل كل جزء فيه للهجوم ، كما اقيمت عند قمة الحصن عدة دعامات سمك كل منها متران وذلك لتقوية الأجزاء الخارجية فى بناء الحصن الأعلى .

وأمام الجدار نشاهد أخدود يبلغ اتساعه حوالى ٣٠ قدما وهو عميق جدا ، أما المنحدر فكان يكسى بأحجار ضخمة تجعل الوصول الى الحصن

أشد صعوبة ، وزيادة على ذلك كانت نهاية الأخدود تغطى بالأحجار ، كما كان الحصن كله يحاط بأبنية حجرية تقوم كخط دفاع أمامى .

وتكون هذه الأبنية الحجرية فى الناحيتين الشمالية والغربية من الحصن حائطا خارجيا يرتفع مترين فوق منطقة البناء ، أما فى الناحية الشرقية فكانت تلك الأبنية تؤلف سطحا عموديا يضاف الى المنحدر الصخرى .

ونلاحظ ذلك أيضا فى الناحية الجنوبية من الحصن حيث أصبح الوصول عن طريقها غاية فى الصعوبة .



(شكل رقم ٧١)

(رسم تخطيطى لقلعة سمنة غرب ، وتمثل الخطوط المنقطة فى الشكل)
(السرداب الحجرى والأساسات الحجرية ، أما الجدران السوداء فتدل على)
(السور الموجود حاليا ، والمقاييس هى ٤٠ مترا لكل بوصة)

ونشاهد هناك زاوية أخرى ضخمة تتكون من البناء الرئيسى وهى فريدة فى نوعها وشكلها ، فرغم مـا يذكره مسيو دى فوجيه بأن الانسان لا يستطيع

أن يجد مبررا لذلك الوضع الشاذ لهذه الزاوية الذى يحول دون وقوع نظر الانسان الى أسفل من الجدار اذا أطل من جزئه العلوى ٠

والمنظر الجانبى للحصن كان يتفق تماما مع المتاريس والتحصينات القليلة الارتفاع التى يجدها الانسان دائما عند نهاية الجدران ، وقد اختفت الآن هذه الأجزاء الجانبية وتهدمت حيث كانت فى الماضى تضارع فى متانتها قوة البناء الأصلى وتعتبر جزءاً أساسيا منه ٠

وهو أمرا هاما كان يراد به أساسا اظهار قيمة تلك التحصينات الجانبية التى لا غنى عنها فى الدفاع عن الحصن ٠

واذا فحصنا تخطيط العالم الأثرى لبسيوس وجدنا أن دعامات الحصن غير متشابهة فان ارتفاع هذه الدعامات يبلغ حوالى ١٣ قدما ، كما يصل السمك الى ثلاثة أقدام فى بعض الأحيان وخاصة فى القسمين المجـــاورين للحائط الجنوبى الرئيسى ٠

ومعظم الدعامات الباقية فى الجهة الغربية أو الشمالية يتراوح سمكها فى الأجزاء العليا بين ستة وسبعة أقدام ، بل أن احدى هذه الدعامات بالحائط الجنوبى أضخم من ذلك بكثير ٠

وهناك ثلاث دعامات خشبية أخرى تبدو كأنها أبراج مربعة الشكل تتصل ببناء وقاعدة الحصن الرئيسى بواسطة جدار أقل سمكا من الجدران الأخرى ٠

ويمكننا أن نوجه نقدا شديدا الى نظام اقامة تلك الدعامات ، فـــان الطنف أو الطوار العلوى كان من الضيق بحيث لا يسمح بوضع منجنيقين للدفاع أحدهما معاكس للآخر فى نفس الاتجاه ، مع اعطاء الحيز اللازم لاستعمال كل منهما بحرية مطلقة ٠

على أن القسم الجنوبى من ذلك الطوار وان كان أفضل من ذلك تسليحا الا أن رجال المنجانيقات الذين كانوا يعملون فوقه لابد أنهم قـد تعرضوا للخطر أكثر من المدافعين عن بناء الحصن الرئيسى ٠

ذلك ان اقامة التحصينات الجانبية على الوجه الذى ذكرناه كان خطأ ، فان الانسان لا يستطيع أن يحصل على نظام دفاعى محكم بواسطة أبنية لا تتصل مباشرة بالجدران الرئيسية مهما كانت تلك الأبنية قوية أو متينة .

ولهذا كان على الحصن الرئيسى أن يحمى نفسه بواسطة تحصينات تقوم على أساس من تخطيطات معمارية خالصة ، كما يجب أن نلاحظ أن الدعامات كانت متقاربة جدا فى أماكن عدة من الحصن وبخاصة من الجهة الغربية .

ولعل المهندس المعمارى الذى بنى حصن سمنة قد اتبع فى عملية البناء تلك المبادىء التى اتبعت فى تشييد حصنى أبيدوس وكوبان ، معتقدا أن الاكثار من الدعامات يجعل الحصن عزيز المنال كما لم يستطيع التجاوز عن فكرة التحصينات الجانبية .

وعند المدخل الرئيسى والقسم الداخلى من الحصن قال دى فوجيه عنه أنه شاهد بابين كبيرين فى الجدار الشمالى الصغير ، يفصل بينهما مسافة تقل عن ٤٠ قدما .

على أن تخطيط لبسيوس الذى يعطينا صورة واضحة للمدخل الغربى لا يظهر لنا فى الجدار الشمالى سوى فتحة غير واضحة المعالم ، ومن المحتمل أن الباب الذى رسمه ذلك العالم كان المدخل الوحيد من الجهة الشمالية لأن الانسان لا يستطيع أن يدرك أية فائدة لوجود الباب الآخر .

والواقع أن ذلك الجانب الشمالى هو نقطة الخلاف بين كل من لبسيوس ودى فوجيه اذ اختلف كلاهما على مكان الدعامات التى كانت تحمى الباب .

ولنتفق مع ما ذهب اليه لبسيوس أن اتساع الباب كان يتراوح بين اثنين وثلاثة أقدام ، وعلى جانبيه ممر يبلغ اتساعه سبعة أقدام ، وكان الجانب الأيسر لذلك الممر يمتد لمسافة ثلاثة عشر قدما ، وينتهى ببرج كبير عال .

وكانت أجزاء الحصن المختلفة يتباين طرازها ، فبينما نرى فى الجانب الغربى طنفا مرتفعا كان بالجانب الشمالى بهو داخلى ضيق وعميق ٠

وعلى الجوانب الثلاثة الأخرى للحصن احتفرت ثلاثة خنادق عند حافة عريضة وعميقة حول الأسوار الخارجية وكسيت واجهتها الرئيسية بمواد بنائية جافة ٠ كما كسيت منحدراتها بالحجارة ، وأصبح سطحها منحنيا بزاوية ٦٠° ، الأمر الذى يتيح فرصة ممتازة للمدافعين من الرماة المتحصنين فوق السور ٠

وقد بنيت بين هذه المنحدرات والخندق أسوارا عالية من الطوب الخام على قاعدة حجرية وتمت تقويتها بدعامات خشبية عريضة ، تم تثبيتها فى وضع افقى بحيث تكون موازية لواجهة السور وعلى زوايا قائمة ، ولم يعرف مدى ارتفاعها لأن الأجزاء العلوية منها قد تلاشت ، ولكن يحتمل أن يتراوح الارتفاع بين ٣٠ ، ٤٠ قدما ٠

لقد كانت خطة بناء القلعة تراعى الافادة الى أقصى حد من الرابية الصخرية التى كانت قائمة عليها ، وتغطيتها كلها حتى لا يمكن ترك أرض مستوية يستطيع العدو أن يمركز نفسه فيها بغية تقويض الأسوار ٠

وكان المرور الى المصطبات الواقعة فوق الأسوار يتم بواسطة درج أو مزلقان وكانت الأسوار حتى أجزاءها العليا عريضة حيث كان يسهل الاتصال بين أجزاء القلعة المختلفة على طول الممرات الواقعة وراء المتاريس بدون حاجة الى الهبوط الى داخل القلعة والصعود ثانية ٠

وهناك وراء الأسوار الخارجية الكبيرة فى الداخل ، ساحة كبرى زاخرة بالمنشآت المبنية من الطوب اللبن لايواء رجال الحامية وعائلاتهم وكذلك غرف تستخدم كمخازن ومستودعات الأسلحة والعتاد ٠

ولقلعة سمنة غرب بابان من جهة اليابسة أحدهما فى الجدار الشمالى

والآخر فى الجدار الجنوبى يربطهما طريق عام مرصوف ببلاط من الجرانيت يقع مباشرة فى اتجاه طريق القوافل الكبير المتجهه جنوبيا على طول الضفة الغربية ٠

كانت القلعة تتحكم بصورة فعالة بهذا الطريق ، وكذلك بالممر المائى المطل عليها لأن جميع القوافل النوبية التى كانت تمر بها تقف خارج البوابة الرئيسية انتظارا للسماح لها بالمرور ، فيما كانت القوافل المصرية تستقبل وتجد المأوى والرعاية اللازمة ٠

ومن المظاهر البارزة داخل الأسوار ، وهى وجود معبدين أحدهما مبنى من الحجر الرملى حيث يتألف من حجرة واحدة يبلغ طولها ٣٠ قدما وعرضها ١٢ قدما وهى خالية من الزخارف ، والآخر يتكون من حجرة واحدة كذلك وجدرانه خربة ومتآكلة ولكن عليها نقوش وكتابات مختلفة لتحتمس الثالث ٠

وقد بنى هذين المعبدين تحتمس الثالث على أطلال معبد قديم بناه سنوسرت الثالث من الأسرة الثانية عشرة ، ويقول مخطوط التكريس جدار ذلك المعبد : « تحتمس ٠٠ الاله الطيب ٠٠ من خبر - رع (تحتمس الثالث) لقد جعل المعبد ضريحا له ولأبيه ديدوين (الاله النوبى) ، حامى على النوبة ٠

ولملك مصر العليا ومصر السفلى خع - كاو - رع (سنوسرت الثالث) حيث يقيم لهما معبداً من الحجر النوبى الأبيض الجميل ٠٠٠ حيث أن جلالته قد وجدها فى حالة مخربة كما يفعل ابن صالح من الأبناء ٠٠ ، وفقا لرغبة والده الذى أسند اليه الاقليمين ٠٠٠ والذى رباه الى أن أصبح حورس اله وسيد هذه الأرض ٠

وعلى الجدار الغربى للمعبد ، فى الداخل يرد ديدوين بلطف على هذا

التكريس بقوله : « ابنى المحبوب من - خبر - رع ، ياله من صرح رائع جميل ... اقمته لابنى المحبوب ، ملك مصر العليا ومصر السفلى ... خع - كاو - رع .

لقد خلدت اسمه الى الابد ، حتى تكتب له الحياة ... واذا نظر المرء الى هذا المكان الصغير فانه يشعر بان ديدوين قدم شكره مقابل انعامات صغيرة ».

وقبل أن يقوم تحتمس الثالث باعادة بناء معبد سنوسرت ، كان تحتمس الأول قد بنى معبدا قبله ، ولكن لم يتبق منه سوى أطلال وحجارة منهارة وأساسات واحدة .

وبعد ذلك اقام طهارقة (Taharqa) الفرعون النوبى من الأسرة الخامسة والعشرين معبدا من الطوب اللبن عام (٦٨٨ - ٦٦٣ ق.م) . وقد بنى الطريق المغطى المؤدى الى النهر وجميع وسائل امدادات المياه اليه وكلها مبنية من منشآت قوية ، زودت بسقف من الواح كبيرة وضخمة - وهو أمر ضرورى فى حالات الحصار والحروب .

« قلعـة سـمنة شـرق »

تعتبر قلعة سمنة شرق (التى تعرف بقلعة كمة) الواقعة على ضفة النيل الشرقية اعلا من جارتها الاكبر حجما الواقعة قبالتها مباشرة ، ولكنها أصغر من سمنة غرب ٠

وهذه القلعة أقل احكاما من قلعة سمنة غرب فى تخطيطها ومن قوة وضخامة مبناها ، وبينما نجد مقاييس سمنة غرب حسب تقديرات بعض العلماء ٧٤٧ قدما طولا و ٥٨٥ قدما عرضا فان سمنة شرق يبلغ طولها زهاء ٣٨٠ قدما وعرضها ٢٢٨ قدما فقط ٠

فهى عبارة عن مساحة كبيرة تحيط بمنطقة غير منتظمة تشبه مربعا ٠ وهناك برج كبير بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية ويمتد جدار سميك جنوبا لتغطية الكتلة الصخرية المرتفعة أمامه ، وتجعل من المستحيل وقوف أى عدو على الأرض قبالتها ٠

وهذا الموقع يعتبر محصن من الناحية الطبيعية والعوامل الجيولوجية نفسها ، ولذلك ليس ثمة حاجة أو ضرورة الى اجراء أى اضافات فنية كما هو الحال فى سمنة غرب ٠

ان المعبد الصغير الواقع فى الزاوية الشمالية ـ الغربية قد بنـاه تحتمس الثالث وحتشبسوت ، وتم وقفه الى الاله خنوم وسنوسرت الثالث ٠

وبعد وفاة الملكة العظيمة حتشبسوت قام خليفتها المحب بمحو اسمها ووضع اسم تحتمس الثالث مكانها ، وعمد امنوفيس الثانى بعد ذلك الى تجديد المعبد الذى لم يهتم باسم أبيه أكثر مما أهتم بذكر اسم تحتمس الثالث بدلا من حتشبسوت ٠

هذه هى سلسلة القلاع الهامة التى استطاع المصريون أن يتحكموا بواسطتها على تلك الطرق وذلك الامتداد للنهر المضطرب والأراضى المهجورة ٠

وهذه الأراضى معروفة باسمها المحلى « بطن الحجر » وهذا الاسم

يكفى لوصف وحشتها وقفرها ، على أن هذه الأراضى لها اهمية كبيرة خصوصا أن طريق القوافل يخترقها عبورا الى الأراضى الغنية فى أقصى الجنوب .

وكانت هذه القوافل عند مرورها شمالا أو جنوبا تحمل الذهب والعاج والابنوس وريش النعام ، بينما كان الطريق المائى له ضرورة أشد لكى يسهل العبور بحرية للأساطيل التجارية والسفن المحملة بالبضائع والمسافرين والمسؤولين المتجهين الى مقاطعاتهم فى الولايات المختلفة .

كان الشلال الثانى اكثر المناطق الهامة انكشافا وتعرضا للهجوم على الطريق الجنوبى ، ولذلك فاننا نشاهد تلك السلسلة من القلاع والحصون القريبة من بعضها البعض بحيث يسهل الاتصال فيما بينها بالاشارات عند أى خطر .

وهى تتحكم كذلك فى مسافة وطول المنطقة ، وقادرة على حماية القوافل والأساطيل المصرية أثناء مرورها أو ضد النوبيين غير المرغوب فيهم من استخدام هذه الطرق .

كانت الحاميات التى ترابط فى هذه القلاع صغيرة ويقدر رايزنر عدد أفراد الحامية بحوالى مائة فرد لقلعة مثل أوورونارتى ، وحوالى ٣٠٠ فرد لقلعة سمنة غرب ، ٢٠٠ فرد لقلعة سمنة شرق .

لأن هاتين القلعتين تعتبران من أهم المحطات فى الخط كله ، حيث تتحكمان فى أكثر الممرات صعوبة ، كما كانت تتحملان عبء الهجوم الأول الذى كان يشنه النوبيون بين فترة وأخرى .

ان طبيعة الحياة فى هذه القلاع لابد أنها كانت موحشة ، بالرغم من الزيارات العارضة التى كان يقوم بها الموظفين القادمين من العالم الكبير خارج الصحراء القاسية بيد أن خط القلاع يبدو أنه قد حقق الغرض الذى أقيم من أجله .

والقوة المحاربة التى كان قائد سمنة غرب يستطيع أن يدفع بها الى

المعركة تقدر بين ١٥٠ ، ٢٠٠ مقاتل لردع أى محاولة هجوم أو غزوة عارضة يقوم بها النوبيون ٠

فان مثل هذه القوة المؤلفة من جنود نظاميين لا شك انها كانت قادرة على سحق اى غارة عادية تتعرض لها القلعة لغرض السلب والنهب ٠

ولكن عندما تحدث أمور أخطر مثل تمرد « كوش الخسيئة » فى حالات قليلة على غزاتها ، يبادر قائد الحامية الى ارسال اشارات على طول خط القلاع حتى تصل الرسالة وحتى يمكن تنفيذ بلاغ التمرد بواسطة مراكب سريعة مرابطة فى النهر أسفل الشلال ٠

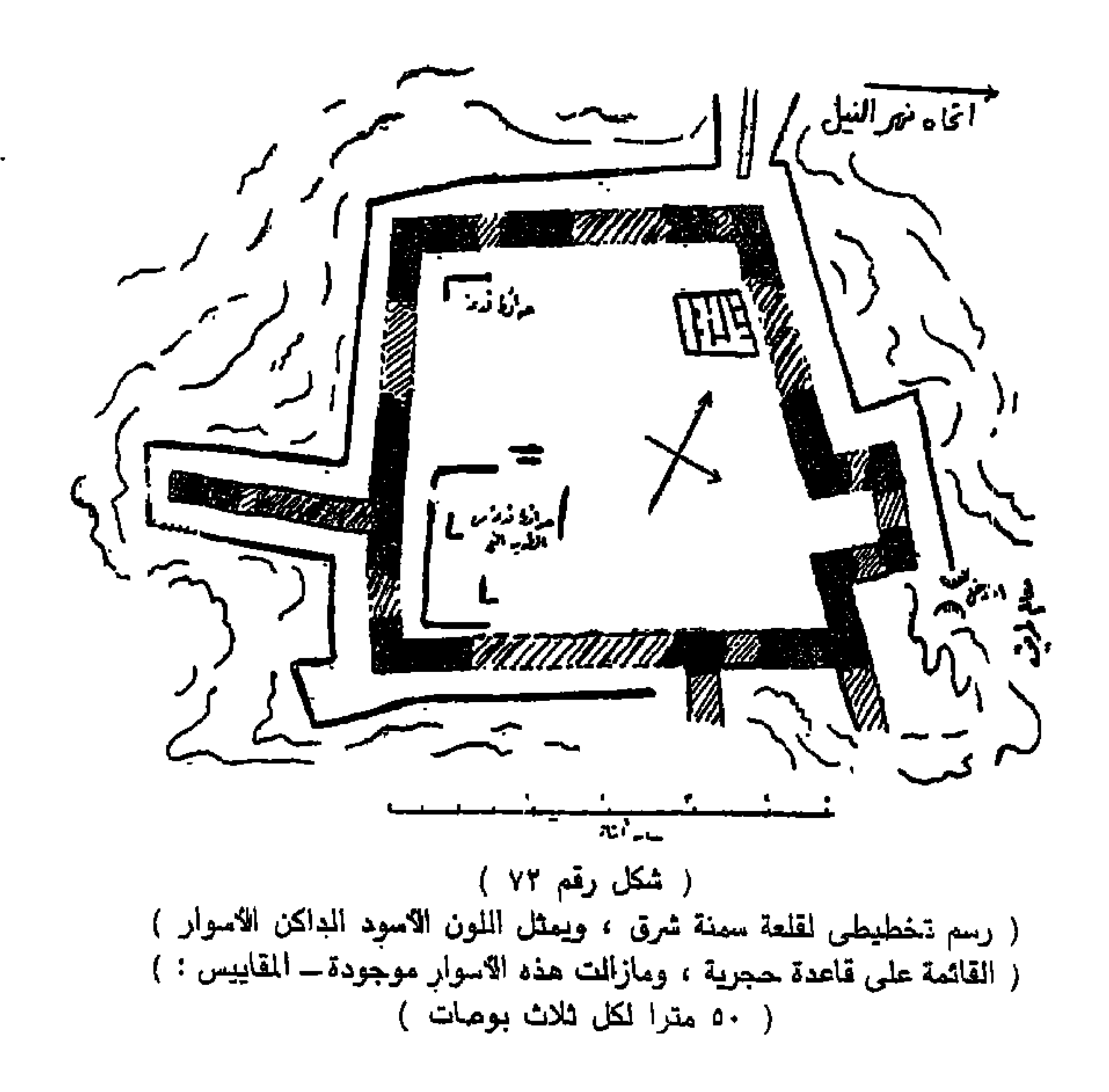
وبعد ذلك يتعين عليه أن يسحب حامياته لتتحصن وراء أسوار القلاع القوية حيث يرابطون فيها إلى أن يسأم النوبيون ويصيبهم اليأس ويضربوا رؤوسهم فى الحجارة والطوب ، أو حتى تصل قوات وتعزيزات من مصر لنجدتها وتشتت أعدائهم ٠

ومما يجدر ملاحظته تلك التسجيلات المدونة عن مستوى ارتفاع فيضان النيل المنقوشة على بعض الصخور على جانبى الممر عند سمنة ، فهناك على المرتفع الصخرى بالقرب من سمنة شرق نشاهد ١٨ من هذه التسجيلات المنقوشة ٠

كما نشاهد تسعة سجلات أخرى على الضفة الغربية ، وبذلك يكون مجموعها ٢٧ تسجيلا ، منها ١٩ تسجيلا من عصر الملك امنمحات الثالث الذى خلف سنوسرت الثالث الذى بنى وشيد العديد من القلاع ٠

كما نشاهد سجل آخر من عصر امنمحات الرابع وواحد آخر من عصر « سب ــ كنو ــ نفرو » (Sebcknofru) وأربعة اخرى من أيام سغم ــ خوتاوى ــ رع ، سبك ــ حوتب ٠ (Sekhemkhutauire - Sebekhotpe) من الأسرة الثالثة عشرة ٠

ويعود تاريخ هذه التسجيلات الخامسة والعشرين الى عصر الدولة الوسطى ــ حيث تتفق جميعها فى معدل تسجيل منسوب الفيضان وهو حوالى ٢٥ قدما أى أعلى من مستوى الفيضان الحالى ٠



(شكل رقم ٧٢)

(رسم تخطيطى لقلعة سمنة شرق ، ويمثل اللون الاسود الداكن الاسوار)
(القائمة على قاعدة حجرية ، ومازالت هذه الاسوار موجودة ــ المقاييس :)
(٥٠ مترا لكل ثلاث بوصات)

وتفسير ذلك على مـا يبدو هو أنه أثناء حكم سخم ـ حوتاوى ـ رع ، سبك حوتب أو بعده مباشرة أدى تآكل الصخرة الواقعة على الجانب الغربى من القناة الغربية للنهر الى انهيار وتفتت كتلة ضخمة من الصخور الغربية .

وكان من نتيجة ذلك تعميق وتوسيع القنال الغربى الى حد جعـل ارتفاع مستوى فيضان النيل لا يصل الى المنسوب المسجل على الصخور وذلك قبل حدوث هذا التغيير ، وتوقفت التسجيلات عن المحافظة عند هذا المنسوب .

بعد أن نترك منطقة سمنة شرق وسمنة غرب نجد أن الآثار الواقعة جنوبى سمنة وبين تلك المنطقة ومنطقة كرما منتشرة على امتداد زهاء ٢٠٠ ميل تقريبا ويصعب على السائح العادى الوصول اليها الا بواسطة القوافل أو المراكب السياحية ، وبعد جهد وتكاليف باهظة ومشقة كبيرة .

ومن السهولة بمكان الوصول الى أى منطقة آثار من كرما وبعدها وذلك بركوب القطار الى أبو حمد من وادى حلفا ، ومن هناك يمكن مواصـلة السفر بركوب قطار آخر فرعى الى منطقة كريما .

وفى منطقة كريما يمكن استئجار قوارب نهرية لزيارة حقول الأهرامات فى تلك المنطقة عند نورى (Nuri) وكورو (Kura) . وتسير سفينة تجارية مرة فى الأسبوع أثناء فصل الشتاء الى كرما (وعلى الركاب أن يدبروا أمر زادهم من الطعام) .

ان جميع هذه المناطق الجذابة حافلة بالذكريات التى لا تلبث أن تتلاشى بسرعة عندما يتذكر الانسان التاريخ ومحاولة الجنرال جوردون لاحتلال تلك المناطق بما فيها السودان و « حرب النهر » التى أعقبتها .

وقد انتهت جميع تلك المعارك فى عطبرة فى ٨ أبريل عام ١٨٩٨ ، وأم درمان فى ٢ سبتمبر ١٨٩٨ .

ان بعض الأسماء مثل عكاشة ، فركا ، كوشا ، سووندا ، جنيبس ، ما زالت مألوفة لجميع البيوت البريطانية فى المدة بين سنتى ١٨٨٤ ، ١٨٩٩

عند محاولاتهم احتلال السودان واخضاع أهلها لهم ، حيث تبدو لهم هذه الذكرى الآن كانها تنتمى الى ماض أو حلم بعيد .

ومن سمنة الواقعة على بعد ٤٣ ميلا من وادى حلفا ، الى جزيرة ساى لانجد نجد منطقة قفراء طولها حوالى ٩٠ ميلا خالية وقاحلة دون وجود اى آثار ذات بال أو أية مخلفات هامة فيها .

على أنه يوجد فى جزيرة ساى هذه بعض الأطلال والخرائب لمعبد صغير يعود تاريخه الى الأسرة الثامنة عشرة مع وجود نقوش فيه لتحتمس الثالث وابنه امنوفيس الثانى

وعلى الضفة الشرقية المواجهة للطرف الشمالى للجزيرة نفسها كانت توجد حتى عام ١٩٠٥ بقايا أطلال معبد عمارة (Amara) الصغير الذى بنته احدى ملكات الدولة المروية أو النوبية الجنوبية ، ولكن هذه البقايا للأسف قد اختفت الآن تماما ، لأن السكان والمواطنين فى هذه المنطقة استخدموا أحجاره لأغراضهم فى البناء .

بعد ذلك باثنى عشر ميلا نشاهد بقايا معبد سيدنجا الذى بناه امنوفيس الثالث تكريما لزوجته المحبوبة تيى (Tiy) التى رفعها الى مرتبة الآلهة الراعية للنوبة ..

وعلى بعد ١٢ ميلا أخرى الى الجنوب ، تقع أطلال خرائب معبد سوليب (Soleb) الذى يعتبر أكثر المعابد المصرية حفظا فى النوبة العليا .

لقد بنى امنوفيس الثالث هذا المعبد تكريما للاله آمون - رع وذاته المقدسة ، ويصف الملك فى مخطوطه المنقوش على لوحة جرانيت سوداء ، التى اغتصبها بعد ذلك الملك منفتاح ونقش عليها أنشودة النصر التى تنطوى على أول اشارة مخطوطية الى أبناء اسرائيل ويقول فى هذا المخطوط :

« لقد أقمت ابارا أخرى لآمون الذى لا مثيل له .. لقد أقمت لك بيتك الذى سيبقى ملايين السنين خالدا .. لآمون - رع ، رب طيبة .. الذى يسمى « المضىء فى الحق » المهيب فى ذاته .. وهو المقر الاخير الابى

فى جميع اعياده .. لقد استكمل بناؤه بحجر رملى أبيض جميل .. وقد رصع كله بالذهب .. وزخرفت أرضيته بالفضة .. كما زخرفت جميع أبوابه من الذهب .. واقيمت بجواره مسلتان عظيمتان واحدة على كل جانب .. وحينما ينهض ويشرق أبى بينهما أكون أنا من اتباعه (١) .. »
(برستد ـ النصوص القديمة حـ ٢ ص ٨٩٠) .

ومما يدعو الى الأسف أن وصف الملك لمعبده لا يتناول الخصوصيات أو امجاده وأعماله وحياته اليومية مثلا ، بل يتناول تعبيرات غامضة عن العظمة والابهة التى ألفناها كثيرا فى جميع مخطوطات ونقوش المبانى .

ولكن الجانب العام لذلك المبنى العظيم يمكن الوقوف عليه من بقايا الأطلال المتبقية ، ويتم الوصول اليه عن طريق ممر عريض مزين على جانبيه صفان من تماثيل الكباش .

وهناك بالقرب من الصرح الأول ذو الأبراج ، أو بينه وبين البوابة الثانية ، قد وضع تمثالان رائعان لأسدين من حجر الجرانيت الأحمر المعروضان الآن فى المتحف البريطانى .

وهناك بين الصرح الأول والثانى فناء كبير له ستة أعمدة يبلغ طولها ٧٠ قدما وعرضها ٤٥ قدما ، ومنها يؤدى سلم صاعد الى باب بوابة الصرح الثانى الذى يبلغ عرضه ١٦٧ قدما .

ويؤدى هذا الباب الى فناء آخر يبلغ طوله ١١٣ قدماً وعرضه ٩٠ قدماً وتحيط جميع جوانبه الأربعة ببوابة من الأعمدة يبلغ عددها ٢٨ عمودا .

ويقع خلف الفناء الثانى قاعة الأعمدة الأولى تليها صالة ثانية يبلغ طولها ١١٣ قدما وعرضها ٧٨ قدما تضم ٣٢ عمودا .

وهكذا يتضح لنا أن معبد سوليب (Soleb) كان مبنى على جانب كبير من الأهمية ومن المعابد العظيمة فى طيبة ، ولا تتلاشى أهميته حتى لو وجد مع هذه المعابد الضخمة .

---

(١) (Breasted, Ancient Records, P. 11. 890).

واذا أخذنا الأسود الجرانيتية المعروضة فى المتحف البريطانى كنموذج جميل لزينة المعبد فان معبد سوليب يقف فى مصاف المعابد المصرية القليلة التى لا تقل عنها روعة وفخامة .

ويقول المخطوط المنقوش على تمثال أحد الكباش التى تزين المدخل : « ليعيش الاله الطيب .. نب - ماعت - رع (Nebmaetra) ابن - رع امنوفيس الثالث .. لقد جعلها كضريح له لصورته .. نب - ماعت - رع ، سيد النوبة .. والاله العظيم ، سيد السماوات ، أقام له قلعة ممتازة .. يحيط بها سور عظيم عليه شرفات أكثر ضياء من السموات .. ، مثل المسلات العظيمة التى أقامها الملك أمنوفيس .. حاكم طيبة .. - لتعيش ملايين وملايين السنين .. والى أبد الآبدين .. ليعيش الاله الطيب .. لقد جعل هذا المبنى ضريحا لأبيه آمون .. سيد طيبة .. جاعلا له معبـدا مهيبا .. كان كبيرا جدا واسعا ، وازداد أبهة وجمالا .. ان بواباته ذات الأبراج تعلو حتى السماء .. وتصل ساريات أعلامها الى نجوم السماء .. وهى تشاهد على جانبى النهر .. ترسل الضياء الى الأرضين .. (١) » (برستد - النصوص - القديمة - حـ ٢ ص ٨٩٤) .

ان كل هذه الآثار التى تقدم ذكرها ، وان كانت جميلة ورائعة ، الا أنها تترك أثرا قويا وخلابا فى النفس .

كما أن أحد الأسدين المعروضين فى المتحف البريطانى يحمل خرطوشا لتوت عنخ آمون ، الذى يحكى بصراحة أنه هو « مجدد ضريح أبيه » أمنوفيس الثالث .

لذلك فليس هناك شك فى أن كلا من الأسدين - من عمل أمنوفيس الثالث ، لقد أزيل اسم صانع هذين الأسدين اثناء ثورة اخناتون الدينية والذى دفعه حماسه لمحو اسم آمون الكريه وتحريم عبادته فى مثل هـذا المكان البعيد ، والذى لم يمنعه تدينه القوى من انتهاك اسم أبيه .

---

(١) (Breasted, op. cit. 11, 894).

وعلى مسافة حوالى ١٩٠ ميلا جنوبى وادى حلفا ، وعلى الضفة الغربية تقع منطقة سيسيبى (Sesebi) حيث توجد أطلال معبد « جم — آتون » الأثيوبى ، وهو المعبد الذى كرسه أخناتون لعبادة الهه آتون تمشيا مع سياسته الخاصة بجعل الوهيته هى السائدة والوحيدة فى طول الامبراطورية وعرضها ٠

ان منطقة سيسيبى هى أيضا المركز الرئيسى لعبادة جم — آتون فى معبده الوحيد الذى تبقى يصارع الزمن ، ولكن نظيره السورى لم يعثر عليه بعد كما كان يقال ٠

ويبلغ طول هذا المعبد المهدم ١٣٠ قدما وعرضه ٦٥ قدما ، ولذلك فانه لا يعتبر معبدا متكاملا من الدرجة الأولى بالنسبة لحجمه ، ومازالت هناك ثلاثة اعمدة متبقية فى القاعة الأولى مهشمة ومتآكلة وكما هو متبع فان جميع مناظر اخناتون لم تلق معاملة افضل من تلك التى عامل بها هو بقسوة أيضا عقيدة آمون رع وكهنته ومعابده ، فقد اغتصبها سيتى الأول وبذلك عادت عقيدة آمون مرة أخرى الى وضعها الصحيح ٠

عند رأس الشلال الثالث وعلى بعد زهاء ٢٠٠ ميل من وادى حلفا تقع جزيرة تومبوس (Tombos) التى قام تحتمس الأول بتحصينها بعد أن غزا النوبة العليا وأقام المحطة الحدودية للامبراطورية المصرية فى الجنوب ٠

وقد يكون مخطوط تومبوس الشهير ذا اهمية تاريخية أكبر لو لم يتناول الكاتب « الجوانب البلاغية » للأمور بدلا من الحقائق الصريحة ، وكنتيجة لاهتمامه السيء للجمل والأساليب الرنانة ، فان كل ما يمكن معرفته من المخطوط هو أن تحتمس الأول فتح النوبة حتى هذه النقطة واقام فيها قلعة ضخمة لحماية الحدود وامتدت امبراطوريته الآسيوية حتى نهر الفرات ٠

وتقول الفقرة التى تشير الى بناء القلعة ما يأتى :

قام رجال البلاط ببناء قلعة لجيشه سميت ٠

« لا يوجد أحد يستطيع ان يقاومه من بين الاقواس التسعة مجتمعة ٠٠ ، فهو يبدو كفهد بين ماشية هاربة ٠٠ ، ان شهرة جلالته قد أعمتهم ٠٠ » ٠

أما الفقرة التى تشير الى حدوده الاسيوية فقد أصبحت مشهورة من وصفها الغريب للفرات حيث جاء فيها :

« تلك المياه المقلوبة التى تتكون مع التيار ثم تجرى ضد التيار ٠٠ » ٠

أن هذا الوصف الساذج رأسا على عقب يصبح واضحا تماما عندما نتذكر أنه ليس للمواطن المصرى فكرة عن وجود نهر عظيم اللهم سوى نهر النيل الذى تنساب مياهه شمالا ٠

لذلك فان الفرات عند منحنى قرقيش الكبير حيث يراه المصريون لأول وهلة وهو يتدفق ويجرى جنوبا ، وهذا بطبيعة الحال يبدو لهم كانه قلب تام للنظام العام لطبيعة الأشياء ٠

وعند كرما الواقعة على بعد ٢٤٦ ميلا من وادى حلفا نصل الى نقطة ، وان كانت ذات أهمية ضئيلة من ناحية مظاهرها الخارجية ، الا أنها بالغة الأهمية فيما يتعلق بافكارنا ومفاهيمنا عن علاقات الدولة الوسطى بالسودان ٠

ثم نوع الحجارة وطبيعتها التى سادت فى الاقليم الجنوبى فى عهد الفراعنة العظام من الأسرة الثامنة عشرة ٠

ان الاكتشافات الاثرية الهامة التى القت الكثير من الضوء على هذه النقط والتى أجراها (الدكتور ج٠أ٠ رايزنر فى السنوات ١٩١٣ — ١٩١٥ رئيس بعثة جامعة هارفارد ـ بوسطن) ، فهناك عند كرما نشاهد كومتان كبيرتان من الطوب اللبن ٠٠

وهما متشابهتان من الظاهر ويفصل أحدهما عن الاخر مسافة ميلين تقريبا ويعود تاريخهما الى عهد الدولة الوسطى ، واحد هذين التلين يسمى محليا دفوفا الغربية (Defufa) حيث كانت بمثابة محطة تجارية محصنة من ذلك الطراز الذى كان أجدادنا فى ابان وجود « شركة جون » فى الهند يسمونه وكالة ٠ وقد أسفرت الحفائر عن كشف عدد كبير من الاختام الطينية ٠

وذلك يقيم الدليل على انه كان يستخدم كمستودع التجارة الاقليم كما عثر على كميات كبيرة من المواد غير الجاهزة أو تحت التصنيع مثل الأوانى الفخارية والخرز والخزف والصينى ، مع توافر المواد الخـــام اللازمة لانتاج مثل هذه الأشياء ٠

كانت القلعة مبنية من الطوب اللبن فى معظم اجزائها التى ما زالت متبقية ، بيد أن الغرف الواقعة على الجانب الشرقى تدل على أن ذلك الموقع قد تعرض لحرائق مدمرة ٠

ومن المحتمل أن ذلك كان ايذانا بنهاية الاحتلال أيام الدولة الوسطى حينما تبع الفراعنة الضعفاء الملوك الأقوياء من الأسرة الثانية عشرة ، وتمزقت أوصال الامبراطورية وتعرضت مصر السفلى الى غزو الهكسوس ، وقام السودان بالثورة المهدية ٠

ومما لا شك فيه أن الوكالة التجارية قد تعرضت للاعتداء والحرق ، وزال الحكم المصرى حتى أن الفرعون كاموس من الأسرة السابعة عشرة اضطر الى الجار بالشكوى من انه يجلس فى طيبة جنبا الى جنب مـع آسيوى وزنجى ٠

ولكن مما يثير فينا اهتماما ازيد هو تلك الأكوام الثلاثة الجنزية الكبيرة المشكلة على شكل طبق منبسط والتى كشفت مع أخرى من نفس النمط والطراز وان كانت اقل اهمية ٠

وقد دلت على أنها مقابر لثلاثة فراعنة من الحكام المصريين للسودان منهم مدفن الفرعون حب ـ زيفا (Hepzefa) أمير أسيوط الذى سبق أن زرنا بالفعل مقبرته الصخرية فى مدينته الأصلية ٠

لقد أصبح الآن واضحا لماذا كان حب ـ زيفا مهتما بابرام عقود مع الكهنة الجنائزيين فى أسيوط للحفاظ على اقامة طقوسه الجنائزية ومداومة تقديم القرابين لالهه « كـا » وتمثاله وليست لقرينه ٠

وعنما كان حب ـ زيفا يبرم العقود كان يعرف انه ذاهب فى رحلـة طويلة الى السودان وربما توافيه المنيـة هناك أو فى الطريق ويدفن فى

الأراضى السودانية وليس فى أسيوط كما كان يرغب ، لذلك كان يعمل على توفير الضمان لنفسه على أية حال .

وقد عمد الى صياغة العقود المتعلقة بتقديم القرابين الى تمثاله وهو على علم بأنه اذا دفن فى السودان فان قرينه « كا » لن يكون فى اسيوط لاستقباله ولكن تمثاله سيحل محله .

وقد تحقق ما تنبأ به سابقا ووافته المنية فى السودان ودفن فى الكومة الترابية رقم ٣ فى كرما ، ودفن معه تمثاله (ليس التمثال الذى عثر عليه فى أسيوط) بل التمثال الذى عثر المستكشفون على قاعدته فقط .

وكذلك تمثال زوجته سينووى (Senauwy) ، وأن العثور على اسمها على التمثال الأخير واسم والده الأمير « اديو » المنقوش على قاعدة التمثال ، قد أكد شخصيته وجعل التعرف عليه أمرا مؤكدا .

ذلك أن اسم السيدتين المذكورتان فى النقوش التى عثر عليها فى مدفن حب ـ زيفا فى أسيوط مذكورين فيها أيضا .

بيد أن مدفن كرما كان شيئا مختلفا تماما كل الاختلاف عن المقر الأبدى اللائق الذى كان قد أعده لنفسه فى أسيوط ، ومما لا شك فيه أن السودانيين كانوا يتخيلون أن هذا المقر أروع من ذلك بكثير وأكثر فخامة ولكن هذه الفخامة كانت من اللون الذى يمكن تسميته بربريا وهو أقل وصف يمكن أن توصف به .

ان الوصف الذى أطلقه الدكتور رايزنر عليه فيه الكفاية وذلك فيما يتعلق بالحقائق ، ويمكن الاكتفاء بتركها لكى تتحدث عن نفسها :

لقد كانت هذه المدافن الخاصة بالحكام المصريين من طراز معمارى غير معروف فى مصر (المقابر الكومينة) . ولنتصور دائرة قطرها يتراوح بين ثمانية وتسعين مترا مرسومة على سطح صحراء يابسة ومحددة بسور من الطوب اللبن لا يزيد ارتفاعه عن عشرة سنتيمترات فقط .

وهذه الدائرة يخترقها من الشرق الى الغرب جداران طويلان من

الطوب اللبن بحيث يكونان دهليزا طويلا عرضه يتراوح بين مترين وثلاثة أمتـــار .

ومن خارج هذا الدهليز تمتد جدران عرضية من الطوب اللبن تفصل بين جدار وآخر مسافة متر أو مترين تمتد الى محيط الدائرة .

وتبدأ هذه الجدران بارتفاع يبلغ عشرة سنتيمترات عند محيط الدائرة ثم تأخذ فى الارتفاع تدريجيا حتى تصل الى ارتفاع مترين أو ثلاثة أمتار فى الوسط .

وقد ملئت جميع الفراغات فى الدائرة ، باستثناء الدهليز بالتراب وتنفتح من وسط الجانب الجنوبى للدهليز غرفة لها سقف بمثابة قبو مبنى من الطوب اللبن ، وبذلك تكون المقبرة مجهزة فى أى وقت لاستقبال الموتى .

وقد اقيم احتفال جنائزى كبير ذبح فيه ألف ثور دفنت رءوسها حول النصف الجنوبى من الدائرة من الخارج ، ودفن جثمان الأمير بعد ذلك فى الغرفة ذات القبو مع قرابينه ، ثم اغلق عليه الباب الخشبى .

ويجرى تخدير الضحايا الآدمية من العبيد التابعين للأمير وتقديمهم كقرابين ، وكلهم من النوبيين المحليين أثناء الاحتفال بدفن الأمير ، وذلك بواسطة مخدر أو خنقهم ثم يجلبون ويمددون على أرض الدهليز كحراس له فى الآخرة .

وقد يتراوح عددهم بين مائتين وثلاثمائة من الرجال والنساء والأطفال ، ويوضع معهم عدد صغير من الأوانى والقدور المملوءة بالحبوب ، كمـا توضع معهم حليهم وأوانيهم وبعض الأسلحة الصغيرة .

ويجرى بعـد ذلك ملء الدهليز بالرمـال والرديم حتى يغطى تماما بحيث يشكل مرتفعا عاليا له قبة ويتم تغطية هذه القمة بأرضية من الطوب اللبن ، ثم يقام هرم صغير من البللور الصخرى (حجر الكوارتزيت) على هذه القمة .

واعتقد أن هيكلا من الطوب اللبن كان يبنى حول الحجر أو فوق القمة (١) •

ومما لا شك فيه أن الأمير حب – زيفا وشقيقه الحاكمين الآخرين – مع بقية النواب وحكام الأقاليم قد شغلوا أماكن أصغر فى المقبرة ، وكذلك بقية أعضاء أسرهم الذين بدأوا بعد وفاة الأمير مباشرة على استخدام الجبانة كمدفن دائم لتقديم الضحايا النوبيين على نظام ضيق استرضاء لروح الأمير •

وهم يقولون أنهم بذلك التمسوا العذر لأنفسهم بأنهم يتبعون العادة الوطنية لتأليهه كاله طبيعى للخلق مثل أى اله مصرى ، حيث لا يمكن أن يظفروا بأقل مما اعتاد أن يحصل عليه الأمراء الوطنيون من اتباعهم •

ولكن المرء يستطيع أن يدرك ويتسائل ويستعجب عن تلك المجزرة البشرية التى تجرى لأمير محلى وأن تكون شيئا شائعا اذا ارتكبت لشخص غريب ينتمى الى جنس معين من الغزاة المكروهين الطغاة •

ولسنا بحاجة الى تقصى الحقائق والأسباب التى أدت الى اقتحام المركز التجارى واحراقه حينما ضعفت القوة المصرية •

والشىء الغريب والمحير هو كيف يمكن لمصرى مستنير فى فترة زاهرة متحضرة من تاريخ بلاده أن يسمح لنفسه بالتفكير فى العودة الى الأعمال الوحشية والبربرية فيما يتعلق بمراسيم دفنه وآخرته •

ولكن مثل هذا الارتداد والسلوك لا يضاهيه شىء فى تاريخ معاملات الشعوب المتحضرة مع تلك الأجناس المتخلفة والأقل منها تحضرا ، فالنور هو الذى يغزو الظلام ولا يقهره ، ولكن غالبا ما يكون العكس هو الصحيح •

---

(١) (Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston, Vol. XII).

اما بالنسبة لباقى الآثار فى هذه المنطقة ، فان القطع التى استخرجها الدكتور رايزنر من جبانات كرما كانت من نمط وصناعة مصرية ومن مواد محلية ، وهى بما لا يدع مجالا للشك نتاج مصانع محلية اخرجت تحت أشراف الصناع المصريين النماذج المألوفة فى مصر ٠

لم تكن المنتجات الأجنبية تضاهى المصنوعات والمنتجات المحلية فى الجودة والمهارة والمصنعية بل كانت أكبر بكثير من ذلك لدقتها ومتانتها وذوقها الرفيع قبل الاحتلال المصرى لهذه المناطق ٠

والواضح أن النوبة كانت تتعلم من مصر ٠ ومصر أيضا كانت تتعلم من النوبة فنونا واشياءا كثيرة وعادات وتقاليد لم يكن من الضرورى أن تتعلمها ٠

الفصل الثالث والاربعون

« نباتا (جبل برقـل) ومروى »

قبل أن نصل الى الأطلال الهامة لأول مملكة اثيوبية فى كورو ، ونباتا ونورى ، يجدر بنا أن نورد وصفا مختصرا للقصة الغريبة لقبيلة الليبيين الذين يحتمل أنهم غزوا أثيوبيا ، ربما من الواحات الغربية حوالى سنة ٩٥ قبل الميلاد .

وهذه القبيلة اعتنقت عادات وتقاليد المصريين وكيفت نفسها على الاساليب والعادات والمعتقدات المصرية وعبادة ألهتها واتباع النظام الامونى الذى وجدته سائداً هناك فى ذلك الوقت منذ الأسرة العشرين .

وأخذ هؤلاء القبليون تدريجيا يعتبرون انفسهم الأوصياء الحقيقيين على عبادة الاله آمون والورثة الحقيقيين للحضارة المصرية ، وأخيرا بعد أن قويت شوكتهم واشتد ساعدهم غزوا تحت قيادة الفرعون المشهور بعنخى الغازى حيث فتحوا جميع الأراضى والقلاع المصرية .

كانت أرض مصر جميعها تعانى من الصعوبات والنكسات المتلاحقة من الانهيار والتفكك ، ووجدوا تحت أمرتهم لفترة ما - وادى النيل كله من البحر الابيض المتوسط حتى الخرطوم التى ظلت تحت سلطانهم . .

ولم يكن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين أو الأثيوبيين التى تشكلت فى ذلك الوقت ، موفقين فى محاولتهم التى جاءت متأخرة وكان لا مفر من دخولهم فى صراع مرير مع قوى أقوى منهم عتادا وسلاحا وتنظيما ، هى قوة آشور الساحقة تحت قيادة ايزار هادون (Esarhaddon) وآشور بانيبال .

وقد ثبت أن هذه القوة تفوقهم الى حد كبير من جميع النواحى ، ولكن مع ذلك كانت لهم محاولات كثيرة لاقامة امبراطورية قوية تمتد الى جميع مناطق النوبة ومصر العليا والسفلى والسيطرة على الشلالات .

وخاصة اذا أخذنا فى الاعتبار الأساس الواضح البعيد نسبيا الذى كان عليهم أن ينطلقوا منه لاقامة هذه الامبراطورية رغم أن سكان المملكة الاثيوبية والقليلين فى تعدادهم قدموا جميع الامكنيات البشرية لاقامة هذه الامبراطورية ٠

وينبغى أن نتذكر أنه بعد نهاية الأسرة العشرين استولى كهنة آمون (١) فى طيبة على تاج الرعامسة ـ وبعد فترة أخرى حينما اقتسم الملك نسى ـ بانبدد تانيس (Tanis) ملك مصر مع الملوك الكهنة فى طيبة حكما ضعيفا لفترة طويلة ٠

استمر سلطان كهنة آمون يتارجح لفترة طويلة بين القوة والضعف الشائن زهاء ١٥٠ سنة ، وحدث أثناء الجزء الأخير من حكمهم أن أخذت سيطرتهم على الدلتا ومصر الوسطى تفلت منهم بصورة تدريجية ٠

واستطاع أحد زعماء قبائل التيميهو الشماليين أو الليبيين الذى كانوا

---

(١) ازدادت قوة كهنة آمون الذين يملكون مناطق الذهب فى النوبة على اعتبار أنها ملك للاله ، وحافظوا على هذه السيطرة أحيانا بالنفوذ وأحيانا أخرى بالتمرد ، فهناك دليل على ثورة تزعمها الكاهن الأكبر لآمون فى عصر الملك رمسيس التاسع ، وبعد ذلك الحين أصبح البيت المالك تتنازعه حروب أهلية صغيرة ، وفى حكم الملك رمسيس الحادى عشر قامت ثورة أشترك فيها الليبيون ، ولكن أخمدها الحاكم « بانحسى » وفرقته النوبية ، ومنذ ذلك الحين يبدو أن من كان يحكم النوبة بذهبها وكنوزها وجنودها ، كان يحكم مصر نفسها ، ولقد خلف الملك بانحسى الكاهن الأكبر لآمون « حرى ـ حور » الذى اتخذ منصب وزيرا أيضا ، ثم اغتصب بعد ذلك العرش وأصبح ملكا فى عام ١٠٨٥ ق٠م ، ولكنه لم يستطع أن يمد سلطانه الى مصر كلها ، اذ جاءه ملك آخر هو « نس٠بانب٠حبر » وقضى عليه واستولى على الدلتا وحكم فى تانيس ، وبعد موته اتحدت مصر تحت حكم الملوك التانسيين الذين كونوا الأسرة ٢١ ومع ذلك بقى كهنة آمون أمراء أقوياء يتمتعون باستقلال ذاتى ٠ المترجم ٠

لفترة طويلة مصدر تهديد لحدود مصر الغربية ، أن يقيم نفسه حاكما فى هيراكليوبوليس ٠

وقد خلف بويواوا (Buiuawawa)فى هيراكليوبوليس رؤساء قبائل عديدون من طرازه ، وأخيراً استغل أحدهم هذه الظروف وعدم الاستقرار ويدعى شيشنق (Sheshanq) الذى دب فى الأسرة الواحدة والعشرين وقضى عليها ٠ ونصب نفسه فى بوباستس (Bubastis) فرعونا على جميع البلاد ٠

وبذلك كون شيشنق الأسرة الثانية والعشرين أو الأسرة الليبية حيث استطاعت هذه الأسرة أن تستمر تحكم بنجاح حوالى مائتى عام تقريبا ٠

ثم خلفتها بعد ذلك الأسرة الثالثة والعشرين ، وهى أيضا من أصل ليبى ، والتى بسطت حكمها على مصر الضعيفة المنقسمة لعدد غير معروف من السنين قد لا يتجاوز الثلاثين عاما ٠

أما الأسرة الرابعة والعشرين فقد كانت مكونة من ملك واحد هو باك — أن — رنف (Bekenrenf) أو بوخوريس الذى لم يدم حكمه أكثر من ستة أعوام ، وقد انتهت حياته هو وأسرته فجأة حيث كانت سيطرته غير كاملة على جزء هام من مصر ٠

لأن مصر فى ذلك الوقت كانت فى حالة شديدة من التمزق والانقسام ، رغم أن فراعنة الأسرة الثانية والعشرين وهم البوباستيين (Bubastite) الأوائل قد أنقذوها لفترة طويلة من الوقت ، ثم ما لبثت أن عادت الى الفوضى ٠

وقد قام خلالها بعض الفراعنة الصغار بتنصيب أنفسهم فى صورة ملوك حيث عمل كل واحد منهم أن يحتفظ بالسيادة على مناطق صغيرة لمدة قصيرة تسلق اليها الى أن قضى عليهم مستعبدون آخرون أقوى منهم ومن طبقة مماثلة ٠

ان تدخل أثيوبيا الذى نحن بصدد وصفه قد وضع حدا لاستمرار هذه الفوضى واذا كان الفراعنة الأثيوبيين قد فشلوا فى النهاية فى ردع مملكة

آشور ، فليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الطغاة المتنازعين دحروهم وحلوا محلهم ولم يظهروا بصورة احسن لكى يعملوا أو يكافحوا فى الدفاع والحفاظ على مملكتهم كما فعل فراعنة الأسرة الخامسة والعشرين ٠

وفى نفس الوقت حوالى سنة ٩٥٠ ق٠م٠ نجح الليبيون الشماليون أخيرا فى الاستيلاء على عرش مصر ، واخذت قبيلة أخرى من نفس الجنس وهى قبيلة تيميهو الجنوبية تشق طريقها الى اثيوبيا ٠

وقد اختارت هذه القبيلة الجزء الشمالى الأقل خصوبة من النوبة العليا حول جبل برقل كمقر لحكمهم ، ولعل مرد ذلك يعود الى انه كان فى مقدورهم من تلك النقطة أن يتحكموا فى طريق حقول الذهب ، وكذلك طرق القوافل الآتية من الجنوب ٠

لقد استطاع هؤلاء القبليون على مدى ستة اجيال أن يبسطوا سيطرتهم على نباتا ، وكان آخر حكام مملكة نباتا (١) قبل ازدهارها وتحولها الى امبراطورية ضخمة هو كاشتا والد بعنخى ، حيث عمل هذا الفرعون على غزو مصر وصار يتحكم على جزء كبير من مصر العليا ٠

ولكننا لم نعثر على اى أثر من هذا العصر فى النوبة السفلى (واوات) وربما يرجع ذلك الى أن المنطقة أصبحت ساحة قتال واسعة خربتها الجيوش المتنازعة ٠

وقد اختفت آثار القوة المصرية التى كانت قد بقيت منذ أواخر الأسرة ٢١ وأصبحت المقاومة أمام تقدم كوش غير ذات قيمة ، حيث كانت الأسرة المتنافسة فى مصر السفلى تحارب لتكسب السلطة المنفردة ٠

لذلك كان من المستحيل أن توحد الصفوف لمواجهة الكوشيين ،

---

(١) تعتبر نباتا مركز ملوك الدولة الاثيوبية فى السودان ومساحتها تقع بين كريما وجبل برقل على شاطىء النيل الأيمن بالقرب من بلدة مروى الحالية ، ومن أعظم المناظر الأثرية تلك البقعة التى تعرف بجبل برقل حيث يوجد بها هياكل كثيرة ومعبد آمون ، ومركز للهكنة المصريين الذين كانوا يقطنون تلك البقعة فى عهد توت عنخ آمون ، كما تعتبر الوطن الوحيد لملوك أثيوبيا حيث تحتوى على مساحات شاسعة ٠ المترجم ٠

ان أسلاف الأسرة الخامسة والعشرين يمتون بالصلة الوثيقة الى جماعة أخذوا بالحضارة المصرية ولو انهم ينحدرون من أصل كوشى الذى يرجع الى رؤساء مدينة كرمـا •

لقد دفن فى كورو ستة عشر سلفا للفرعون بعنخى ـ غازى مصر ويدل على ذلك من طريقة تطور مقابرهم حيث تحكى قصة هذا التغيير •

ان اقدم المقابر تتكون من حفرة تعلوها كومة طينية مستديرة والجثة ترقد بانحناءه على جانبها الأيمن والرأس الى الشمال ، وقد كسيت الكومة بالحجر ثم تطورت الى جزء يعلو سطح الأرض مبنى من الحجر ايضا مستطيل الشكل وينتهى اخيرا الى الشكل الهرمى الكوشى •

بينما أصبحت المقابر أكثر اتقانا وأخذت شكلا مصريا ، فان توجيه الدفنة قد تغير من شمال جنوبى الى شرقى غربى ، ولكن بعد أن اتبعت الطرق المصرية فى الدفن ، تخلفت معها عادة نوبية واحدة : وهى وضع سرير فى المقبرة يوضع فوق الميت على هيئة النائم •

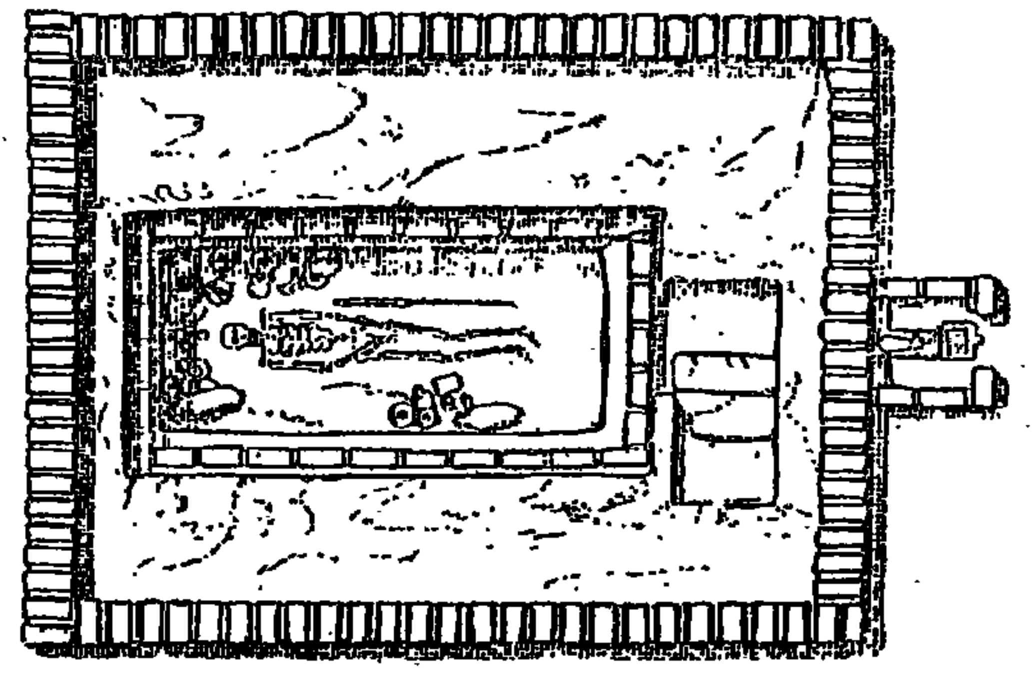
هذه الطريقة كانت منتشرة فى النوبة العليا والسفلى منذ أقدم العصور وبقيت منتشرة حتى العصر المسيحى الذى ازال كل بقايا الوثنية فى القرن السادس بعد الميلاد •

ولكن الطبقة الحاكمة فى كوش قـد أصبحت بصفة عـامة منـذ عصر « كاشتا » والد (بعنخى) مصرية الفن والعمارة والديانة والثقافة والجنس ، اذ نتجت روابط وثيقة بزواج أجيال من المستوطنين المصريين بأهل النوبة •

ولقد دفن معظم حكام تلك الفترة فى حقل هرمى فى كورو وليس فى أهرامات كما كان المعتقد ، ولكن فى قبور ومدافن ومصطبات •

ان هؤلاء الرؤساء الليبيين القبليين الذين نتصورهم يسيطرون على معظم السكان الأصليين لا ينتمون اليهم عرقيا تماما كما فعل النورمانديين فى صقلية ، فقد وجدوا فى نباتا حضارة لها أصولها المصرية القديمة العريقة التى كانت سائدة فى تلك البلاد فى ذلك الوقت •

لقد رأينا كيف أن مصر كانت فى عهد الدولة الوسـطى قـد وطـدت



(شكل رقم ٧٣)

(نموذج لمقبرة من العصر المروى عثر عليها فى النوبة ، وهى نموذج)
(مصغر لمقابر الملوك والأمراء الموجودة فى جبانة مروى)

اقدامها فى أثيوبيا مع فنونها وحرفها وصناعتها ، وان كانت تعتبر كموجة حضارية غريبة عن أرض الوطن .

لقد زالت تلك السيطرة الرسمية والتجارية فى الفترات المضطربة التى سادت الفترة المظلمة المتوسطة الثانية واحتلال الهكسوس للبلاد ، كما رأينا غلامات انهيارها متمثلة فى حرق المخازن والمحطة التجارية فى كرما .

على أن قيام الأسرة الثامنة عشرة قد شاهدت تثبيت أقدام الاحتلال المصرى للسودان (٢) .

---

(١) قام العلامة الانجليزى الأستاذ جريفيث من قبل جامعة اكسفورد بعمل حفريات الى حدود فرس على حدود السودان وفى مروى القديمة ، وتابعه بعد ذلك الأستاذ جاراستانج من قبل جامعة ليفربول بمنطقة مروى بالقرب من محطة الكبوشية ، وقام بعد ذلك الأستاذ رايزنر من قبل جامعة هارفارد وبوستن الأمريكية بتكملة تلك الحفريات بجهة قاماى جنوب وادى

=

وكان تورى (Thure) وهو أول حكام أثيوبيا الجديدة ، قد سجل أسماءه والقابه على جدران قلعة أورونارتى حوالى عام ١٥٥٠ قبل الميلاد ثم خضعت البلاد بعد ذلك طوال خمسة قرون لسيطرة مصر ممثلة فى نواب ملوكها الذين لدينا قائمة كاملة باسمائهم ٠

وان كانت هذه القائمة ناقصة أثناء حكم الأسرة العشرين ، وتعتبر فترة الخمسة قرون طويلة جدا نسبيا فى بلادنا حيث تعود بنا هذه القرون الى أيام احفكرويت حيث وقع من الاحداث الشيء الكثير ٠

ويمكن أن ندرك كم كان تمصير اثيوبيا مؤثرا ومنتشرا نتيجة للتواجد الراسخ والضغط المستمر فى مثل هذه الفترة لحضارة حية وقوية على بلاد سبق أن خضعت فى ماضيها لعصر أقدم له مثل هذا التاثير ٠

ويمكن من ذلك فهم مدى انتشار وفاعلية تمصير اثيوبيا ، لان الدخلاء الليبيين قد تغلغلوا وانتشروا فى أراضى زاخرة بالفعل بالحضارة والفنون والحرف المصرية ٠ كما كانت حافلة بالتقاليد والعادات الدينية والاتجاهات الفكرية المصرية ٠

لذلك لم يستغرق الأمر وقت طويل حينما أحدثت التقاليد المصرية تاثيرها الفعال على الغرباء ، فقد كانت الفترة التى شهدت نمو القوة الليبية فى أثيوبيا هى بالضبط الفترة التى كان فيه تاثير كهنة آمون فى أوج قوته فى كل من مصر واثيوبيا ٠

ومنذ بداية تدهور الأسرة العشرين كانت مصر الجنوبية والنوبة من الناحية العملية خاضعين لسيطرة كهنة آمون فى طيبة ٠

ومهما كان ضعف الملوك الكهنة من الأسرة الواحدة والعشرين ، كغيرهم مثل جميع الملوك الكهنة ، فان كهنة آمون فى كل من مصر

حلفا ومنطقة كريما ، مروى الحالية التى كانت تعرف قديما بمملكة نباتا ، واغلب هذه الحفريات قد استكشفت قبل الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، وقد واصل الاستاذ رايزنر حفرياته بعد الحرب حتى قلعة شالفاك وجزيرة الملك من اعمال مديرية دنقلا ٠ المترجم ٠

واثيوبيا نجحوا فى نشر عقيدة قوية راسخة بين الاثيوبيين مفادها أن اثيوبيا هى منطقة نفوذ آمون الخاصة ·

وهى عقيدة وجدت فى النهاية تعبيرا واضحا فى الرواية القائلة بأن اثيوبيا هى موطن امون الأصلى وعبادته بل والشعب المصرى ·

كان جبل برقل ، وهو الصخرة المعزولة العجيبة والذى يرتفع فوق أطلال نباتا ينظر اليه كانه جبل العقيدة الأمونية المقدس وكانت ارادة امون القوية المقدسة كما عبر عنها كهنة معابده فى أسفل سيناء الاثيوبية يعبرون عن ذلك ·

كانت هذه الارادة أقوى بكثير من صولجان ملوك البلاد الليبية ، ولم يكن ذلك لانهم لم يفكروا فى الوقوف أمام ارادة آمون وانما على العكس قد تقبلوها واستغلوها لتأييد مشاريعهم وفوق ذلك مشروع غزو مصر ·

عندما دخل الملوك الليبيون لاثيوبيا مصر بجيش فاتح فانهم ظهروا كمدعين غيورين لعقيدة آمون القديمة ضد الالحاد والبدع الدينية التى كانت تقسم مصر وكان انتصارهم يمثل انتصارا لعقيدة صحيحة أكثر تحفظا من عقيدة طيبة نفسها ·

ولهذا فسوف نرى أن غزو مصر على يد الأسرة الاثيوبية المزعومة لم يكن غزو حضارة قديمة من جانب بربرية افريقيا الوسطى التى توصف أحيانا بهذا النعت ·

بل على العكس من ذلك كان غزو شعب من جانب جنس كان أساسا جنسا غير اثيوبى يبسط حكمه على القبائل الوطنية فى البلاد ويستغلها لخدمة أغراضه ، لقد كان غزوا — ليس لأغراض بربرية تتعارض مع الحضارة ، وانما لأهداف الحضارة المصرية القديمة نفسها ·

وذلك الغزو قام على يد رجال ادعو بعد ذلك انهم تقبلوا الحضارة المصرية وهم بحق حماة حضارة وتقدم أكثر من المصريين الذين قاموا بمحاربتهم وتصدوا لهم ·

كان القائد الذى غزا مصر فى تلك الفترة هو « بعنخى » ابن كاشتا ،

الذى كان يتطلع الى مصر العليا لسنوات عديدة ، واستقر أخيرا أن يبسط سلطانه عليها فى عام ٧٢١ أو ٧٢٢ ق٠م ٠

وذلك حينما أثارته المنازعات والصراعات المستمرة واعتداءات أمراء الدلتا فهدد بالهجوم على أمراء مصر السفلى لاستئصالهم والقضاء عليهم واعادة توحيد البلاد بغزوها ٠ وقد نقشت روايته عن كفاحه وحروبه ضد هجمات الأمراء المصريين على لوحة كبيرة جرانيتية أقامها فى نباتا فى طريق عودته وقد وضعها بغنخى فى معبد « جبل برقل » ٠

وقد عثر على هذه اللوحة سنة ١٨٦٣ وهى الآن فى متحف القاهـرة تحت رقم (٩٣٧) القاعة ٣ بالطابق السفلى ويعتبر هـذا الأثر من أهـم الوثائق الأثرية التى تكشف لنا لأول مرة عن النوبة القديمة كقوة مـن الدرجة الأولى وكيف كشف بيعنخى عن نفسه كشـخص غـير متبربر ولكن كحاكم متحضر وكريم ٠

ويتصف بالرحمة باعدائه عند استسلامهم وبرقة قلبه نحو الحيوان وبخاصة الجياد التى يكن لها شعورا خاصا كما سنرى وفوق ذلك اخلاصه لآلهة مصر وبخاصة آمون ومثابرته على خدمتها ٠

ان القصة التى تحكى انتصار النوبة محركة للعواطف ومسرودة بطريقة بديعة الى درجة أننا لا نتردد فى تقديم أجزاء منها ترجمها الأثرى الكبير « برستد » باسهاب ، وتسجل اللوحة التاريخية هذه الأحداث حيث تقول :

« السنة الواحدة والعشرين لملك مصر العليا والسفلى (مرى — آمون) بعنخى وهو تاريخ اقامة اللوحة فى « نباتا » بعد وقوع الحوادث التى خلدت عليها ٠٠٠ ثم بعد ذلك نجد مقدمته تتكون من الفخر التقليدى لبسالة الملك ، وأخيرا تبدأ الملحمة :

« جاء أحدهم ليقول لجلالته : هذا حاكم الغرب ، الأمير العظيم فى « نتر » أى منطقة وسط الدلتا ٠٠ تفنخت ٠٠ لقد استولى على الغـرب كله من الأراضى الخلفية حتى « أثت — تاوى » قادما نحو الجنوب عـلى رأس جيش كبير بينما اتحدت الأرضين وراءه وجثا أمراء المدن المسورة وحكامها كالكلاب عند قدميه ٠

« ثم تغلق الحصون ابوابها فى اقاليم الجنوب ·· « مراتوم » ، « ميدوم » « برسخم » — خبر — رع » ربما اللاهون عند مدخل الفيوم ، معبد سبك ، « برمجل » (البهنسة) وكل مدن الغرب ·· لقد فتحوا الابواب خوفا منه ، ثم اتجه شرقا ففتحوا له ايضا : (حات — بنو) (الحيبة) « توجى » ، برنب تبج (أصفيح) ·

« أنظر أنه يحاصر « هيراقليوبوليس » وقد استولى عليها ومنع الدخول اليها أو الخروج منها محاربا كل يوم ··· لقد عاين المنطقة كلها وعرف كل أمير مكانه وحدد لكل رجل تابع لامير وحاكم مدينة محصنة مكانه » ·

« لقد تقبل « بعنخى » هذه الانباء بعدم اهتمام وعلمنا أنه ضحك ، وكما ظهر فيما بعد ، فقد كان على حق فى أن يضحك ·· لانه كان يعرف قوته اذ أن مملكة كوش كانت فى ذلك الوقت فى أوج قوتها بينما مصر تتدهور وتمزقها الخلافات الداخلية · ·

« وعلى أية حال فان اتباعه المصريين لم يفكروا مثله ، أما الذين كانوا فى الشمال فقد طلبوا النجدة ·· هؤلاء القواد والامراء فى قلاعهم كانوا يبثون كل يوم برسالة لجلالته قائلين : « هل ستبقى صامتا ناسيا اقاليم الجنوب بينما « تفنخت » يتقدم فى غزوه دون أن يجد من يوقفه ·· » ·

« ان نملوت أمير « حت — وعرت » خرب حائط « نفروس » وحطم مدينته خوفا من أن يستولى عليها « تفنخت » ليحاصر مدينة أخرى ·· إنظر انه ذاهب ليلحق بـ « تفنخت » بعد أن خرج عن طاعة جلالته (بعنخى) وانه ينتظر معه كأحد اتباعه فى اقليم « أوكسرنخوس » ويقدم له بقدر ما يرغب كل ما يعثر عليه من هدايا وقرابين ·· » ·

« ان خبر تقهقر تابعه « نملوت » الذى كان ملكا محليا «لهرموبوليس» « الاشمونيين » قد حرك بعنخى وبث فيه القوة ·· اذ ظهر أن قوة « تفنخت » كانت تتحرك بشكل خطير نحو الجنوب الى طيبة ·· وتستكمل الملحمة » ·

« ثم بعث جلالته الى القواد والأمراء الذين كانوا فى مصر .. أسرعوا الى ميدان المعركة ، وحاربوا ، حاصروا هرموبوليس واهلها .. واستولوا على ماشيتها وسفنها التى على النهر .. لا تسمحوا لفلاحيها أن يذهبوا الى الحقول ، أو يزرعوا الأرض ، أغلقوا الحدود (اقليم الأرنب) وهو الاقليم الذى كانت عاصمته هيراموبوليس قاتلوا ضدها يوميا .. » .

« وبعد أن اتخذ هذه الاجراءات السريعة مع جنوده فى مصر ، أعطى أوامره لجيشه فى النوبة أن يتقدم الى مصر .. آمرا .. لا يعوقنكم شىء .. نهارا أو ليلا .. كما لو كنتم فى لعبة الشطرنج .. واثبتوا فى أماكنكم فى المعركة واضغطوا على العدو من بعيد .. ثم يقول للمشاة وراكبى العجلات الحربية الذين ينتمون الى بعض المدن الأخرى « أنجدونى » .

.. « فامكث حتى تاتى فرقتى لتقاتل كما يقول : ... ولكن اذا كان حلفاؤه فى مدينة أخرى فاجعل أحدهم يهرع اليهم .. لتقاتل أولا هؤلاء الأمراء الذين انضموا اليه من الليبيين .. والجنود المفضلين .. اننا لا نعرف بماذا كان يصرخ ليجعلهم يخضعون .. جهز احسن ما فى اسطبلك من جياد الحرب وارسم خط القتال .. انك تعرف أن آمون هو الاله الذى بعثنا .. » .

« ويحذر « بعنخى » جنوده بعد أن اعطاهم نصائح القتال ، من أنه حتى الأقوياء ليس لهم أى قدرة دون مساعدة آمون ويامرهم اذا وصلوا الى طيبة أن يصلوا من أجل الاله .. « أضىء لنا الطريق لكى نقاتل فى ظل قوتك .. » ونحن نعرف أن جنود « بعنخى » بعد أن مدحوا ملكهم أبحروا شمالا ، ووصلوا الى طيبة وعملوا بنصائح جلالته .. وخاض الجيش النوبى معركته الاولى لتاكيد سيادة وادى النيل .. » .

« وعند مرورهم بالمدينة المناوئة « هرموبوليس » التى كانوا قد استولوا عليها كان الجيش النوبى قد وصل الى هرقليوبوليس حيث يقول النص :

« لقد أبحروا شمالا فى النهر .. ووجدوا مراكب عديدة محملة بالجنود والبحارة البواسل من الأراضى الشمالية .. وقد جهزوا باسلحة

حربية ليحاربوا مع جلالته ٠٠ ثم حدثت بينهم معركة كبرى لا نعرف عدد قتلاها ٠٠ وأسرت جنودهم وسفنهم ٠٠ » ٠

« وتقدمت القوات النوبية بعد هذا الانتصار الى « هرقليوبوليس » التى كانت محاصرة من تفنخت وحلفائه وسجلت قائمتهم أن كل أمير من حكام المدن المحصنة فى الغرب والشرق وجميع الجزر كان يجمعهم عقل اوحد كتابعين للقائد الأكبر فى ألغرب ٠٠ ولم تكن سياسة الفرعـون بعنخى فى لوحته أن يستهين بقوة المعارضة فنراه يقلل من شان عمله العظيم فى غزو مصر ٠٠ » ٠

« وتمضى الملحمة بعد ذلك فى وصف المعـارك التى خاضـها وانتهت بانتصار النوبيين وانسحاب جيش تفنخت الى الضفة الغربية ٠ ٠ ٠ وفى بعض الفقرات يتولى بعنخى أمر القيادة حتى وصل الى طيبة وقضى على عدوه نملوت ودخل قصره وضم كل ممتلكات نملوت الى الخزينة الملكيـة ووهبت صومعته الى معبد آمون فى طيبة ٠٠ » ٠

ثم يمضى فى كلامه ٠٠ وبينما كانت الجيوش النوبية تتقدم فى اتجاه الدلتا ٠٠ استسلمت المدن واحدة بعد الاخرى دون قتال ٠٠ ثم تقـدم الى منف التى كانت عاصمة مصر تحت حكم الفراعنـة الأوائل وحاصر المدينة بمـا حولها من مخازن وصوامع غنية بالغلال وكانت محصنة تحصينا قويا والجدار كان مقوى بحاجز والشرفات بها رجال أشداء ٠٠ » ٠

« ثم قرر بعنخى أن يقتحم المدينة وبدأ بالاستيلاء على الميناء واستعمال فكرة الصوارى والعوارض كجسور توصل الى أعلى الجدران ٠٠ وهى طريقة فريدة استعملها الفينيقيون عندما استولوا على قسطنطينية سنة ١٢٠٣ م ٠ وعلى أية حال فان الهجوم كان ظافرا ٠٠ ثم اخذت منف كما لو أن فيضان قد اغرقها وقتل عدد كبير من الناس وأسر عدد آخر وأخذوا الى حيث كان جلالته ٠٠ » ٠

ومن الواضح أن المدينة تركت للسلب والنهب ولكن الملك أعـاد النظـام

فيها بعد ذلك وعملوا على حماية المعابد ثم ذهب بعنخى الى معبد بتاح حيث اعترف به الاله ·· » ·

« وبعد ذلك عندما وصلت أخبار سقوط منف الى الاقاليم الأخرى فتحت أبواب مدنهم وهرب حكامها وخضع أمراء كثيرون من الأراضى الشمالية للنوبيين وقدموا الجزية ·· ثم توجه بعنخى (١) الى هليوبوليس حيث معبد رع ثم صلى وباركه الاله رع » ·

« بعد ذلك أخذ تفنخت يقاوم الملك لفترة طويلة ·· ثم بعث اليه أخيرا بعد ان أضنته المقاومة برسالة استسلام ولتقديم فروض الطاعة والولاء ·· وقبل بعنخى التماسه بعد أن قدم له تفنخت الهدايا من ذهب وفضة وملابس » ·

« ثم ذهب تنفخت بعد ذلك الى المعبد ·· بعد أن عفا عنه بعنخى ليتعبد للاله ويطهر نفسه بيمين مقدسة ·· قائلا : لن أعصى أوامر الملك أو أخالف ما يقوله ولن أقوم بعمل عدائى ضد أمير من غير معرفتك ·· اننى سأفعل كل ما يريده الملك ولن أخالف ما يأمر به ·· » ·

« سنرى فيما بعد كيف حفظ هذا اليمين ·· والنص يوضح أن بعنخى كان راضيا وقد اصبح فعلا بعد استسلام آخر الأمراء والملوك الصغار فى الدلتا — فرعونا كبيرا على وادى النيل من الجنوب لكوش حتى ساحل البحر الأبيض ·· » ·

(١) عندما تولى بيعنخى الحكم فى مملكته نباتا بعد وفاة أبيه كاشتا اصبح من القوة والسلطان بحيث أخذ يتطلع الى الاستيلاء على مصر وساعده على ذلك الانحلال التدريجى والصراع المستمر بين الكهنة وأمراء الأقاليم ، فشن عليها حملة قوية نعرف أخبارها من النص وكان النصر حليفه باستمرار وخضعت له ملوك وحكام الاقاليم واستولى على طيبة وحاصر مدينة الأشمونيين لفترة طويلة وتابع سيره الى اهناسيا ومنها الى منف وقد قاومته وأخيرا انتصر عليها وجاء اليه بقية أمراء طيبة وقدموا له فروض الولاء واعترف به كهنة طيبة فرعونا لمصر ولذلك يعتبر مؤسس للأسرة الخامسة والعشرين وملكا على مصر والنوبة ثم عاد الى نباتا واستقر بها حتى وفاته عام ٧١٦ ق·م· المترجم ·

وتنتهى هذه الملحمة بالآتى : « حملت السفن بالذهب والفضة والنحاس والملابس وجميع الأشياء الثمينة الصلبة من البلاد الشمالية وكل الأخشاب الطيبة من أرض الاله •• وأبحر جلالته جنوبا مسرور القلب •• وعم الفرح الشرق والغرب وابتهج الشاطئان فغنوا طربا وهم يقولون : « أيها العظيم •• أيها الحاكم بعنخى •• أيها القوى •• انك تاتى بعد أن ظفرت بالسيطرة على الشمال •• ما أسعد قلب السيدة التى حملتك •• والرجل الذى انجبك •• ان كل من فى الوادى يشكرون تلك البقرة التى ولدت ثورا •• انك الى الأبد خالد وقوتك مستمرة يا حاكم طيبة المحبوب •• » •

وقد أعاد بعنخى عند رجوعه الى نباتا بناء معبد آمون الكبير وزينه بكثير من الأسلاب التى استولى عليها اثناء غزواته للشمال ، وربما كان هو الذى نقل الأسود الجرانيتية والكباش من معبد امنحتب الثالث فى صولب الى نباتا العاصمة التى كان ينوى أن يحكم منها النوبة ومصر ، ومن الغريب أن رجلا له قدرة وقوة بعنخى ومهارته أن يتبع سياسة غير مالوفة ولا صالحة ، اذ انه ترك مصر دون ادارة مركزية داخل حدودها فى طيبة مثلا أو فى منف •

كان تنفخت ينتظر خروج النوبيين بفارغ الصبر ليتراجع عن استسلامه ويحنث فى قسمه ، اذ أصبح فعلا بعد ذلك قوة كافية ليسترجع لقب فرعون بعد أن حكم جزءا كبيرا من مصر السفلى ، ثم خلفه ابنه « باك ـ ان ـ رنف » سنة ٧٢٠ ق•م ، بينما نجد أن الأمراء المطرودين استرجعوا طيبة وحكموها لفترة قصيرة اصطدموا بعدها بالنوبيين يقودهم « شاباكا » (١) شقيق بعنخى الذى خلفه سنة ٧٠٧ ق•م •

---

(١) تولى شاباكا الحكم بعد وفاة شقيقه بيعنخى وأصبح فرعونا لمصر والنوبة ابتداء من عام ٧١٦ ق•م وبدأت مصر فى عهده تساعد سوريا وفلسطين لكى تستمر فى مناوأة الدولة الأشورية التى كانت تحتل المناطق القريبة من دجلة والفرات ، كما استطاع أن يوحد وادى النيل تحت حكمه واخذ يتحدى قوة آشور التى كانت فى قوة مجدها فى ذلك الوقت ، وبعد وفاته تولى الحكم من بعده الملك شاباتاكا الذى استمر لمدة ١٢ عاما • المترجم •

وقد قبض بعد ذلك على « باك — ان — رنف » ابن تفنخت وأحرق حيا واستفاد شاباكا من تجربة سلفه فنقل عاصمته من نباتا الى طيبة ، وهكذا استطاع بعد أن وجد وادى النيل تحت حكمه أن يشعر بقدرته على تحدى قوة آشور التى كانت حينئذ فى أوج مجدها وقوتها فى غرب آسيا ٠

وعندما حاصر سناخريب « أورشليم » بعث شاباكا جيشه الى فلسطين تحت قيادة ابن أخيه « طهارقا » ولكن انتشار مرض الطاعون أرغم الجيش الأشورى على الانسحاب ، وهكذا أصبحت السياسة الخارجية لشاباكا وخلفائه مركزة فى هذا الاتجاه ٠

وربما كان السبب ان العاصمة الادارية ومقر الملك فى الامبراطورية المصرية الكوشية قد أصبح فى « تانيس » فى غرب الدلتا ، بينما استبقت « طيبة » ونباتا أهميتهما كمقر دينى مقدس ٠

وخلف شاباكا ابن أخيه « شاباتاكا » لمدة ١٢ سنة أشرك فيه فى الملك ابن أخيه الأصغر طهارقا ومات شاباتاكا بعد خمسة أعوام فأصبح طهارقا الحاكم الوحيد لكوش ومصر فى عام ٦٩٠ ق٠م٠ وفى بداية حكمه ابتسم له الحظ ، ونجد آثار كثيرة ترجع لعصره فى مصر والنوبة ٠

وكانت النوبة قد أصبحت قوة عالمية وكان طهارقا يحكم وادى النيل من أقصى الجنوب فى السودان حتى شواطىء البحر الأبيض فى الوقت الذى كانت فيه القوة الصاعدة لآشور قد بدأت تمد ظلالها على حدود مصر الشمالية الشرقية ، واستمر طهارقا (١) فترة طويلة يواجه تهديد آشور واستقر فى تانيس قريبا من حدوده المهددة ٠

(١) حكم طهارقا مصر لمدة ٣٦ سنة ويعتبر من أشهر ملوك الأسرة الرابعة والعشرين وفى عهده قام بعدة انشاءات معمارية فى مصر والنوبة ، حيث شيد فى الفناء الأول بمعبد الكرنك صالة ضخمة تتكون من عشرة أساطين محلاه بتيجان جميلة على شكل زهرة اللوتس ويصل ارتفاع الأسطون الواحد الى ٢١ مترا ، ولكن معظم هذه الأساطين قد تهدم ولم يبق منها الا أسطون واحد ضخم يعرف باسطون طهارقا كما عثر فى معبد آمون بالنوبة على خمس لوحات حجرية ترجع الى عهده وتحكى عن تعبده =

وكان من حسن حظه أن أمير طيبة كان يساعده فى الوقت الذى أشرفت فيه الحرب على الاندلاع حيث ترك لنا منتو – أم – حات سجلا حافلا للغزو الأشورى الذى كان يزداد قوة يوما بعد يوم فى ذلك الوقت ٠

وكان « سناخريب » الملك الأشورى الذى مات عام ٦٨٦ ق٠م٠ على عرش آشور وجاء من بعده « أسرهدون » الذى هجم على منف واستولى عليها سنة ٦٧١ ق٠م٠ بعد سلسلة من الانتصارات فى شرق الدلتا حيث تقول تقارير الأشوريين ما يأتى :

« فى السنة العاشرة وفى شهر نيسان ذهب الجيش الأشورى الى مصر ثم نشبت ثلاث معارك حيث استولى (ممبى) على منف وأنقذ مليكها طهارقا نفسه بهروبه ولكن قبض على أخيه حيا ونقلت غنيمته ونهب أهلها وسرقت بضائعهم » ٠

وادعى الأشوريين أنهم غزوا مصر باكملها وأنهم أغاروا على النوبة نفسها كما يقول « أسرهدون » وعلى أية حال فلا شك أنهم سيطروا لفترة قصيرة على طيبة لأن الأمير « منتو – أم حات » من بين أسماء النبلاء الذين رضخوا للقاهر ومن ثم بقى فى منصبه ٠

ويبدو أن « أسرهدون » تصور أنه بعزل النوبيين يمكنه أن يعتمد على ولاء المصريين الذين كانت سياسته ازاءهم متوازنة ٠ وبعد أن رحل من مصر ظهرت الثورات وعند عودته مرة أخرى مات فى « حاران » ٠

فى هذه الأثناء كان طهارقا يتقدم شمالا حاشدا قوات من

=

وتقديمه القرابين للاله آمون بمعبده بجبل برقل ، وكان من حسن حظه ارتفاع مياه فيضان النيل فى العام السادس من حكمه الى حوالى ٢٥ ذراعا نتيجة لغزارة مياه الأمطار فى الجنوب وذلك لمحبة الآلهة له ٠

وفى عهده تولى الملك (آشور بانيبال) عرش آشور وقاد حملة للقضاء على المصريين الذين أعلنوا الثورة ضد الغزاة ، وتقدم آشور بانيبال واحتل الدلتا ووصل الى طيبة ودخلها ففر طهارقا ولجأ الى نباتا وظل بها حتى مات ٠ المترجم ٠

النوبة واستولى على مصر العليا ومنف ولم يتحرك خليفته « أسرهدون » وهو « آشور بانيبال » ومرت أكثر من سنة قبل أن تغزو الجيوش الأشورية مصر للمرة الثانية وانتصر على طهارقا الذى هرب مرة أخرى جنوبا الى النوبة تاركا مصر كلها فى أيدى الغزاة حيث مات فى نباتا عام ٦٤٤ ق.م. ودفن فى هرمه فى « نورى » .

وقد قام طهارقا فى ذلك العصر المضطرب بالحروب والمنازعات بتشييد مبانيه فى مصر والنوبة ، وزين الصالة الكبرى بمعبد الكرنك بطريق ذى أعمدة عظيمة لا يزال موجودا ، كما شيد أيضا عمائر اقل أهمية فى معبد الكرنك نفسه وفى مدينة هابو على الضفة الغربية للنيل ، كما شيد عمائر اخرى فى تانيس وادفو .

اما فى النوبة فقد اقام عمائر اكثر ضخامة ، وفى نباتا رمم وزين معبد آمون الكبير كما نحت معبدا صخريا فى الجبل المقدس هناك وزينه باربعة تماثيل ضخمة نقش على احدها خرطوش له .

ورغم أن الحصون الموجودة فى منطقة الجندل الأول من عصر طهارقا كانت قد ضربت ودمرت الا أنه بنى فى قلعة سمنة معبدا صغيرا فى منطقة الحصن ، كما عثر فى منطقة بوهن على أجزاء منقوشة ترجع اليه . أما مقبرته الهرمية فى (نورى) فهى على مقربة من نباتا حيث كانت أول واعظم بناء جنائزى فى الجبانة الملكية التى اقامها عندما ازدحمت الجبانة القديمة فى كورو .

وبعد وفاة طهارقا (١) خلفة ابن أخيه « الأمير تانوتامانى » أو « تانوت آمون » الذى استولى على منف ومصر السفلى ووضع قواته فى طيبة واخذ يحارب الجيش الأشورى فى منف وحاصرهم هناك وقطع عليهم طريق الهرب ولا نعرف بالضبط هل استولى على منف أم لا .

---

(١) كان كهنة طيبة يعتبرون طهارقا الحاكم الشرعى للبلاد ، وكانوا يؤرخون الآثار باسمه ومدة حكمه بالرغم من الأمور التى تغيرت ورغم الادعياء الذين ادعوا الملك ، كما كان هناك ، فى صا الحجر من ادعى الملك ، ووجود الكثير من الحاميات الأشورية ومن والاها من البلاد . المترجم .

وعندما انتشر نبأ وصول القائد الأشورى « آشور بانيبال » هـرب « تانوت آمون » دون قتال الى نباتا ولم يحاول أن يرجع الى مصر وبقى فى النوبة حتى مات ودفن فى جبانة « كورو » .

وعندما نقرأ تقرير « آشور بانيبال » عن هذه الحوادث نجد أشياءا غريبة فى ذلك التقرير وهل هى مبالغ فيها أم لا حيث يقول :

« فى حملتى على النوبة الثانية ، توجهت الى مصر وكوش وعندما سمع « تانوت آمون » (١) عن حملاتى القوية وأننى وطئت أرض مصر ، ترك منف وهرب الى طيبة لينقذ حياته : ان جميع الحكام والأمراء الذين وضعتهم فى منف جاءوا ليقبلوا قدمى وذهبت وراء « تانوت ـ آمون » نحو طيبة ، فهرب الى نباتا .

« ثم غزوت هذه المدينة (طيبة) كلها بمساعدة آشور واشتار وأخذت معى الى آشور فضة وذهب وأحجار كريمة وجميع ممتلكات القصر وأقمشة وكتانا ورجالا ونساءا ومسلتين كبيرتين من المعدن النفيس وبوابات المعبد الضخمة انتزعتها من قاعدتها .

« واستوليت على غنائم كثيرة وتركت قوة مسلحة على مصر والنوبة وأظهرت قوتى ثم رجعت الى نينوى فى صحة جيدة غانما » .

نلاحظ فى هذا التقرير عمليات السلب والنهب لطيبة وانتهاء احدى مدن مصر العظمى وتخريبها ، ولم يكن لدى « تانوت ـ آمون » من الرجال المدربين والقوات المنظمة والسلاح الكافى للصمود ضد الجنود الأشوريين المحترفين الذين كانوا يستنزفون قواتهما فى النهاية .

---

(١) عندما مات الملك طهارقا دفن فى نباتا وخلفه ابن اخيـه تانوت ـ آمون على عرش نباتا ، وعندما تم تتويجه جمع جيشا وسار الى الشمال ووصل الى طيبة واستقبل من الأهالى استقبال المنقذ وسار حتى وصل الى منف وخاض معركة مع أمراء الدلتا الموالين الأشوريين فهزمهم وظـل فى منف يتلقى الهدايا وولاء بعض الأمراء ، ولكنه لم يقو على اخضاع الدلتا كلها ، وجاءت الأخبار بوصول جيش آشور ففر عائدا الى طيبة وتبعته جيوش آشور وسقطت طيبة فى أيديهم ونهبت المعابد وخربت وغرب اهلها . المترجم .

ويبدو أن « تانوت ـ آمون » مات متأثرا بهزيمته ، لأن هرمه فى كورو يعتبر مبنى متواضعا جدا ٠ وهكذا انتهت امبراطورية الفراعنة الأثيوبيين المزعومين حيث كانت قصيرة العمر لأنها لم تستمر أكثر من ٨٥ عاما ٠

ولكن أثيوبيا بعد أن تجردت الآن من امبراطورية لم تتمكن من الاحتفاظ بها مدة طويلة على أية حال ، قد قامت من جديد بعد هزيمتها واستمر فرع من الملوك الليبيين ـ الأثيوبيين فى نباتا طوال ٣٦٠ عاما (٦٦١ ـ ٣٠٠ ق٠م٠) ٠

بعد ذلك اتجهت السلطة الى الفرع الجنوبى من هذا الجنس والذى استمر حكمه فى مروى (١) حتى الاطاحة به نهائيا فى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد ، حيث نجد فى المملكة الأثيوبية تاريخ وحضارة مصرية قوية تماسكت وعاشت قرونا طويلة تحت رعاية قبيلة من الليبيين فى وسط بربرية نسبية فى السودان ٠

ونحن نستطيع أن نتتبع المراحل التدريجية التى استطاعت الحضارة المصرية أن تحافظ على نقاء وصفاء نفسها أولا ولفترة طويلة بفضل اتصال مستمر مع الثقافات والمستويات المصرية العالية وأصولها ، ولكنها ما لبثت أخيرا أن انهارت وتدهورت وأصابها الفساد الى أن انحرفت عن مستوى أصولها وأصبحت أكثر سوءاً من البربرية ٠

ان قصة المملكة الأثيوبية قصة ممتعة وجديرة بعناية أكبر واهتمام أكثر مما يبذله عادة دارس التاريخ المصرى القديم ، ونحن مدينون باكتشاف

---

(١) مروى مدينة قديمة العهد ، يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة أو أكثر وقد كانت قبل ٦٠٠ سنة عاصمة السودان الشمالى ، وبعد ٣٥ سنة فقط بعد الميلاد هجرت هذه العاصمة واندثرت معالمها الأثرية شيئا فشيئا والدليل على ذلك تلك الأنقاض والمخلفات التاريخية القائمة الآن والتى تدل على درجات الحضارة والعمران فى ذلك الوقت ٠

مادة كثيرة وغنية وعظيمة ومليئة بالأحداث المثيرة للغاية التى تتناول هذه المملكة بالذات الى أعمال الدكتور رايزنر (١) التى سنذكرها الآن ٠

واذا تتبعنا مجرى النهر صاعدين نلتقى بأول اتصال بمخلفات المملكة الأثيوبية فى كورو ، مع أن المسافر الذى يصل عن طريق الخط الفرعى من أبو حمد الى كريما سينتهى به المطاف حتما الى نباتا وقبلها يمر بنورى ٠

تقع كورو على بعد حوالى ثمانية أميال تقريبا شمالى كريما وعلى مسيرة دقائق قليلة من النيل على الضفة الشرقية ، ويقع قبالتها تقريبا على الضفة الغربية منطقة أهرام تنجاسى (Tangassi) الهرمى الذى لا يستحق هذه التسمية لأن المدافن الموجودة فيه هى مجرد مقابر كومية قليلة الارتفاع على مرتفع رملى ٠

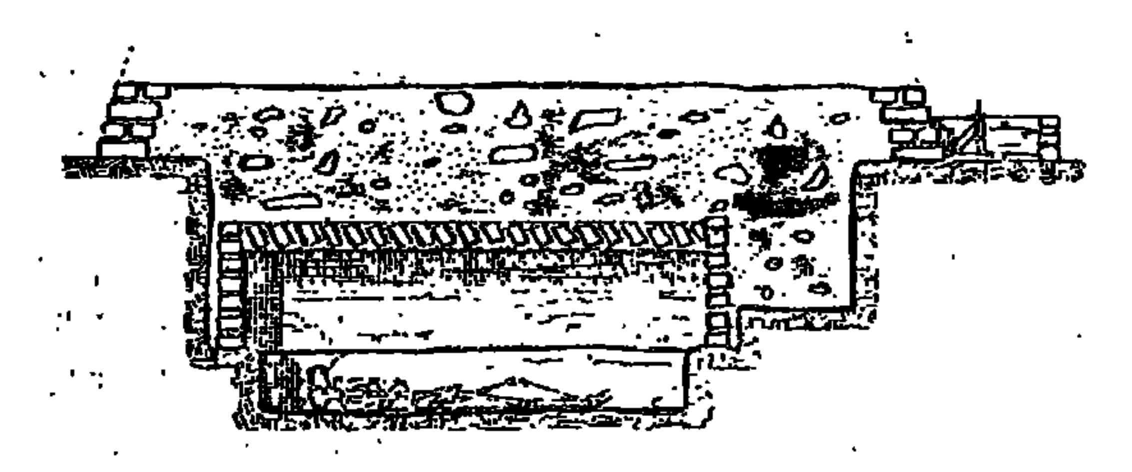
وهذه القبور المرتفعة ذات تاريخ متأخر نسبيا ، وتنطبق نفس هذه الملاحظات على منطقة أخرى تسمى خطأ منطقة أهرام زوما (Zuma) التى تقع على الضفة الشرقية : وعلى مسافة جنوب — غربى منطقة حقل أهرامات كورو ٠

بيد أن أهرامات كورو ، هى أهرامات حقيقية لها عدد مميز من المصاطب والمقابر الكومية المرتفعة ذات تاريخ أقدم تقع بجانبها ، وفى

---

(١) يوجد فى مدينة كرما اليوم رابيتين من الطوب اللبن معروفتين محليا شرقا وغربا بالدفونا ، فالدفونا الغربية اكتشفت بواسطة الدكتور رايزنر ، وقد ظهر أنها كانت محطة للتجارة القائمة فى تلك المنطقة : كما أن الدفونا الشرقية قد اتخذت لتحضير وتحنيط الموتى المصريين ، وبالقرب منها توجد عدة رابيات مغطاة بنوع من الحصى الأبيض الممزوج بمادة سوداء وقد ظهر أنها مقبرة الحاكم العام المصرى ٠ كما يوجد معبدا عظيما ينتسب الى الحاكم هبريفا الذى كان له قبرا عظيما فى أسيوط يذهب اليه الكهنة ليحجوا اليه وكان يحتوى على عددا كبيرا من توابيت النساء والأطفال المحنطة وبعض الحيوانات التى كانت تدفن مع الميت ، وهذه تختلف تماما عن النظام المصرى القديم الموجود فى كرما ٠

هذا المكان اكتشف دكتور رايزنر عامى ١٩١٨ — ١٩١٩ عدة أهرامات الأربعة من كبار ملوك الأسرة الخامسة والعشرين : وهـم بيعنخى ، وشـاباكا ، وشاباتاكا ، وتانوت ــ آمون .



(شكل رقم ٧٤)

(نموذج آخر لمقبرة من العصر المروى على شكل هرم مقلوب جوانبه)
(شديدة الانحدار ومزودة بمشكاة مبنية من قوالب الطوب اللبن ومقصورة)
(يوضع بها تمثال وبقية القرابين)

وهذه الأهرامات (١) مدمرة تدميرا شديدا ، ومعظم أحجارها متآكلة ولكن أهميتها التاريخية والأثرية أكبر من حجمها او حالتها ، وبالاضافة الى

---

(١) فى الصحراء الشرقية بالقرب من مروى توجد ثلاثة أهرامـات تشبه فى بنائها وهندستها أهرامات الجيزة ، اثنان منها يمكن مشاهدتها وانت فى طريقك الى الشمال وقد كانت يوما ما محلا لدفن الموتى وخصوصا الأسرة المالكة للدولة المروية ، وهذه الأهرامات شيدت على قواعد صخرية تمتد من الشمال الى الجنوب متناثرة القواعد والأشكال ، وهى الآن فى حالة خراب تام من جراء ما سلطه عليها لصوص الآثار وسارقوا الكنوز الثمينة فى العصور الماضية ، كما أخذ منها بعض الطغاة حجارة كثيرة لعمل شواهد لموتاهم ببلدة حلة البجراوية ، وكل هرم من هذه الأهرامات يوجد به هيكل صغير مشيد على الطراز القديم ، والحوائط مكللة بالزخارف الهيروغليفية المصرية من الداخل والخارج . المترجم .

وذلك فان بعض معابد أهراماتها مثل معبد المقبرة المتواضعة الخاصة بتانوت - آمون العاثر الحظ لا تزال تحتفظ بمناظرها ونقوشها وتستحق الزيارة .

وهى بذلك كمثل جميل للصناعة المصرية التى تعمل فى بيئة أجنبية ، أما أهرام طهارقة ، الملك الآخر من الأسرة الخامسة والعشرين فلا يقع هنا ، انما تشاهده عند منطقة (نورى) .

وجدير بالذكر ان أكبر هرم فى كورو اقدم بكثير من الاهرامات التى تقدم ذكرها ويقع تاريخ انشاءه فى الفترة بين ملوك الأسرة التاسعة عشرة والعشرين الذين وجدت أهراماتهم فى نورى ، اى أنها ترجع تقريبا الى نهاية المملكة النباتية .

ونلاحظ أن أهرامات ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذين دفنوا فى كورو صغيرة الى حد ما - فمثلا مساحة أرض هرم شاباكا المعروف باسم كو (Ku) الخامس عشر والتى تبلغ مساحتها حوالى ٣٩ قدما مربعا - كما أن مبانيها رديئة جدا ، وهى من الطراز المتواضع وتختلف تماما فى المظهر عن النوع الجيد لمدافن منطقة الجيزة الأكثر رسوخا .

ويتم الوصول الى هذه المقبرة الهرمية بواسطة درجات سلالم خارج باب معبد الهرم وقد كان بيعنخى الغازى النوبى أول الملوك الليبيين - الاثيوبيين الذى استعمل ذلك الطراز والشكل الهرمى فى بناء مقبرته .

أما والده كاشتا فقد بنى مقبرة مثله على شكل مصطبة مرتفعة كما سبق أن فعلت الأجيال الثلاثة من الحكام الذين سبقوه ، على أن الجيلين اللذين يسبقان هذه الأجيال الثلاثة استخدموا أسلوبا آخر لبناء المدافن أكثر بساطة من المصطبة .

فقد أقام الجد الأول للحكام الليبيين مجرد مقبرة كومية مستديرة ، أما الجد الثانى ، ففى الوقت الذى احتفظ به بالشكل الكومى المستدير ، الا أنه عمد الى تبطين المرتفع بحجارة بيضاء مصقولة وأضاف اليها سورا على شكل حدوة الحصان كما أقام معبداً جنائزيا من اللبن .

وبذلك أبرزت مقابر كورو (١) وجود سبعة أجيال من المبانى الجنائزية ، أول اثنان منها من طراز المقابر المرتفعة (الكومى) ، والثلاثة التالية من طراز المصطبات ، والسادسة هى الأخرى مصطبة ولكنها موجهة نحو الجهة الشرقية — الغربية ٠

أما السابعة فهى من الطراز الهرمى الذى استمر كطراز عادى للمقابر الملكية حتى نهاية خط نباتا حيث خلفه الخط الجنوبى فى مروى ٠

ان قمة الأكمة المرتفعة فى كورو تكسوها كومة من « الدبش » مما يدل على وجود المقبرة الكومية المرتفعة « للجد الأول » ، وعلى جانبى هذه الكومة وأمامها على المنحدر المتجه الى النهر توجد خمس مقابر كومية مرتفعة هى الأخرى ، وتقع بينها وبين الهرم الكبير للملك الأخير ثمانية مقابر (٢) من طراز المصطبة ، تمتد مباشرة الى واجهة المنحدر ٠

وتقع أمام هذه المصاطب أهرامات بيعنخى ، وشاباكا ، وتانوت آمون ، بينما يقع هرم شاباتاكا الى الخلف وراء صف المصطبات ، وتقع بالقرب من هذه المقابر من ناحيتى الجنوب والشمال مجموعات أخرى من مقابر الملكات ٠

ولسوء الحظ نهبت جميع هذه المقابر (٣) ، ومع ذلك فان الأشياء

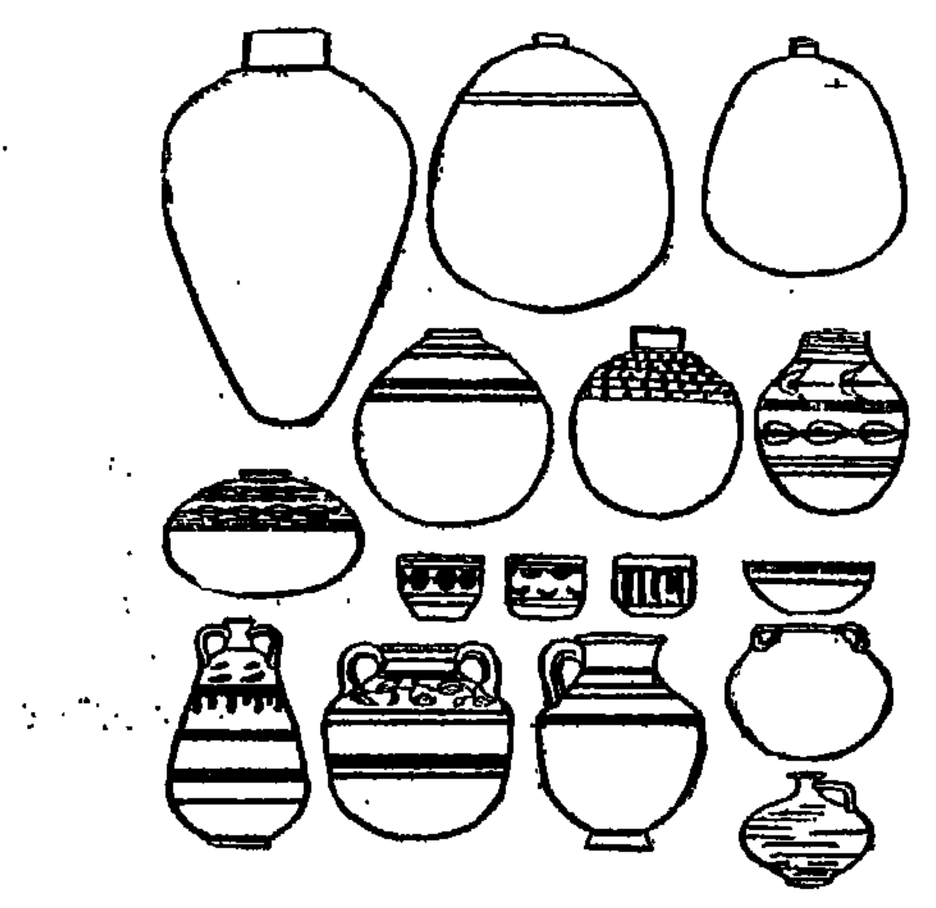
---

(١) ان الناظر الى هذه الآثار ينقبض حينما يراها وقد هدمها طغاة الجهل واللصوص ونثروا فيها من الخرائب ما يجعل الانسان المتعلم يذوب حسرة وكمدا لتاريخ هذه المملكة التى خيم عليها الجهول فكانت عنوانا قاطعا لهذه الخرائب ٠ المترجم ٠

(٢) كان الملوك والملكات يدفنون فى مروى القديمة فى قاعة تحت الأرض مباشرة تحت بناء الأهرام ، وتصحبهم جميع أثاثاتهم المنزلية ونفائسهم الثمينة ، ولكن للأسف الشديد سرقت معظم هذه الكنوز ولم يتبق الا القليل من الأوانى الفخارية التى تركت عفوا من اللصوص مبعثرة فى رمال القاعة ، ومن تلك المخلفات الباقية علمنا الكثير عن معالم تلك المملكة المروية ٠ المترجم ٠

(٣) ان معظم المقابر الغنية التى عثر عليها فى النوبة عادة عبارة عن نسخة طبق الأصل لمقابر الملوك والأمراء الموجودة فى جبانة مروى نفسها ، =

التى وجدت بها تشهد بوضوح على استمرار نفس الحقيقة التى تشاهد فى كرما فى عهد الدولة الوسطى ، أى أن الحضارة والفن اللذين كانا سائدين هناك لم يكونا محليين وانما كانا مصريين صميمين ٠



(شكل رقم ٧٥)

(نماذج مختلفة من الفخار عثر عليها فى بعض مقابر وجبانات العصر)
(المروى بالنوبة ويلاحظ الرسوم الجميلة والألوان والخطوط التى زينت بها)

= وهى تتكون من حفرة مستطيلة لها افريز يرتكز عليه أطراف سقف مقوس شيد من قوالب اللبن ومغطى بطبقة من الطين وأحيانا يستبدل الرف بجدران عمودية لكى تسند السقف المقبى الذى يغطى الحفرة ، أما المدخل المؤدى لهذا الجزء تحت الأرض فيكون عادة عن طريق سلم صغير فى الجانب الشرقى ، أما الجزء العلوى الذى يعلو سطح الأرض فكان يبطن بالطين على شكل هرم منحدر ، ويزود بمشكاة مبنية من قوالب اللبن أو مقصورة تحوى تمثال للميت وبقية القرابين ٠ المترجم ٠

على أنه مع مرور الزمن أصبح التقليد الجميل للفن المصرى والصناعة المصرية غير واضحة المعالم وغامضة وذلك نتيجة للاتصال المستمر بالبربرية المحيطة به ، فقد كان يحتفظ بطابعه المصرى الأصيل وليس الطابع المحلى ، حتى نهاية خط نباتا وخط مروى ، حينما خلفه الطابع الأثيوبى للتقليد المصرى ، •

ومن المظاهر التى تلفت النظر فى كورو ، هى مقبرة الخيول التى عثر عليها على مسافة قصيرة من مقابر زوجات بيعنخى الملكية ، وتحتوى هذه المقبرة على أربعة صفوف من مقابر الخيول منها المقبرة الأولى التى تضم أربعة من خيول بيعنخى : أما الصفين الثانى والثالث فتضم ثمانية مقابر لخيول شاباكا ، وشاباتاكا ، أما الصف الرابع فيضم أربعة خيول لتانوت آمون •

كانت الخيول الأربعة هى العدد الموحد لكل ملك ، ويبدو أن الخيول الأربعة يضحى بها حتى تذهب أرواحها مع صاحبها الملكى الى العالم الآخر لكى تكون فى خدمته هناك ، كما تفعل أرواح مئات الخدم والعبيد الذين ذبحوا وقدموا ضحية فى مقبرة حب ـ جيفا •

وكانت الخيول المفضلة تدفن واقفة مع اتجاه رؤوسها الى الجنوب المحلى ، كما لم يعثر على عربات ، وتبين أن جميع المقابر (١) قد نهبت ولكن

---

(١) كانت المقابر المتواضعة من نوعين : الأول يتكون من ممر يؤدى الى حجرة الدفن المنحوتة فى الصخر ، والأبواب تسد بقوالب لبنية وقطع من الحجر ، ويعلو حجرة الدفن هرم مبنى من اللبن ، أما النوع الثانى فعبارة عن حفرة بيضاوية لها فتحة جانبية فى الجانب الغربى حيث تحتوى الدفنة على هذا الأساس ، وكان النوبى فى العصر المروى يدفن موتاه فى وضع ممتد على ظهره ورأسه الى الغرب ، ولم يحاولوا تحنيط الجثث ولكن يلف الجسم فى ملابس من الكتان أو الصوف ، والدفنات الغنية عادة يوضع معها تمثال البا ومائدة قرابين مثل العادات المصرية التى تضع مذبحا صغيرا خارج المقبرة توضع عليها القرابين ، وبعض هذه التماثيل تمثل جسم آدمى للميت ورأس طائر وبعضها يمثل شكل آدمى له أجنحة

ما اكتشف من بقاياها كاف لاقامة الدليل على أن جميع هذه الخيول كانت مزودة بالسروج المحلاه ومعظمها تزدان بحليات من الفضة المطعمة بالذهب ٠

وجدير بالذكر ان بيعنخى الذى كان أول من بدأ عادة « دفن الخيول » كان هو نفسه مغرما بالخيل ، كما دل على ذلك غضبه عند استسلام أحد الأمراء المصريين بعد حصار مدينته ، أن الخيول فى اصطبلات عدوه كانت جائعة وتكاد أن تموت عطشا حيث يقول فى بعض المواقف :

« اننى طالما بقيت على قيد الحياة ، وكما أحب رع ، وطالما أن لدى عرقا ينبض بالحياة ، فان هذه الأمور تحز فى قلبى ، ان تجويع خيولى أسوأ من أى خطيئة فعلتها فى تحقيق رغبتك » ٠

وقد يكون ثمة شك فى أن تفضل هذه الخيول الأربعة قبول شرف الموت لترافق الملك بيعنخى ، ولكن مما لا شك فيه أن الملك كان يقصد خيرا ٠

عند القيام بزيارة هذه القبور (١) ومشاهدتها بواسطة الخفير يجب الحصول على تصريح بذلك من السلطات المختصة فى مروى ٠

=

طائرة وتشابه هذه التماثيل صورة البا التى كانت روح الانسان طائرة الى السماء بعد الموت ، والتى كانت ترجع من حين لآخر لتزور بقايا الميت فى المقبرة مما جعلت علماء الآثار يعتبرون هذه التماثيل المروية مماثلة لها وتكون صورة طبق الأصل للميت ٠ المترجم ٠

(١) لم يعثر عند الحفائر الحديثة فى منطقة مروى الا على عدد قليل من المقابر المروية فى حالة جيدة فى النوبة لأن معظمها قد دمر ونهب فى العصور القديمة والحديثة أيضا ، ولكن المقابر السليمة التى عثر عليها كاملة لم يمسها أحد قد دلت بما عثر فيها من أدوات جنائزية على أن أصحابها عاشوا على مستوى عال من الرخاء وذلك من خلال الأوانى البرونزية الجميلة وأشغال الخرز المتنوعة وأدوات الزينة والآلات الحديدية والأسلحة والأباريق والجرار التى ترجع الى أصل مصرى بطلمى — أما الأوانى الفخارية فكانت فريدة فى نوعها وأنواع الزخارف الجميلة المتنوعة الألوان التى تشهد لهم بمستوى حضارى متقدم عاشته النوبة قبل انسحاب السلطة منهم ٠ (المترجم) ٠

« جبــل برقــل »

على بعد حوالى ميل ونصف تقريبا جنوبى كريما ، تقوم الصـخرة العظيمة المسطحة القمة والمكونة من الحجر الرملى ، حيث يبلغ طولها اكثر من نصف ميل وارتفاعها أكثر من ٣٠٠ قدم ، وتعرف هذه الصخرة بجبل برقل ، الذى يطل على مدينة نباتا عاصمة الملوك الاثيوبيين الأوائل ، والتى تقع على جانبى النيل •

وقد سبق أن شرحنا كيف أن الاقليم الاثيوبى أصبح قلعة لعبادة آمون (ديانة آمون) وكيف كان ينظر الى جبل برقل على أنه الجبل المقدس لعبادة آمون ، لقد شهدت نباتا اعظم وازهى فترة فى تاريخها حينما كان ملوكها (عصر الأسرة الخامسة والعشرون) الليبيون يحكمون مصر كما كانوا يحكمون اثيوبيا •

وعندما كان بيعنخى ، وشاباكا ، وشاباتاكا ، وطهارقة ، وتنوت ـ آمون ، ملوكا وحكاما عظام ذوى بأس وشان بالرغم من سوء الطالع الذى أصاب الملوك المتأخرين فى نضالهم مع آشور •

وبعـد سـقوط المقـاومة الاثيوبيـة اثنـاء حكم تانوت ــ آمون يبدو أن رخاء المملكة قد انحسرت موجته لبعض الوقت ، ولكن خلفاؤه ، وان لم يعودوا يسيطرون على مصر استطاعوا ان يعيدوا قدرا من الرخاء الى بلادهم •

ولعل مرد ذلك يعود الى انهم لم يعودوا يطالبون بالسيطرة عـلى مصر ولا المحافظة على سيادتهم على امبراطورية واسعة شمالية أكبر من قدرتهم على السيطرة عليها •

ولقد ترك العديد من الملوك المتأخرين آثارا ومخلفات هامة عـن اعمالهم العظيمة فى نباتا تدل على انهم كانوا يسيطرون على موارد كبيرة ، حصلوا عليها من تحكمهم فى الطرق التجارية المؤدية الى الجنوب والى مناجم الذهب وبنائهم القلاع والحصون •

ان وجود أطلال وآثار هامة فى نباتا وجبل برقل معروف منذ فترة طويلة ، حيث قام بزيارتها كثير من العلماء والمستكشفين والمنقبين عن الآثار ، وكان من بين هؤلاء الزوار للموقع العالم الكبير هانبورى ، ووادينجتون وجيليود وكابوا من العلماء الانجليز العظام ٠

وهذا العالم الأخير كان الوحيد الذى قدم اضافات كثيرة الى معرفتنا عن « الأثيوبيين » والنوبيين ، كما قام العالم الكبير ليبسيوس باجراء دراسة استقصائية ومسح جيولوجى فى بعثته الكبيرة عام ١٨٤٤ حيث قام بعمل مسح شامل لهذه المنطقة حتى آخر حدود السودان (١) ٠

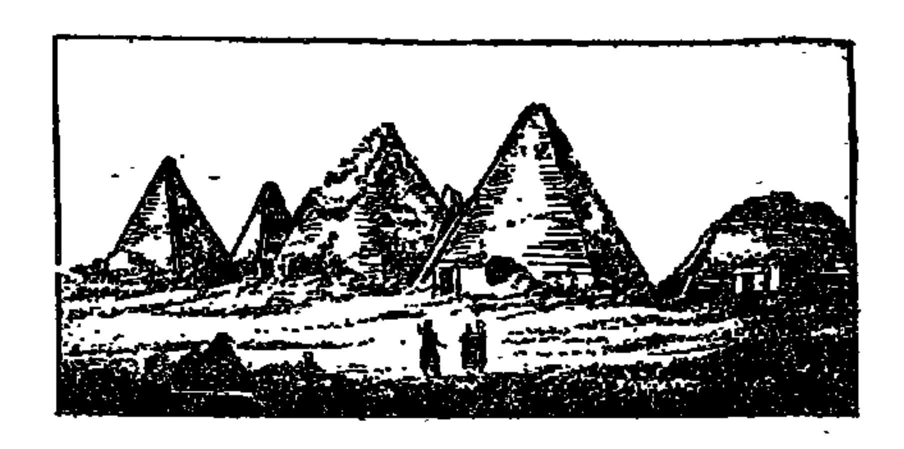
ولكن الاستكشاف الهام والمنظم لهذه المنطقة يعود الفضل فيه الى الدكتور رايزنر الذى بدأ أعمال الحفر فى عام ١٩١٦ بدءا بعمليات تنظيف الأهرامات الصغيرة الواقعة خلف جبل برقل ، وفى أثناء عمليات التنظيف هذه تم اكتشاف عددا من المعابد الصغيرة والمتنوعة والغريبة حول الجبل المقدس ٠

واستمر فى عمليات الحفر حيث تم اكتشاف منطقة أهرامات نورى فى أعوام ١٩١٦ — ١٩١٨ وكذلك منطقة أهرامات كورو الذى سبق ذكرها فى عام ١٩١٨ — ١٩١٩ ٠

وقد أسفر العمل فى الأهرامات الصغيرة الواقعة وراء جبل برقل التى كشفت أولا مخيبة للآمال ، فقد نهبت جميعها منذ فترة طويلة باستثناء بعض الشظايا والقطع الصغيرة المهشمة التى أدت تجميعها الى تكوين أسورة مطعمة بالذهب ٠

---

(١) لم يكن السودان الا مديرية تابعة للامبراطورية المصرية التى امتد نفوذها الى السودان كله فى سنة ١٥٨٠ ق٠م٠ لما كانت مصر فى عهدها الزاهر وكانت صاحبة السلطة والقوة فى الشرق كله ولها السيادة المطلقة على سوريا والسودان الشمالى والجنوبى ، وقد بدأ فتح السودان بواسطة فرعون مصر تحتمس الذى حكم ١٥٥٩ — ١٥٨٠ ق٠م ، والذى بنى أقدم الهياكل الأثرية الموجودة الآن أمام وادى حلفا فى مدينة بوهن وبذلك امتد النفوذ والفتح والسيطرة على السودان بواسطة معاصريه من بعده الفرعون امحوتب الأول وتحتمس الثانى ٠ المترجم٠



(شكل رقم ٠٧٦)

(بعض نماذج من منطقة الاهرامات بالقرب من جبل برقل وكان الملوك)
(والملكات وابناؤهم يدفنون تحتها وفوقها يبنى الهـرم)

والى جانب ذلك ثبت انها لم تكن مدافن الملوك النباتيين وانما يعود تاريخها الى العصر المروى (١) ، أى حوالى القرن الأول قبل الميلاد ، بيد أن معابد نباتا ثبت أنها أكثر قيمة .

فمعبد آمون العظيم الذى يقع الى جانب الجبل المقدس فى مكـــان قريب جدا من النهر ، اتضح انه مكان كبير ومتسع يضاهى أى معبد من

---

(١) وجد فى سراى مروى القديمة بقايا حمام رومانى ، وحول هذا الحوض وجدت بعض التماثيل الصغيرة وعلى الحوائط وجدت رسـومات ونقوش لهيكل آمون فى معبد الشمس ، وفى وسط هذا الهيكل محراب مـن الجرانيت نقشت عليه بعض خطوط يونانية وصور لساجين مصريين لهم صلة بذلك العهد ، وكان الملك يجلس أمام أعدائه ويقدم اليه ذبيحة الخلاص أمام هيكل آمون ، ومن الجهة الشرقية للمدينة يوجد ثلاث معابد صغيرة واحد منها خصص لعبادة الإله الأسد ، وأهم هذه المعابد معبد الشمس ، الذى وجد فى داخله انحدار بسيط يؤدى الى رصيف المحراب ويمر حول المقبرة الملكية ، وخارج هذا الحائط مزين بالنقوش والرسوم للساجين المصريين الذين كانوا فى خدمة الملك ، وأسماؤهم مكتوبة باللغة الهيروغليفية على تلك الحجارة . المترجم .

المعابد المصرية الضخمة باستثناء معبد الكرنك (١) ، وموقع هذا المعبد معروف منذ وقت طويل ٠

وكان الزوار الأوائل للموقع قد شاهدوا قاعـدة المذبح المصنوع مـن الجرانيت الأسود ، ومذبحا آخر من الجرانيت الرمادى ، يحملان على التوالى اسمى بيعنخى الغازى ، واسم طهارقة ، الذى لم يكن سعيد الحظ كسلفه لأن خصمه لم يكن أقل كفاءة عسكرية من سناحريب ٠

ولم يتبق من المعبد الأصلى سوى أطلال قليلة ليست بذات أهمية لأى زائر ما عدا علماء الآثار ـ فقد دمرت الحجرات المختلفة ولم يتبق منها غير أساساتها ٠

وقد أظهرت حفائر الدكتور رايزنر أن المعبد أسس أولا فى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، من جانب حور محب وسيتى ورمسيس الثانى ، وقد بنى رمسيس الثانى مقصورة اضافية فى الجنوب (الجنوب المحلى) كما بنى بيعنخى معبدا آخر على الشمال (المحلى) ثم كساه كله بسور من الحجر الرملى الأحمر وأعاد بناء أعمدة الفناء ٠

ومن المحتمل أنه حول صالة قاعة الأعمدة الى ثلاث حجرات ، على أن هذا التحويل يمكن أن يكون من عمل طهارقة ، وقد جدد المعبد بين عامى ٥٥٠ و ٥٠٠ ق٠م٠ ونقلت التماثيل المحطمة للعديد من الملوك الأثيوبيين من المعبد ٠

وهذه التماثيل المحطمة والتى اكتشفها رايزنر وسنشير الى ذلك توا ٠٠ كما تم تجديد المعبد أيضا فى العصر المروى المبكر ، وأخيرا انتهى تاريخه المتغير فيما يختص بالبناء مع تجديد الجدران بتغطيتها بالملاط الرمادى فى العصر الرومانى ٠

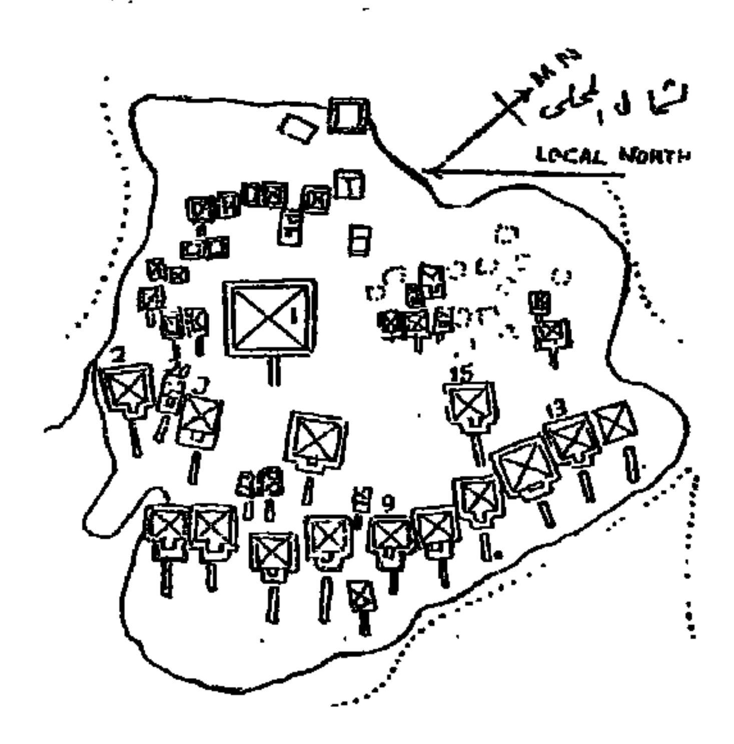
ان أهم نتيجة لأعمال الحفر فيما عدا تتبع تاريخ المعبد العظيم ، هى اكتشاف تماثيل الملوك المحطمة التى وجدت ملقاة خارج المعبد أثناء عمليات

---

(١) رايزنر ـ مجلة متحف الفنون الجميلة ، بوسطن ، الجزء ١٥ رقم ٨٩ ص ٢٨ ٠

تجديده فى الفترة ما بين ٥٥٠ – ٥٠٠ ق٠م٠ ، وقد عثر على قطع التماثيل الملكية مبعثرة فى كل مكان ٠

ولكن الاجزاء المفقودة التى عثر عليها اثناء عمليات الحفر قـد جمعت الى بعضها البعض حتى أصبح فى الامكان اعادة تركيب خمسة تماثيل كاملة لطهارقة وتانوت – آمون ، آمون – انال ، (Amonanal) ، وأسبالتا ، (Aspalta)



(شكل رقم ٧٧)

(منطقة الأهرامات عند – نورى)

(١ – طهارقا ٢ – استبارتامان ٣ – سنك – امن – سيلكن – ٩ – امتالفة)

(١٣ – حارسيونت ١٥ – ناستاسن ٢٠ – اتلانرسا)

وسنكا – آمون – سكن (Senka — Amon — Seken) ، بالاضافة الى أربعة تماثيل بلا رؤوس منها اثنان لتانوت – آمون ، وواحد لآمون أنال وواحد للملكة آمون – مرنفر (Amenmernufer) .

وتعتبر تماثيل طهارقة ، وتانوت – آمون ، وآمون – انال ، وأسبالتا

صناعة مصرية من الدرجة الأولى ، وتبرز بوضوح تام كيف استمرت التقاليد المصرية للفن فى أزمانهم وعصورهم •

أما تمثالا الملك سنكا آمون — سكن والملكة آمون — مرنفر اللذين نحتا فى فترات متاخرة فقد أظهروا تدهور هذا الفن ومدى فقدان المهارة ، أو الوسائل التى يمكن بها تسخير (١) الفنانين والنحاتين لأعمال باهرة •

ان المعبد الذى يطلق عليه معبد سنكا — آمون — سكن المزعوم الذى اكتشف أخيرا ، ثبت انه قد أسس واستكمل تقريبا فى عهد ملك يدعى اتلانرسا (Atlanersa) الذى حكم بين اسبالتا وسنكا آمون — سكن وحكم حوالى عام ٦٥٠ ق٠م٠ أو بعد ذلك بقليل •

ويقع هذا المعبد بالقرب من معبد تحتمس الرابع (من الأسرة الثامنة عشرة) الذى يحتمل أن يكون مهدما عندما بنى المعبد الجديد •

لقد اختار اتلانرسا موقعا سيئا لمعبده بسبب قربه الشديد لمرتفع تهدم جزء منه فى أكثر من مناسبة لسقوط صخور كبيرة من قمة الجبل المقدس عليه •

ولابد أن التساقط الثانى للصخور قد اقنع كهنة آمون بان الاله آمون غاضب لبناء المعبد بالقرب من موطنه بدليل أنه قد هجر منذ ذلك الحين ثم استخدم فيما بعد كمحجر •

ومنذ عهد ليبسيوس حدث سقوط ثالث للصخور الذى أظهر أن آمون لم يسعد بالتخريب التدريجى للمعبد السىء الطالع ، هذا وهناك معبدان صخريان صغيران يقعان بعيدا عن الجانب الأيسر من المعبد الكبير عند زاوية الصخرة الضخمة •

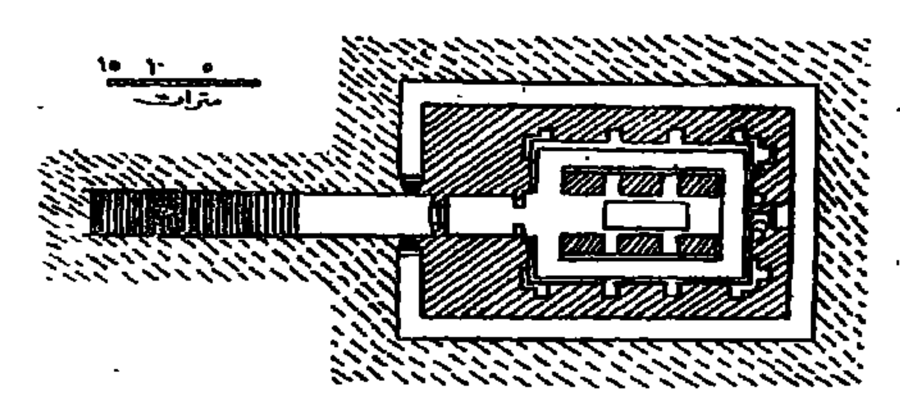
كما يقع معبد صغير آخر بالقرب من المعبد الكبير على الجانب الأيسر منه ، ويبدو أن هذا المعبد قد اقامه كاشتا أو ربما الملك بيعنخى ، واعيد بناؤه من الحجر الرملى المائل الى الحمرة على يد ملك متاخر ، وعلى

---

(١) Reiner, Belletin of The Museum of Fine Arts, Boston. Vol, XV, No. 89, p, 30.

وجه التقريب بعد عام ٥٠٠ ق٠م٠ ، ثم أعيد بناؤه فى النهاية فى العصر المروى (١) بعد القرن الأول الميلادى ٠

وعلى بعد اربعة أميال جنوبى كاريما تقع قرية نورى (Nuri) التى أخذت منها هذا الاسم بمجموعة الأهرامات التى تقع فى الصحراء على بعد ميلين من موقع القرية ٠



(شكل رقم ٧٨)
(نموذج تخطيطى لهرم طهارقا ويشاهد فيه الممر والمدخل والغرف الداخلية)

ويتألف حقل الأهرامات هذا من هرم كبير يبلغ حجمه ضعف حجم اى هرم آخر فى هذه المنطقة ، وأربعة عشر هرما آخر ذات أحجام متساوية تقريبا ، أو أكثر من ٢٠ هرما صغيرا ٠

وقد بدأت بعثة هارفارد ــ بوسطن العمل فى (نورى) فى نهاية موسم عام ١٩١٦ ، وسرعان ما اكتشفت أن ذلك الهرم الذى كان أول هرم قد

(١) قبل انهيار مملكة مروى ، وقعت مصر تحت سيطرة الرومان ، فغزا الجيش الرومانى وادى النيل الى أعالى النيل الأبيض وحدود السودان ، وحينما رجعوا الى روما قدموا تقاريرهم الى الامبراطور فى ذلك العهد ووصلوا اليه استكشافات علمية وأثرية عن مصر ، ومملكة مروى بالسودان ، واللغة اللاتينية لم تنتشر فى مرى بعد الحكم الرومانى لأنها كانت فى الأصل لغة البلاد ولها المكان الأول بين جميع طبقات السكان وفيها من الألفاظ النوبية واليونانية الكثير ٠ المترجم ٠

تعرض للهجوم والنهب وهو هرم الملك اسبالتا ، خليفة تانوت - آمون ، وقد بنى هذا الهرم من الحجر الرملى الرمادى الجيد وتعرض للسلب والنهب فى الأزمنة القديمة .

ومن المحتمل أنه نتيجة انهيار سقف احدى الحجرات ، اضطر اللصوص الى مغادرة المكان على وجه السرعة تاركين أشياء وبعض قطع مسروقاتهم مبعثرة على الأرض .

تقع أهرامات « نورى » على هضبة واطئة غير بعيدة عن النيل ، ويشبه هذا المرتفع فى شكله حدوة الحصان ، مع اتجاه طرفها المفتوح نحو الجنوب المحلى ، أى ضد المجرى الصاعد (ان نقطة الاتجاه تحدد محليا لا بالشمال الحقيقى ، وانما باتجاه انسياب مياه النهر ، ان الاتجاه مع التيار هو الشمال والاتجاه ضد التيار هو الجنوب ، أما الشرق والغرب فهما على يمين ويسار النهر) .

(ولما كان المجرى عند « نورى » يتجه نحو الجنوب - الغربى الحقيقى ، فان ذلك يعنى بالتقريب ان طرفى البوصلة تكاد تكون معكوسة) .

يحيط هذا المرتفع من الجانبين الشمالى والجنوبى واديان ، وعلى جانبها الشرقى نجد مجموعة أهرامات مرتبة على شكل حدوة الحصان والتى يشرف عليها الهرم الكبير الذى تقدم ذكره ، والذى تبلغ مساحة قاعدته حوالى ١٦٩ قدما مربعا .

وهذا الهرم محاط من جوانبه الثلاثة بمجموعة كبيرة من الأهرامات الصغير التى تتراوح مساحة قاعدة كل منها بين سبعة أمتار و ١٢ مترا مربعا (حوالى من ٢٣ الى ٣٩ قدما مربعا) .

وتحيط بمقدمة حدوة الحصان وجانبها الغربى ١٤ هرما كبيرا وخمسة أهرامات أصغر منها حجما .

والهرم الكبير أول الأهرامات الذى تعرض للهجوم عندما كشفته بعثة موسم ١٩١٦ فى ٢٦ أكتوبر ، وقد دمر معبده تدميرا تاما ، غير أن

قطعة حجرية من تمثال حجرى عثر عليها على أحد درجاته تحمل اسم طهارقة ملك كوش ٠

كما ذكر ذلك فى سفر الملوك الثانى بالاصحاح التاسع عشر ، خليفة شاباتاكا ، لقد نحتت حجرات الهرم فى الصخر الصلد ، ويؤدى السلم المتدرج الى حجرة أمامية صغيرة ، ومن هذه الحجرة يؤدى ممر الى صالة متوسطة كبيرة قسمت بواسطة ستة أعمدة مربعة الى طريق متوسط وجناحين جانبيين ٠

وعلى جانبى الباب المؤدى الى الحجرة الأمامية مدرج قصير يصل الى دهليز يلتف حول الصالة المتوسطة ، وينفتح منه فى الخلف باب يؤدى الى مدرج نازل قصير ، ان الصعوبة الكبرى التى اعترضت الحفر تتمثل فى مياه الرشح المتدفقة من النيل والتى تغمر جميع الحجرات ولكن أمكن التغلب على ذلك مؤقتا بنزح المياه بواسطة مضخات ٠

ورغم أن المقبرة قد نهبت فقد عثر على أكثر من ألف تمثال صغير لأشكال مختلفة (شوابتى) مع قطع صغيرة من أجزاء تابوت وبض المهمات الجنائزية تضم زلعتين من الأوانى الكانوبية (التى يوضع بها أحشاء الميت) وعدد صغير من الحلى الذهبية سقطت من اللصوص أثناء هروبهم على عجل ٠

ومع تقدم أعمال الحفر وجد أن جميع الأهرامات التسعة عشر التى تقع فى مقدمة حدوة الحصان وعلى جانب الذراع الغربى هى بمثابة مقابر ملكية تنسب الى طهارقة من الفرع النباتى ٠ بينما كانت الأهرامات الصغيرة على الذراع الشرقى بجانب هرم طهارقة والتى يبلغ عددها ٥٣ هرما هى مقابر ملكات وأميرات من نفس الفرع ٠

كانت النتيجة النهائية لعمليات الحفر التى استمرت طوال سنوات ١٩١٦ – ١٩١٧ – ١٩١٨ هى أن جميع مقابر ملوك وملكات أثيوبيا من الفرع الشمالى قد تم كشفها ما عدا مقابر ملوك وملكات الفرع الذين دفنوا فى كورو

كما سبق وصف ذلك وهم كاشاتا ، وبيعنخى ، وشاباكا ، وشاباتاكا ، وتانوت ـ أمون وزوجاتهم •

كانت أهرامات « نورى » مثل أهرامات كورى من النوع النحيل مع زاوية تبلغ حوالى ٦٨° ، حيث يقوم كل منها على قاعدة صغيرة ، وله مقصورة (مزار) لتقديم القرابين فى واجهة جانبه الغربى (الاتجاه المحلى) وأقيمت فى نهاية الجهة الشرقية (الاتجاه المحلى) للمقصورة ، لوحة فى واجهة الهرم ، كما كانت هناك مائدتان لتقديم القرابين ومذبح فى وسط ارضية المقصورة أمام الشاهد •

وينحدر خارج باب المقصورة درج طويل يفضى الى الحجرات السفلية التى يوجد منها عادة اثنتان أو ثلاث ، وتضم الغرفة الداخلية التابوت المصنوع عادة من الخشب ، ولكن فى بعض الحالات من الجرانيت •

وتوضع المومياء فى التابوت ، وكان التابوت يوضع داخل تابوتين أو ثلاثة بهيئة المومياء ، وكانت ترص حول جدران هذه الغرفة تماثيل الشوابتى وصناديق متنوعة تحتوى على الأدوات الجنائزية •

ويجرى تخزين الأوانى الفخارية فى الغرف الخارجية ، على أن جميع هذه الأشياء قد نهبت وسلبت ، وربما بعد مغادرة المقبرة مباشرة ، ويحتمل أن يكون ذلك قد حدث حوالى سنوات ٣٠٠ ــ ٢٥٠ ق٠م ، وبعد انتقال العاصمة من نباتا الى مروى •

وقد اغفل اللصوص بعض الأشياء فى كل مقبرة ، ولذلك كانت نتيجة عمليات الحفر اكتشاف أهرامات ملكية كثيرة والحصول على مجموعة كبيرة من الأدوات البالغة الأهمية حيث تمثل أحسن ما انتجته الحرف والصناعات الأثيوبية المصرة •

وكذلك كل ما ظهر من اعمال الفنانين والحرفيين الذين عملوا فى خدمة البيت الملكى الذى حكم لمدة ثمانين عاما مصر وأثيوبيا والذى سيطر لمدة ثلاثة قرون أخرى سيطرة كانت تتضاءل تدريجيا مع التدهور المتدرج للتقاليد المصرية •

ويقول الدكتور « ريزنر » : ان هذه الأشياء هى كل المخلفات التى يمكن للانسانية أن تحصل منها على معظم الصناعات الأثيوبية فى هـــذا العصر (١) ٠

ولذلك فان قيمة هذه الآثار لا يمكن قياسها بقيمتها الحقيقية الذاتية أو مستوى صناعتها المتواضعة نسبيا ، بل تقاس باعتبار أنها الشاهد الوحيد لحدث من أغرب الأحداث ، ان لم يكن أيضا من أكثرها اهمالا فى تـاريخ مصر القديمة وعالم الشرق القديم ٠

يحتوى المتحف الصغير فى مروى على بعض التماثيل التى أنقذت من معابد جبل برقل ومن بينها تمثال بالحجم الطبيعى من الجرانيت الأسـود لطهارقة ، ويحتوى أيضا على التابوت الجرانيتى للملك « انلامان نورى » من الفرع النباتى ٠

وينبغى رؤية هذه الآثار لأخذ فكرة عن الفن المصرى — الأثيوبى فى العصر النباتى ٠

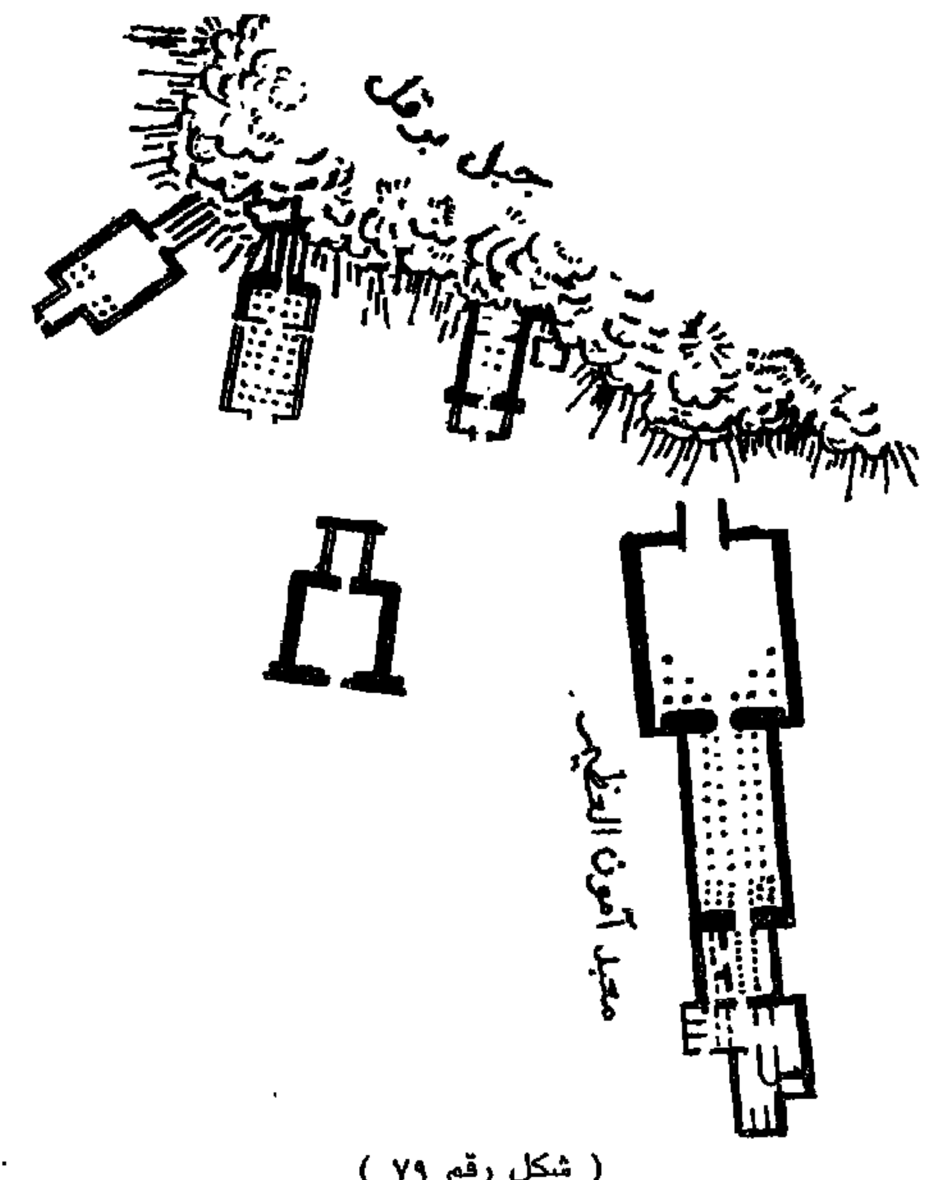
وهناك موقع آخر هام يستحق أن نذكره وهو مدينة مروى ، عـاصمة الفرع الجنوبى للأسرة الليبية التى وطدت نفسها فى أثيوبيا فى الفترة التى بدأت حوالى عام ٧٢٠ ق٠م٠

ومن الواضح أن هذا الفرع قد وطد أقدامه فى مروى فى نفس الوقت الذى قامت فيه مجموعة أخرى من نفس الأسرة بتوطيد أقدامها فى نباتا ، ولكنها لم تصل الى الحكم الا بعد أن بدأ فرع نباتا فى الانهيار ٠

ولقد ثبت ذلك فى حفائر الدكتور رايزنر واكتشاف أهرامات مروى الواقعة على بعد حوالى ٢ر٥ ميل تقريبا شرقى خط سكة حديد — أبو حمد الخرطوم ، وعلى بعد مسافة قليلة الى شمال — شرقى محطة (الكبوشية) على ذلك الخط ٠

---

(١) (مجلة متحف الفنون الجميلة ، بوسطن ، الجزء ١٦ رقم ٩٧ ص ٨٢) ٠



(شكل رقم ٧٩)

(مجموعة معابد نباتا مع جبلها المقدس « برقل »)

كما توجد هناك ثلاث مجموعات من هذه الأهرامات التى أطلق عليها الدكتور رايزنر الجبانة الشمالية والجبانة الجنوبية والجبانة الغربية ، وهذه الأهرامات من النمط المتواضع الذى شاهدناه بالفعل فى نباتا .

ولهذه الأهرامات مقاصير أمامية بها مناظر ونقوش تكشف عن التدهور

التدريجى للمستوى الهابط لملوك نباتا المتاخرين ، وهكذا ثبتت علاقة المجموعات الثلاثة بعضها ببعض ٠

وتعتبر الجبانة الجنوبية اقدم الجبانات الثلاث اذ كانت أقدم جبانة عائلية لأسرة الفرع المروى للعائلة الملكية حيث تحتوى على مدافن تتراوح من حيث أزمانها من حوالى سنة ٧٢٠ الى سنة ٣٠٠ ق٠م ، ولم تصبح جبانة ملكية الا بوجود المقابر التسعة الأخيرة ٠

وقد استهلكت هذه الأهرامات التسعة كل الفراغ والمساحة المتاحة والممكنة لها بحيث اضطر الملوك المرويين الى البحث عن أرض جديدة لتشييد أهراماتهم ٠

وقد وجدوا هذه الأرض فى ربوة مرتفعة من الحجر الرملى شمالى الجبانة الجنوبية وعلى مسافة ٢٠٠ ياردة منها فقط ، وفى هذه الجبانة الشمالية قام هؤلاء الملوك ببناء ٤١ هرما منها اثنين فقط لأولياء العهد وخمسة للملكات ، أما الباقى فقد خصص للملوك ٠

ويبدو أن الملكات (١) الخمس المدفونات هنا كن نائبات للملك أو أولياء

---

(١) بعد طرد تانوت ـ آمون من طيبة ، عاث الآشوريين الفساد فى الأرض يمينا وشمالا ، وكان الأمراء عددهم ١٢ أميرا يحكم كل أمير منطقة له نظامه وجنوده وكانوا فى شك بعضهم من البعض ، وحاول بسماتيك عن طريق الكهنة أن يسيطر على البلاد ويطرد الآشوريين ويدين له الأمراء ولكنه فشل فى ذلك أكثر من مرة الا أنه استعان ببعض الجنود المأجورين من الاغريق أمده بهم صديقه جيجس ملك ليديا وأخذ يعيد لمصر شيئا من مراكزها فى غربى آسيا ولذلك تحالف بسماتيك مع ملك ليديا على تحطيم جيوش الآشوريين فى مصر وغربى آسيا ، ولما تم له ذلك ودانت له الدلتا وتخلص من جنود آشور حتى بدأ يفكر فى الصعيد وثروة آمون فى طيبة ، وبالرغم من وجود أميرات للبيت المالك فى نباتا مثل الأميرة « شب ـ أن ـ أوبت » ابنة بعنخى والأميرة « آمون ـ اردس » الثانية ابنة طهارقا ، فلم يجد كهنة طيبة فى النهاية الا الاذعان لبسماتيك وقبول سيادته وبذلك ضمن بسماتيك لنفسه ثروة آمون وقام بعدة اصلاحات عديدة وأنشأ جيشا وأسطولا من الجنود المرتزقة وعمل على اصلاح المعابد وطال حكم هذا الملك خمسين عاما من ٦٦٣ ـ ٦٠٩ قبل الميلاد بعد أن حرر البلاد من الآشوريين وسيطرتهم على البلاد ٠ المترجم ٠

عهد ، لأن من المحتمل ايضا أن أولياء العهد المفضلين كانوا يباشرون السلطات الملكية ٠

وفيما عدا ذلك تكون الجبانة مقبرة ملكية خاصة جدا ، لقد بدأت هذه الأهرامات الخاصة التابعة للملوك والحكام ونوابهم بانتهاء العمل بالجبانة الجنوبية حوالى ٣٠٠ ق٠م٠ ونهاية عام ٣٥٠ بعد الميلاد ٠

أما مجموعة الأهرامات الثالثة فتسمى بالجبانة الغربية حينما بدأت الجبانة الجنوبية تمتلىء الى حد لم تعد تعتبر جبانة ملكية أو عائلية ، وهى تضم مقابر الأسرة المالكة باستثناء مدافن الملوك أو نوابهم الذين دفنوا منفصلين عن أعضاء الأسرة الأقل مركزا وأهمية فى المقبرة الشمالية ٠

لقد تمكن الدكتور رايزنر من ترتيب تسلسل هذه الأهرامات ، وأهرامات كورو ، وأهرامات نورى ونباتا ترتيبا متسلسلا حسب التعاقب الملكى لفرعى الملوك الأثيوبيين ٠

ويبدأ الفرع النباتى (نباتا) - كما رأينا بالملك كاشتا والد بيعنخى الفاتح وينتهى بناستاسن الملك السادس والعشرين من سلسلة ملوك هذا الفرع ٠

وهكذا نرى أن هذا الفرع يمتد من حوالى عام ٧٥٠ الى ٣٠٨ ق٠م٠ ، اى مدة ٤٤٢ عاما ، أما الفرع المروى فانه يشغل التسلسل بصفة فعلية منذ انتهاء التسلسل النباتى ويمتد من حوالى ٣٠٠ ق٠م الى ٣٥٥ ميلادية ٠

ويبلغ عدد ملوك هذا الفرع واحد وأربعون ملكا ، وكان كل ملك من ملوك خط نباتا يعرف باسمه ، ورغم ان هذا لا يصدق على الفرع المروى ؛ حيث حدث تقدم كبير بسبب هذا التعريف ٠

ان أطلال مدينة مروى (١) نفسها قد بدأ الحفر فيها فى أعوام

---

(١) كانت اللغة السائدة فى ذلك العهد فى مروى هى اللغة الهيروغليفية المصرية ثم تلتها اللغة المروية ، كما كانت نباتا كذلك ، فى ذلك العهد ، =

١٩٠٩ ـ ١٩١٤ وتولى عمليات الحفر فيها البروفيسور جارستانج ، ويتقاطع معها خط السكة الحديد ومعبد الشمس الذى يحتمل أن شيده الملك اسبالتا ، من الفرع النباتى ٠

ويقع هذا المعبد على مسافة قصيرة من الخط ويتالف من عدة شرفات ، يقوم فى أعلاها المحراب الذى توجد فيه بقايا مسلة ، وينبغى أن لا يغرب عن البال أن المسلة كانت دائما تعتبر شعارا لاله الشمس ، وأنها كانت تستخدم فى معابد الشمس لفراعنة الأسرة الخامسة فى شكل كئيب خال من الجمال والزخرفة لأغراض العبادة ٠

وقد غطيت أرضية المحراب وجوانبه ببلاطات من القيشانى الأزرق والاصفر كما يوجد شرقى خط السكة الحديد معبدان صغيران كرس أحدهما للملك الاثيوبى الممثل على شكل أسد ، ويحرس سلم الدخول اليه تمثالان لأسدين ٠

بينما وجدت تماثيل أخرى لأسود أثناء عمليات الحفر ، أما المزار الصغير الآخر فانه يحتمل أن يكون معبدا للالهة حاتحور ٠

وتقع بالقرب من قرية البجراوية (Begrawiya) على الجانب الغربى لخط السكة الحديد ، أطلال معبد آمون الكبير الذى لابد أنه كان فى ضخامة معبد نباتا ، وقد بنى المعبد حوالى عام ٣٠٠ ق٠م٠ ، حينما كان الفرع

=

وكانت ثقافة ملوك أثيوبيا تستمد من الثقافة المصرية ، ومن التقارير الرسمية ، يستدل أن الملك أركمون الذى حكم فى سنة ٢٢٥ ـ ٢٠٠ ق٠م٠ ، كان يونانى الاصل وفى عهده تلاشت اللغة الهيروغليفية وحلت محلها اللغة المروية التى تظهر فى أولها كانها لغة يونانية ولكنها ليست يونانية ، بل مشتق منها حروف يونانية وذلك من تاثير النفوذ اليونانى فى هذه البلاد ، وبمرور الأيام تغيرت معالم اللغة الهيروغليفية الى لغة مروية بحروف يونانية ، وقد ترجمت هذه اللغة المروية بواسطة الأستاذ جريفيث الذى قام بحفريات مروى وقضى عدة سنوات يدرس تاريخ مروى القديم ٠ المترجم ٠

المروى يصعد الى السلطة فى الوقت الذى كان فيه خط نباتا آخذا فى التدهور والانهيار .

ويبلغ طول ذلك المعبد ٤٤٣ قدما ، أما معبد نباتا ، حسب تقـدير هوسكنس فان طوله يبلغ حوالى ٥٠٠ قدم ، ولم يبق من هذا المبنى العظيم على ما يبدو سوى أطلال قليلة وغالبا أن ذلك المعبد قد بنى من اللبن .

ولكن عرش تمثال آمون الذى كان ينطق بالوحى بايماءة مـن رأسه عند اجابته للأسئلة التى توجه اليه ، تشاهد منحوتة على المذبح أيضا ، على أن أعمال الفرع المروى لم تكن طريفة كأعمال خط نباتا الأقدم منه اللهم فيما عدا أنه يظهر حالة التدهور المستمر للتقاليد المصرية والفنون الأصلية التى كانت أساسا للحضارة الليبية ـ الأثيوبية .

ومن الممكن الاشارة الى الأطلال الأثيوبية المتأخرة فى منطقة « نجعة » (Naga) الواقعة على مسافة ٢٢ ميلا جنوب شرقى محطة سكة حـديد واد « بنجعة » (Wad Benaga) ولكنها ليست بذات أهمية بالقدر الذى يدعونا الى زيارتها .

وهناك ثلاثة معابد ومقاصير صغيرة عديدة ، بالاضافة الى مقصورة رومانية وأكبر هذه المعابد كرس للاله الأثيوبى الذى شكل على شكل أسد له ثلاثة رؤوس ، ويرجع تاريخ المعبد الى بداية القرن الأول الميلادى ، وتظهر نقوشه البارزة التى تتبع النمط المصرى القديم مدى تدهور عمال مروى وانحرافهم عن روح عصرهم الأصلية .

لقد قـال الدكتور جونسون ذات مـرة لمسـز ثريل : « ان رؤيتك لاسكتلندة ، يا سيدتى كرؤيتك لانجلترا بصورة أسوأ ... فذلك بمثابة رؤية زهرة آخذة فى الذبول تدريجيا حتى نهاية الساق الأملس ... » .

« وليس هناك ما يلزمنا أن نوافق على هذه الهرطقة المزعجة ، ولكن لابد للانسان أن يعترف أنه فى طريقنا ورحلتنا الشيقة بطول أثيوبيا وبلاد النوبة من شرقها الى غربها اننا كنا نتتبع نفس السبيل ونفس المسيرة كما وصفها الدكتور جونسون بايجاز » ٠

ورأينا زهرة الآثار والثقافة والحضارة المصرية وهى تذبل تريجيا حتى نهاية ساق تلك الزهرة التى كانت فى يوم ما تعطر وتشرق على العـالم كله من حولها ٠

« تم الكتاب بعونه تعالى بأجزاءه الخمسة »

* * *

« تصـــويب »

لقد حصلت فى الآونة الاخيرة على دليل قوى بأن مقبرة الملكة « تيى » (Tiy) ليست فى الواقع سوى مخبأ أودعت فيه بقايا أثاثها الجنائزى من حلى ذهبية ومصاغ وأوان وصناديق مختلفة ، بالاضافة الى التابوت الخاص بها والمومياء المحنطة ، وربما كان ذلك من قبل عهد توت عنخ آمون ٠

وكذلك اثاث جنائزى وزهريات عرش ومومياء للملك سمنح — كا — رع « سمنكارع » (Smenkhere) خليفة الملك اخناتون الذى يمكن أن يكون قد دفن معها ، بعد أن نهب مدفنهما فى تل العمارنة ٠

« الملحق الأول »

عن نقل وترجمة الفاظ الكلمات المصرية والعربية القديمة الى احرف وكلمات لاتينية

ان نقل وترجمة الفاظ الكلمات المصرية القديمة الى أحرف لاتينية أو أوروبية يعتبر دائما مصدر صعوبة لهؤلاء الذين يقدمون أعمالا للجماهير وتراجم أدبية وتاريخية وخصوصا فى مجال الآثار وأعمال التنقيب والكشف عنها ، حيث تعتبر حيرة للقارىء ومصدرا للقلق لبعض الاصطلاحات والمعانى المختلفة ٠

فمثلا نجد أن الملوك الذين يطلق عليهم اليونانيين بـ تحتمسيس تنقل الفاظها فى الأعمال الأدبية الحديثة بصورة مختلفة مثل تحتمس ، وتاحوتيمس ، وتيحوتمسيس ، وتحوتموس ، ودحوتموس ٠

وربما كان النطق القديم أما تى ـ حوتموس ، أو تى ـ حوتماس ، ان اللغة المصرية القديمة كاللغات السامية مثل العربية والعبرية ، تكتب بالحروف الساكنة ، وهذه حروف تختلف اختلافا تاما عن حروف اللغات الأوربية ٠

ولكن فى حالة اللغة العربية (حتى ولو لم تكن منقطة) فان الموقع والطول والطبيعة العامة للحركة الطويلة يمكن تحديده بصورة مؤكدة ، وليس هناك دليل فى اللغة المصرية القديمة على الحركات ، اللهم سوى تبيان وجود حركة أولية أو أخيرة فى بعض الأحيان ٠

أما فى المؤلفات العلمية والمراجع المتخصصة ، فانه يجرى نقل وترجمة الفاظ الكلمات المصرية بالحروف الساكنة فقط ، وثمة حاجة الى ضرورية وجود علامات مميزة غير متاحة فى أنواع الحروف المطبعية ٠

ولذلك فان استخدام مثل هذا النظام فى أى دليل أو كشاف يعد بصورة واضحة ضربا من المستحيل ٠

لقد نقل الجيل الأخير من علماء الآثار « علامة الصقر » التى يحتمل أن تصدر عن حرف يسير مثل حرف (a) وعلامة البوص (Rcad — Sign) التى أما أن تكون حرف (Y) (a) أو حركة غير محدودة مثل (a') بينما تكون علامة الذراع (Arm — Sign) النطق السامى الذى يصدر من سقف الحلق وهو (Ayin) أى عين وهى حرف ساكن تماما •

وقد ميزها هؤلاء العلماء بحرف (a) فاذا كانت الكامة غير قابلة للنطق فانه تجرى اضافة e,a حسب موقعها وحسب الذوق ، ان عمليات النقل الناتجة عن ذلك تحتوى أحيانا على ثلاثة حروف (a,e,i) بالتتابع ، ويمكن أن يقال أنها لا يمكن أن تنتج النطق القديم •

فالدراسة المكثفة للنبرات والنطق السليم المتعلق باللغة القبطية — المنبثقة من اللغة المصرية — قد مكنت العلماء والمثقفين من تحديد أين تقع النبرات أو الحركات ، بل وما اذا كانت طويلة أو قصيرة •

ان نقل الأسماء والأماكن الشخصية المصرية (كأسماء الملوك والكهنة والآلهة والمعابد والجبانات ومواقعها) الى اللغتين الآشورية والآرامية قد ألقى مزيدا من الضوء والمعرفة على الموضوع •

ومن هنا كان الاتجاه الحديث فى محاولة جادة لاعادة العمل بالنطق القديم الى أقرب حد ممكن ، ولكن حيث تكون الأشكال الكلاسيكية معروفة ، وحينما يبدو أنها قريبة من الشكل القديم ، فان من المفضل الاحتفاظ بها كما هى مثل (امنوفيس ، تشيويس ، شيفرين ، تحتمس ، امنمحات ••• الخ) •

ان الشكل السيسوترى (Sesostris) المعروف ، شكل مبتذل ، وقد نبذ استعماله لصالح شكل معدل آخر وهو السينوسرتينى (Senusret) وبالمثل لقد فضل استعمال اسم حار ام حارب على الاسم الكلاسيكى حارميس أو حارمحب ، لأن نقل اسم الملك فى الأبجدية اليونانية يعد ضربا من المستحيل •

وقد وجدت فى بعض الحالات القليلة جدا أنه يجب الاحتفاظ بالاسم الشائع او اسم الشهرة ، ولكنه غير صحيح ، فاسم سيتى قد استخدم بدلا من الاسم الكلاسيكى سيتوس ٠

وكذلك اسم حتشبسوت بدلا من الاسم الأصح وهو حاتشبسوويت ، واسم رمسيس - الذى ليس بالضرورة اسما خطأ - قد اشخدم بدلا من الشكل اليونانى رامسس ٠

ان موضع نقل الكلمات المصرية القديمة محفوف بالصعاب ، فمثلا نجد أن حرف « تاء » التانيث كان قد اغفل كثيرا فى العهود الأولى لتاريخ اللغة ، اللهم سوى فى بعض التراكيب ٠

وهكذا نجد ان الشكل الكلاسيكى لاسم امن ام مس الذى ننقله الى امنمحات قد يكون من الأصح أن يكون امن ام حى ، والى جانب ذلك نجد ان أى حركة خالية من نبرة - حتى فى الأسماء الالهية - يمكن أن تفقد معناها أو طول حركتها بل وحتى تغير من طبيعتها وهكذا نجد ان اسم آمون يتغير دائما الى أمن ، وحور (حورس) إلى حار ، ورع الى راع ٠

ان معرفتنا بالظروف الصحيحة التى يحدث فى ظلها هذا التغيير ، وان كانت تجرى الى حد ما فى اللغة القبطية ما زالت ناقصة جدا حتى فيما يتعلق باحداث شكل اللغة ٠

اما فيما يتعلق بتهجى أسماء الأماكن المصرية والمواقع الهامة ، فان الأشكال الواردة فى الأطلس الجديد بمقياس ١/١٠٠٠٠٠ هى المستخدمة دائما بصفة عامة ٠

أما العلامات المميزة التى تميز الحرفين Z's, d's, t's فقد حذفت لأنها لا تقدم أى معنى للجمهور أو القارىء ، فان أى نبرة مثلا فوق كلمة مثل كلمة سيركومفليكس فوق حركة تدل على أنها كلمة طويلة وتحمل نبرة ٠

« الملحق الثـــانى »

أما فى حالة نقل الأسماء المصرية القديمة (انظر الملحق الأول) ، فان استخدام أحرف a, e, i ، ما لم تكن هناك دلائل متاحة من مصـــادر اللغات الأشورية أو اليونانية أو القبطية ، يعتبر مسالة ذوق ، وتنطبق نفس الملاحظات على استخدام أحرف العلة W, U, O .

ويتم نقل (علامة اليد) بواسطة حرفى T, D وربما يكون الأخير هو الصحيح ، كما يتم نقل « علامة الأفعى » بحرفى Z, d وينبغى أخذ هذه النقطة بعين الاعتبار عند البحث عن كلمة فى الفهرس .

والى جانب ذلك ، فان الاسم العربى الذى لا يوجد تحت حرف (e) لأن الترجمة العربية لا تميز أحيانا بين e, a أو بين e, i ، ان لم يكن من المستطاع تحقيق تناسب تام فى عمليات نقل الأسماء ، نظرا لوجود بعض الأسماء الكثيرة التى أصبحت معروفة وشائعة بشكل أو بآخر ، كما يوجد بعض الأسماء المتباينة أدرجت أيضا فى الفهرس .

بعض الاختصارات المستخدمة : م = ملك ، ته = ملكة ، ا = اله اة = الهة ، مد = معبد : مقر = مقبرة أو مقابر .

فهـــرس أبجـدى

(ت)

(ش)

بعض المراجع والمؤلفات الهامة فى علم الآثار

١ ـ مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ـ تاليف ادولف ارمان ـ مترجم .
٢ ـ مصر والشرق الأدنى القديم ـ ٧ أجزاء ـ تاليف د. نجيب ميخائيل .
٣ ـ مصر ـ تاليف درايتون فانديه ـ ترجمة عباس بيومى .
٤ ـ مصر القديمة ـ ١٦ جزءا ـ تاليف الدكتور سليم حسن .
٥ ـ أبو الهول ـ تاليف الدكتور سليم حسن .
٦ ـ الأدب المصرى القديم ـ جزءان ـ تاليف سليم حسن
٧ ـ مصر الفرعونية ـ تاليف د. أحمد فخرى .
٨ ـ الأهرامات المصرية ـ تاليف الدكتور أحمد فخرى .
٩ ـ بين آثار العالم العربى ـ تاليف الدكتور أحمد فخرى .
١٠ ـ دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ـ تاليف د. أحمد فخرى .
١١ ـ فى موكب الشمس ـ جزءان تاليف د. أحمد بدوى .
١٢ ـ الحضارة المصرية ـ تاليف جون ولسون ـ ترجمة ـ د. أحمد فخرى .
١٣ ـ مصر فى العصر العتيق ـ تاليف والترامرى ترجمة راشد محمد نوير .
١٤ ـ مصر وبلاد النوبة ـ تاليف والترامرى ترجمة تحفة حندوسة .
١٥ ـ التصوير فى التراث المصرى القديم ـ تاليف د. محمد حماد .
١٦ ـ العمارة فى مصر القديمة ـ تاليف د. محمد أنور شكرى .
١٧ ـ الفن المصرى القديم ـ تاليف د. محمد أنور شكرى .
١٨ ـ التربية والتعليم فى مصر القديمة ـ تاليف د. عبد العزيز صالح .
١٩ ـ الشرق الأدنى القديم ـ مصر والعراق ـ ج ١ تاليف د . عبد العزيز صالح .
٢٠ ـ تاريخ الحضارة المصرية ـ العصر الفرعونى ج ١ ـ تاليف نخبة من العلماء .
٢١ ـ تاريخ الحضارة المصرية العصر اليونانى والرومانى والاسلامى ج ٢ ـ تاليف نخبة من العلماء
٢٢ ـ الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ـ تاليف بييرمونتيه ترجمة عزيز مرقص .
٢٣ ـ الموسوعة الأثرية العالمية ـ تاليف مجموعة من العلماء ترجمة محمد عبد القادر محمد ، د. زكى اسكندر .
٢٤ ـ ديانة مصر القديمة ـ تاليف أدولف ارمان ـ ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر .

٢٥ - الديانة المصرية القديمة - تاليف ياروسلاف تشرنى - ترجمة د. أحمد قـدرى .
٢٦ - تطور الفكر والدين فى مصر القديمة - تاليف هنرى بريستد - ترجمة د. زكى سوس .
٢٧ - الديانة فى مصر الفرعونية - تاليف د. محمد عبد القادر محمد .
٢٨ - الأدب والدين عند قدماء المصريين - تاليف أنطون زكرى .
٢٩ - الطب والتحنيط عند قدماء المصريين - تاليف أنطون زكرى .
٣٠ - الطب المصرى القديم - ٤ أجزاء فى ٢ مجلد تاليف حسن كمال .
٣١ - الحضارة الطبية - تاليف بول غليونجى .
٣٢ - الطب عند الفراعنة - تاليف بول غليونجى .
٣٣ - الموتى وعالمهم فى مصر القديمة - تاليف أ.ج. سبنسر ترجمة أحمد صليحة .
٣٤ - المومياات الملكية بالدير البحرى - تاليف ماسبيرو .
٣٥ - مصر الفرعونية وآثارها فى السودان الشمالى - تاليف آركل - ترجمة عبد السيد فوردن .
٣٦ - اهم آثار الأقصر الفرعونية - تاليف سيد توفيق
٣٧ - إهرام مصر - تاليف أ.س. ادواردز مترجم .
٣٨ - مصر الفراعنة - تاليف الن جاردنر - ترجمة .
٣٩ - مصر الفرعونية - تاليف جان يويوت - مترجم .
٤٠ - فجر الضمير - تاليف هنرى بريستد .
٤١ - هيرودوت يتحدث عن مصر - ترجمة صقر خفاجة .
٤٢ - أهم المعالم الاثرية بمنطقة سقارة وميت رهينة - تاليف د. منير يسطا .
٤٣ - أبيدوس - تأليف د. عبد الحميد زايد .
٤٤ - أهم الحفائر الملكية بحلوان - الفن والحضارة - تاليف زكى يوسف سـعد .
٤٥ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم - تاليف د. سيد احمد الناصرى .
٤٦ - مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربى - تاليف د. مصطفى العبـادى .
٤٧ - معالم حضارات الشرق الأدنى القديم - تاليف د. محمد ابو المحاسن عصفور .
٤٨ - حضارة مصر والشرق الأدنى القديم - تاليف محمد انور شكرى وعبد المنعم أبو بكر .
٤٩ - انتصار الحضارة (تاريخ الشرق القديم) تاليف هنرى بريستد - أحمد فخرى .

٥٠ - آثار الأقصر جـ ١ - تأليف د. محمد عبد القادر محمد .
٥١ - معالم تاريخ مصر القديم - تأليف رمضان عبدة على .
٥٢ - أسرار الهرم الأكبر - تأليف محمد العزب موسى .
٥٣ - مفتاح اللغة المصرية القديمة - تأليف أنطون زكرى .
٥٤ - مصر تحت ظلال الفراعنة - تأليف محمد صابر .
٥٥ - مصر ومجدها الغابر - تأليف مرجريت ميتشيل - مترجم
٥٦ - فجر الضمير - تأليف سليم حسن .
٥٧ - الفن المصرى القديم - تأليف : كريستيان ديروش .
٥٨ - الفن المصرى القديم - تأليف : سيريل الدريد .
٥٩ - اخناتون - تأليف : سيريل الدريد .
٦٠ - بلاد ما بين النهرين - الحضارتان البابلية والآشورية .
تأليف : ل ديلابورت - ترجمة محرم كمال .
٦١ - جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا - دكتور رشيد الناضورى .
٦٢ - الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة - دكتور محمد على سعد الله .
٦٣ - آلهة مصر - تأليف فرانسوا دوماس - ترجمة زكى سوس .
٦٤ - الصحراء المصرية - جبانة البجوات فى الواحة الخارجية - تأليف أحمد فخرى - ترجمة عبد الرحمن عبد التواب .
٦٥ - ايمحتب اله الطب والهندسة تأليف : ج.هارى ترجمة محمد العزب موسى .
٦٦ - تاريخ مصر القديمة - تأليف : نيقولا جريمال ترجمة ماهر جويجاتى .

فهرس الأشكال واللوحات والصور

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

فهـــرست الموضـــوعات

صفحة

صفحة

الفصـــل الاربعـــون

الفصل الواحد والاربعون

الفصل الثانى والاربعون

الفصل الثالث والاربعون

رقم الايداع ١٩٩٤/١٥٤٣

مطـابع سـجل العـرب

